

# قصص النبيين للاطفال

تأليف  
أبو الحسن علي الحسني التدويني

مؤسسة الرسالة  
ناشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## خاتمة في كلمة



للتَّطْبِيعَ وَالتَّشْرِيفَ وَالتَّوزِيعَ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٍ لِلِّتَّاشرِيرِ  
الطبعة الأولى  
١٤٥٩ - ٢٠٠١

وطَنِ الْمَصِيرِيةِ  
شَارعِ حَيْثُ أُولَئِكُمْ  
بَنَاءِ السَّكَنِ  
فَانِيَّةٌ ٣٨٧٢ - ٣٨٧٣  
فَلَكَشْتُرٌ ٦٨٩٥ - ٦٨٩٦  
مَنْتَلٌ ٣٨٧٤  
بَيْرُوْتُ - لَبَّانِيَّةٌ

*Resalah  
Publishers*

Tel: 319039 - 815112  
Fax: (9611) 818615  
P.O.Box: 117460  
Beirut - Lebanon

Email:  
[resalah@resalah.com](mailto:resalah@resalah.com)

Web Location:  
<http://www.resalah.com>

حقوق الطبع محفوظة (٢٠٠١م). لا يسمح ب إعادة نشر هذا الكتاب أو  
أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام  
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه.  
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى  
دون الحصول على إذن خططي مسبق من الناشر.

(١)



## للباحث الداعية الأستاذ سيد قطب

عرفت صاحب هذا الكتب «السيد أبو الحسن الندوبي». عرفته في شخصه وفي قلمه. فعرفت فيه القلب المسلم والعقل المسلم، وعرفت فيه الرجل الذي يعيش بالإسلام وللإسلام على فقه جيد للإسلام. هذه شهادة لله أؤديها، وأنا أقدم هذه الطبعة من ذلك الكتاب الصغير.

وقصص النبيين للأطفال - على صغر حجمه - عمل جليل يضاف إلى أعمال السيد أبي الحسن وإخوانه الأفاضل في حقل الدعوة الإسلامية. فليس الكبار وحدهم هم الذين يجب أن يبلغ إليهم الإسلام في صورته النقية، بل إن قلوب الصغار لأحوج إلى هذا الغذاء، ليشبعوا وطعم الإيمان في نفوسهم، ونوره في

قلوبهم، وبشاشته في أرواحهم، والقصص هي المادة الأولى التي تفتح لها تلك القلوب الصغيرة البريئة.

وهذا الكتب - وإن كان مكتوباً للصغرى - إلا أنني أعتقد أن الكثرين من الكبار في حاجة إلى أن يقرأوه. فالكثيرون لم يتع لهم تعليمهم الذي سيطر عليه الاستعمار وهيمن عليه التبشير، أن يعرفوا شيئاً عن قصص القرآن الكريم، ومراميه العميقة، وجوهر الإيماني التهذيب المؤثر، كما هو معروض في هذا الكتاب.

ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال - بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام - وشاركت في تأليف مجموعة «القصص الديني للأطفال» في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم. ولكنني أشهد في غير مجاملة - أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله. وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها وموافقتها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة،

ولكنها توحى بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في  
قلوب الصغار أو الكبار.

جزى الله السيد أبا الحسن خيراً، وزاده توفيقاً،  
وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصف  
والأعاصير، وتنشر في طريقها الأشواك، وتدلهم من  
حولها الظلمات، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية،  
والإخلاص في حياطتها ورعايتها. وعلى الله التوفيق.





## المقدمة

ابن<sup>(١)</sup> أخي العزيز!

أراكَ حريصاً على القصص والحكايات. وكذلك كل طفل في سنتك. تسمع هذه القصص بكل رغبة، وتقرأها بكل رغبة، ولكنني أتأسف لأنني لا أرى في يدك إلا حكايات السناني والكلاب والأسد والذئاب والقردة والدباب، وعلينا العهدة في ذلك، فذلك هو الذي تجده مطبوعاً.

وقد بدأت تتعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن والرسول ولغة الدين، ولك رغبة غريبة في درسها، ولكنني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنتك من القصص

---

(١) محمد بن الدكتور عبد العلي الحسني ابن أخي المؤلف، وقد نبغ بحمد الله في العربية، ورئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة في لكتو الهند.

العربية، إلا قصص الحيوانات، والأساطير والخرافات.

فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص  
الأنبياء والمُرسَلين (عليهم صلاة الله وسلامه) بأسلوب  
سهل يُوافق سِنَكَ وذوقك، ففعلت، وهذا هو الكتاب  
الأول من «قصص النبيين للأطفال» أهديه إليك.

وقد حاكيت فيه أسلوب الأطفال وطبيعتهم، فلجأت إلى  
تكرار الكلمات والجمل سهولة الألفاظ وبساطة القصة.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير أول كتاب يقرأه الأطفال في اللغة العربية ويدرسونه في مدارسهم.  
وسأتحفوك إن شاء الله بقصص لأنبياء، ممتعة  
شائقة، واضحة سهلة، خفيفة جميلة، ثم لا يكون فيها  
شيءٌ من الكذب.

أقر الله بك يا محمد عين أبوياك وعمك وعين  
الإسلام، وأعاد بك بركات آبائك على هذا اليت وعلى  
المسلمين . . .

علي الحسن

## مَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامِ؟

### ١ - بَائِعُ الْأَصْنَامِ

قَبْلَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ. كَثِيرَةٌ جِدًا.  
كَانَ فِي قَرْيَةٍ رَجُلٌ مَشْهُورٌ جِدًا.  
وَكَانَ اسْمُ هَذَا الرَّجُلِ آزَرٌ.  
وَكَانَ آزَرُ يَبْيَعُ الْأَصْنَامِ.  
وَكَانَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ بَيْتٌ كَبِيرٌ جِدًا.  
وَكَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَصْنَامٌ، أَصْنَامٌ كَثِيرَةٌ جِدًا.  
وَكَانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ.  
وَكَانَ آزَرُ يَسْجُدُ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ.  
وَكَانَ آزَرُ يَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ.

## ٢ - وَلَدُ آزَرَ

وَكَانَ آزَرُ لَهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ، رَشِيدٌ جِدًا.

وَكَانَ اسْمُ هَذَا الْوَلَدِ إِبْرَاهِيمَ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَرَى النَّاسَ يَسْجُدُونَ لِلأَصْنَامِ.

وَيَرَى النَّاسَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ.

وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ.

وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

وَكَانَ يَرَى الْذِبَابَ يَجْلِسُ عَلَى الْأَصْنَامِ فَلَا تَدْفَعُ.

وَكَانَ يَرَى الْفَأَرَ يَأْكُلُ طَعَامَ الْأَصْنَامِ فَلَا تَمْنَعُ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: لِمَاذَا يَسْجُدُ النَّاسُ  
لِلْأَصْنَامِ؟ !!

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: لِمَاذَا يَسْأَلُ النَّاسُ  
الْأَصْنَامِ؟ !!

## ٣ - نصيحة إبراهيم

وكان إبراهيم يقول لوالده:  
يا أبي، لماذا تعبد هذه الأصنام؟!  
ويما أبو لماذا تسجد لهذه الأصنام؟!  
ويما أبو لماذا تسأل هذه الأصنام؟!  
إن هذه الأصنام لا تكلم ولا تسمع!  
 وإن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع!  
ولما شيء تضع لها الطعام والشراب؟!  
وإن هذه الأصنام يا أبي لا تأكل ولا تشرب!  
وكان آزر يغضب ولا يفهم.  
وكان إبراهيم ينصح لقومه، وكان الناس يغضبون  
ولا يفهمون.

قال إبراهيم أنا أكسر الأصنام إذا ذهب الناس،  
وحينئذ يفهم الناس.

#### ٤ - إِبْرَاهِيمُ يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ

وَجَاءَ يَوْمٌ عِيدٌ فَقَرَحَ النَّاسُ .  
وَخَرَجَ النَّاسُ لِلْعِيدِ وَخَرَجَ الْأَطْفَالُ .  
وَخَرَجَ وَالدُّ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : أَلَا تَخْرُجُ مَعَنَا ؟  
قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَنَا سَقِيمٌ !  
وَدَهَبَ النَّاسُ وَيَقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْبَيْتِ .  
وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْأَصْنَامِ ، وَقَالَ لِلْأَصْنَامِ : أَلَا  
تَكَلَّمُونَ ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ ؟  
هَذَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ ، أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ أَلَا تَشْرُبُونَ ؟  
وَسَكَتَتِ الْأَصْنَامُ لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَنْطِقُ .  
قَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ ٩٣ .  
وَسَكَتَتِ الْأَصْنَامُ وَمَا نَظَقَتْ .  
حِينَئِذٍ غَضِبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْفَأسَ .  
وَضَرَبَ إِبْرَاهِيمُ الْأَصْنَامَ بِالْفَأسِ وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ .  
وَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ الصَّنْمَ الْأَكْبَرَ وَعَلَقَ الْفَأسَ فِي عُنْقِهِ .

## ٥ - مَنْ فَعَلَ هَذَا؟

وَرَجَعَ النَّاسُ وَدَخَلُوا فِي بَيْتِ الْأَصْنَامِ .  
وَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَسْجُدُوا لِلْأَصْنَامِ لِأَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ .

وَلَكِنْ تَعَجَّبَ النَّاسُ وَدَهْشُوا .

وَتَائِفَّ النَّاسُ وَغَضِبُوا .

قَالُوا : «مَنْ فَعَلَ هَذَا إِنَّا نَاهِيَنَا» .

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَقَيْدَرُوهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ .

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا إِنَّا نَاهِيَنَا يَقِيرَاهِيمُ﴾ .

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَيْرُوهُمْ هَذَا فَشَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ﴾ .

وَكَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةً .

وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْحِجَارَةَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُنْطِقُ .

وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الصَّنْمَ الْأَكْبَرَ أَيْضًا حَجَرًّا .

وَأَنَّ الصَّنْمَ الْأَكْبَرَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِي وَيَتَحَرَّكَ .

وَأَنَّ الصَّنْمَ الْأَكْبَرَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكْسِرَ الْأَصْنَامَ .

فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تُنْطِقُ .

قال إِبْرَاهِيمُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ الْأَضْنَامَ وَإِنَّهَا لَا تَضُرُّ  
وَلَا تَنْفَعُ!!

وَكَيْفَ تَسْأَلُونَ الْأَضْنَامَ وَإِنَّهَا لَا تَنْطِقُ وَلَا تَسْمَعُ?  
أَلَا تَفْهَمُونَ شَيْئاً، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟.

وَسَكَتَ النَّاسُ وَخَجَلُوا!!.

## ٦ - نَارٌ بَارِدَةٌ

اجْتَمَعَ النَّاسُ وَقَالُوا: مَاذَا نَفْعَلُ؟  
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَسَرَ الْأَضْنَامَ وَأَهَانَ الْأَلِهَةَ!  
وَسَأَلَ النَّاسُ: مَا عِقَابُ إِبْرَاهِيمَ؟ مَا جَزَاءُ إِبْرَاهِيمَ؟  
كَانَ الْجَوابُ: «حَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا عَالَمَتَكُمْ».  
وَهَكَذَا كَانَ: أُوْقَدُوا نَاراً وَأَلْقَوْا فِيهَا إِبْرَاهِيمَ.  
وَلَكِنَّ اللَّهَ نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لِلنَّارِ:  
«يَنْكُرُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ».  
وَهَكَذَا كَانَ، كَانَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ النَّارَ لَا تَضُرُّ إِبْرَاهِيمَ.

وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَسْرُورٌ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَالِمٌ  
وَدَهِشَ النَّاسُ وَتَحْيَرُوا.

## ٧ - مَنْ رَبِّي؟

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إِبْرَاهِيمَ كَوْكَبًا، فَقَالَ: هَذَا رَبِّي.  
وَلَمَّا غَابَ الْكَوْكَبُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لا! هَذَا لَيْسَ بِرَبِّي!  
وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ الْقَمَرَ فَقَالَ: هَذَا رَبِّي.  
وَلَمَّا غَابَ الْقَمَرُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لا! هَذَا لَيْسَ بِرَبِّي!  
وَظَلَّعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ».  
وَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ فِي اللَّيْلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لا!  
هَذَا لَيْسَ بِرَبِّي.  
إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.  
إِنَّ اللَّهَ بَاقٍ لَا يَغِيبُ.  
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.  
وَالْكَوْكَبُ ضَعِيفٌ يَغْلِبُهُ الصُّبْحُ.  
وَالْقَمَرُ ضَعِيفٌ تَغْلِبُهُ الشَّمْسُ.

وَالشَّمْسُ ضَعِيفَةٌ يَغْلِبُهَا اللَّيْلُ وَيَغْلِبُهَا الْغَيْمُ.  
 وَلَا يَنْصُرُنِي الْكَوْكَبُ لَأَنَّهُ ضَعِيفٌ.  
 وَلَا يَنْصُرُنِي الْقَمَرُ لَأَنَّهُ ضَعِيفٌ.  
 وَلَا تَنْصُرُنِي الشَّمْسُ لَأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ.  
 وَيَنْصُرُنِي اللَّهُ.  
 لَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.  
 وَبَاقٍ لَا يَغِيَّبُ.  
 وَقَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.

#### ٨ - رَبُّي اللَّهُ

وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ.  
 لَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.  
 وَأَنَّ اللَّهَ بَاقٍ لَا يَغِيَّبُ.  
 وَأَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.  
 وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْكَوْكَبِ!  
 وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْقَمَرِ!

وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الشَّمْسِ!  
 وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ!  
 وَهَدَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا وَخَلِيلًا.  
 وَأَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ، أَن يَدْعُو قَوْمَهُ وَيَنْعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ  
 الْأَصْنَامِ.

### ٩ - دُعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ

وَدَعَاهَا إِبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ  
 الْأَصْنَامِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: مَا تَعْبُدُونَ؟  
 ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً﴾.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ:  
 ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾.  
 ﴿أَرَأَيْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَنْبَغِي لِإِلَهٍ أَنْ يَضْرُبَنَّ﴾ (٧٣).  
 ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا مَا يَأْمَنَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤).  
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَأَنَا لَا أَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ.  
 بَلْ أَنَا عَدُوُّ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ.

أَنَا أَعْبُدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي﴾ ٧٨

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِنِي﴾ ٧٩

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيٌ﴾ ٨٠

﴿وَالَّذِي يُمْسِكُنِي ثُمَّ يُخْبِيٌ﴾ ٨١

وَإِنَّ الْأَضْنَامَ لَا تَخْلُقُ وَلَا تَهْدِي.

وَإِنَّهَا لَا تُطِعِمُ أَحَدًا وَلَا تَسْقِي.

وَإِذَا مَرِضَ أَحَدٌ فَهِيَ لَا تَشْفِي.

وَإِنَّهَا لَا تُمْتَثِّلُ أَحَدًا وَلَا تُخْبِي.

## ١٠ - أَمَامُ الْمَلِكِ

كَانَ فِي الْمَدِينَةِ مَلِكٌ كَبِيرٌ جُدُّاً، وَظَالِمٌ جُدُّاً.

وَكَانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ.

وَسَمِعَ الْمَلِكُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَسْجُدُ لِلَّهِ وَلَا يَسْجُدُ لِأَحَدٍ  
فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَظَلَبَ إِبْرَاهِيمَ.

وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ لَا يَخَافُ أَحَدًا، إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ الْمَلِكُ : مَنْ رَبُّكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّ اللَّهِ !

قَالَ الْمَلِكُ : مَنْ اللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ ؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : « الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ». .

قَالَ الْمَلِكُ : « أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ ». .

وَدَعَا الْمَلِكُ رَجُلًا وَقَتَلَهُ .

وَدَعَا رَجُلًا آخَرَ وَتَرَكَهُ .

وَقَالَ : أَنَا أَخْيِي وَأَمِيتُ ، قَتَلْتُ رَجُلًا وَتَرَكْتُ رَجُلًا . وَكَانَ الْمَلِكُ بَلِيدًا جِدًا ، وَكَذِيلَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ .

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَفْهَمَ الْمَلِكُ ، وَيَفْهَمَ قَوْمُهُ : فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلِكِ : « قَالَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ». .

فَخَيَّرَ الْمَلِكُ وَسَكَتَ .

وَخَيَّلَ الْمَلِكُ ، وَمَا وَجَدَ حَوَابًا .

## ١١ - دَعْوَةُ الْوَالِدِ

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَدْعُوا وَالِدَهُ أَيْضًا، فَقَالَ لَهُ:  
﴿يَا أَبَتِ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْعَ وَلَا يَبْصُرُ﴾.

وَلَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ!!

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾!

يَا أَبَتِ اغْبُدِ الرَّحْمَنَ!

وَغَضِبَ وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ: أَنَا أَضْرِبُكَ، فَاثْرُكْنِي  
وَلَا تَقْلِ شَيْئًا.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ حَلِيمًا، فَقَالَ لِوَالِدِهِ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾.

وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَذْهَبُ مِنْ هُنَا وَأَدْعُو رَبِّي.

وَتَأْسَفُ إِبْرَاهِيمُ جِدًا، وَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَلْدٍ آخَرَ،  
وَيَعْبُدَ رَبَّهُ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ.

## ١٢ - إِلَى مَكَّةَ

وَغَضِبَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَغَضِبَ الْمَلِكُ وَغَضِبَ وَالِدُ  
إِبْرَاهِيمَ.

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى بَلْدٍ آخَرَ وَيَعْبُدَ فِيهِ اللَّهَ  
وَيَذْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ.

وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَلْدِهِ وَوَدَعَ وَالْدَّهُ.

وَقَصَدَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ هَاجِرُ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا عُشْبٌ وَلَا شَجَرٌ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بَشَرٌ وَلَا نَهْرٌ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا حَيَوانٌ وَلَا بَشَرٌ.

وَوَصَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَ فِيهَا.

وَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ زَوْجَهُ هَاجِرَ وَوَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمَّا  
أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَتْ زَوْجُهُ هَاجِرُ إِلَى أَيْنَ يَا  
سَيِّدِي؟ أَتَرْكُنِي هُنَا؟

أَتَرْكُنِي وَلَيْسَ هُنَا مَاءٌ وَلَا طَعَامٌ!

هَلْ أَمْرَكَ اللَّهُ بِهَذَا؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: نَعَمْ!

قَالَتْ: هَاجِرُ: إِذَا لَا يُضِيقُنَا!

## ١٣ - بئر زَمْرَم

وَعَطِشَ إِسْمَاعِيلُ مَرَّةً، وَأَرَادَتْ أُمُّهُ أَنْ تُسْقِيَهُ مَاءً  
وَلَكِنْ أَيْنَ الْمَاءُ؟ وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بِئْرٌ، وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا  
نَهْرٌ! وَكَانَتْ هَاجِرُ تَظْلِبُ الْمَاءَ وَتَجْرِي مِنَ الصَّفَا إِلَى  
الْمَرْوَةِ وَمِنَ الْمَرْوَةِ إِلَى الصَّفَا.

وَنَصَرَ اللَّهُ هَاجِرَ، وَنَصَرَ إِسْمَاعِيلَ، فَخَلَقَ لَهُمَا  
مَاءً وَخَرَجَ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ وَشَرِبَ إِسْمَاعِيلُ  
وَشَرِبَتْ هَاجِرُ وَبَقَيَ الْمَاءُ فَكَانَ بِئْرٌ زَمْرَمَ،  
فَبَارَكَ اللَّهُ فِي زَمْرَمَ وَهَذِهِ هِيَ الْبِئْرُ الَّتِي يَشْرَبُ  
مِنْهَا النَّاسُ فِي الْحَجَّ وَيَأْتُونَ بِمَاءِ زَمْرَمَ إِلَى  
بَلَدِهِمْ.

هَلْ شَرِبَتْ مَاءَ زَمْرَمَ؟

## ١٤ - رُؤْيا إِبْرَاهِيمُ

وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ مُدَّةً.

وَلَقِيَ إِسْمَاعِيلَ وَلَقِيَ هَاجِرَ، وَفَرَحَ إِبْرَاهِيمُ بِوَلَدِهِ

إِسْمَاعِيلَ. وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ وَلَدًا صَغِيرًا، يَجْرِي وَيَلْعَبُ  
وَيَخْرُجُ مَعَ وَالِدِهِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُحِبُّ إِسْمَاعِيلَ جَدًّا.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إِبْرَاهِيمُ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ  
إِسْمَاعِيلَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ نَيَاً صَادِقًا، وَكَانَ مَنَامُهُ مَنَامًا  
صَادِقًا. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلَ اللَّهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ مَا  
أَمْرَهُ اللَّهُ فِي الْمَنَامِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِإِسْمَاعِيلَ:

«إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى».

«قَالَ يَتَبَتَّ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ سَتَحْدُثُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ  
الصَّابِرِينَ».

وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ مَعَهُ وَأَخَذَ سِكِّينًا.

وَلَمَّا بَلَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنِّي، أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَ إِسْمَاعِيلَ.  
وَاضْطَجَعَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ  
يَذْبَحَهُ فَوَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى حُلُقُومِ إِسْمَاعِيلَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ  
يُحِبُّ أَنْ يَرَى هَلْ يَفْعَلُ خَلِيلُهُ مَا يَأْمُرُهُ وَهَلْ يُحِبُّ اللَّهُ

أَكْثَرَ أَوْ يُحِبُّ ابْنَهُ أَكْثَرَ . وَنَجَحَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْامْتِحَانِ .  
فَأَرْسَلَ اللَّهُ جِبْرِيلَ بِكَبْشٍ مِّنَ الْجَنَّةِ وَقَالَ اذْبَعْ هَذَا  
وَلَا تَذْبَعْ إِسْمَاعِيلَ .

وَأَحَبَّ اللَّهُ عَمَلَ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبْحِ فِي  
عِيدِ الْأَضْحَى .

صَلَّى اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَسَلَّمَ .  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَسَلَّمَ .

## ١٥ - الْكَعْبَةُ

وَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِي  
بَيْتًا لِّلَّهِ . وَكَانَتِ الْبُيُوتُ كَثِيرَةً وَمَا كَانَ بَيْتُ لِلَّهِ يَعْبُدُونَ  
فِيهِ اللَّهَ .

وَأَرَادَ إِسْمَاعِيلُ أَنْ يَبْنِي بَيْتًا لِّلَّهِ مَعَ وَالِدِهِ .  
وَنَقَلَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْحِجَارَةَ مِنَ الْجِبَالِ .  
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَبْنِي  
الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَدْعُو.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَدْعُو.

﴿وَرَبَّنَا تَقْبَلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وَتَقْبَلَ اللَّهُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَبَارَكَ فِي الْكَعْبَةِ.

نَحْنُ نَتَوَجَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

وَيُسَافِرُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي أَيَّامِ الْحَجَّ.

وَيُطْوِفُونَ بِالْكَعْبَةِ وَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا.

بَارَكَ اللَّهُ فِي الْكَعْبَةِ وَتَقْبَلَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَسَلَّمَ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ وَسَلَّمَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ.

## ١٦ - بَيْتُ الْمَقْدِسِ

وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ زَوْجٌ أُخْرَى، اسْمُهَا سَارَةُ. وَكَانَ

لِإِبْرَاهِيمَ وَلَدٌ آخَرٌ مِنْ سَارَةَ اسْمُهُ إِسْحَاقُ. وَسَكَنَ

إِبْرَاهِيمُ فِي الشَّامِ، وَسَكَنَ إِسْحَاقُ. وَبَنَى إِسْحَاقُ بَيْتًا لِلَّهِ

فِي الشَّامِ، كَمَا بَنَى أَبُوهُ وَأَخْوَهُ يَتَّا لِلَّهِ فِي مَكَّةَ.  
وَهَذَا الْمَسْجِدُ الَّذِي بَنَاهُ إِسْحَاقُ فِي الشَّامِ هُوَ بَيْتُ  
الْمَقْدِسِ.

وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللَّهُ حَوْلَهُ  
وَبَارَكَ اللَّهُ فِي أَوْلَادِ إِسْحَاقَ كَمَا بَارَكَ فِي أَوْلَادِ  
إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ وَمُلُوكٌ.

وَكَانَ لِإِسْحَاقَ وَلَدُّ اسْمُهُ يَعْقُوبٌ وَكَانَ نَبِيًّا.  
وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا، مِنْهُمْ يُوسُفُ بْنُ  
يَعْقُوبَ.

وَيُوسُفُ لَهُ قِصَّةٌ عَجِيْبَةٌ فِي الْقُرْآنِ.  
وَإِلَيْكَ هِذِهِ الْقِصَّةُ!



## أَخْسَنُ الْقَصَصِ

### ١ - رُؤْيَا عَجِيبَةٌ

كَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، وَكَانَ لَهُ أَحَدُ عَشَرَ أَخًا.  
وَكَانَ يُوسُفُ غُلَامًا جَمِيلًا، وَكَانَ يُوسُفُ غُلَامًا ذَكِيرًا،  
وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْرَتِهِ.  
ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى يُوسُفُ رُؤْيَا عَجِيبَةً.  
رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَرَأَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ  
يَسْجُدُ لَهُ.

تَعَجَّبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ كَثِيرًا! وَمَا فَهِمَ هَذِهِ الرُّؤْيَا كَيْفَ  
يَسْجُدُ الْكَوَافِكُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِرَجُلٍ؟ ذَهَبَ يُوسُفُ  
الصَّغِيرُ إِلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ وَحَكَى لَهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةَ.  
قَالَ: «يَا بَنَتِي إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ».

وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ نِيَّاً.

فَرَحَ يَعْقُوبُ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا كَثِيرًا.

وَقَالَ بَارِكَ اللَّهُ لَكَ يَا يُوسُفَ، فَسَيَكُونُ لَكَ شَانٌ.

هَذِهِ الرُّؤْيَا يُشَارَةٌ بِعِلْمٍ وَنُبُوَّةٍ.

وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى جَدِّكَ إِسْحَاقَ وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى  
جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ.

وَإِنَّهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ وَيُنْعِمُ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا، وَكَانَ يَعْرِفُ طَبائِعَ  
النَّاسِ. وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَغْلِبُ الشَّيْطَانُ، وَكَيْفَ يَلْعَبُ  
الشَّيْطَانُ بِالْإِنْسَانِ.

فَقَالَ يَا وَلَدِي، لَا تُخْبِرْ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا أَحَدًا مِنْ إِخْرَتِكَ  
فَإِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ وَيَكُونُونَ لَكَ عَدُواً.

## ٤ - حَسْدُ الِإِخْوَةِ

وَكَانَ يُوسُفُ لَهُ أَخٌ آخَرُ مِنْ أُمِّهِ اسْمُهُ بِنْيَامِينُ. وَكَانَ  
يَعْقُوبُ يُحِبُّهُمَا حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ لَا يُحِبُّ مِثْلَهُمَا أَحَدًا.

وَكَانَ الْإِخْرَوَةُ يَخْسُدُونَ يُوسُفَ وَبِنِيَّا مِينَ وَيَغْضِبُونَ،  
كَانُوا يَقُولُونَ: لِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبِنِيَّا مِينَ أَكْثَرَ؟ .

وَلِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبِنِيَّا مِينَ وَهُمَا صَغِيرَانِ  
صَعِيفَانِ؟ .

لِمَاذَا لَا يُحِبُّنَا مِثْلَ يُوسُفَ وَبِنِيَّا مِينَ نَحْنُ شُبَّانُ  
أَقْرِياءُ، هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ .

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، فَحَكَى الرُّؤْيَا لِإِخْرَوَتِهِ  
وَغَضِبَ الْإِخْرَوَةُ جِدًّا لَمَا سَمِعُوا الرُّؤْيَا وَأَشْتَدَ حَسَدُهُمْ .  
وَاجْتَمَعَ الْإِخْرَوَةُ يَوْمًا وَقَالُوا: اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ  
اظْرِحُوهُ أَرْضًا بَعِيدَةً .

جِئْنَيْذٍ يَكُونُ أَبُوكُمْ لَكُمْ خَالِصًا، وَيَكُونُ حُبُّهُ لَكُمْ  
خَالِصًا .

قَالَ أَحَدُهُمْ: لَا بَلْ أَلْقُوهُ فِي بَئْرٍ فِي طَرِيقٍ يَا خُذْهُ  
بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ .

وَوَاقَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْإِخْرَوَةِ .

## ٣ - وَفَدُّ إِلَى يَعْقُوبَ

وَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلَى هَذَا الرَّأْيِ جَاءُوا إِلَى يَعْقُوبَ .  
وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ  
الإِخْرَوَةَ يَحْسُدُونَهُ وَلَا يُحِبُّونَهُ .  
وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُرْسِلُ يُوسُفَ مَعَ الإِخْرَوَةِ . وَكَانَ  
يُوسُفُ يَلْعَبُ مَعَ أَخِيهِ وَلَا يَذْهَبُ بَعِيدًا .  
وَكَانَ الإِخْرَوَةَ يَغْرِفُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُمْ عَزَّمُوا عَلَى  
الشَّرِّ .

قَالُوا يَا أَبَانَا لِمَاذَا لَا تُرْسِلُ مَعَنَا يُوسُفَ؟ مَاذَا تَخَافُ؟ .  
هُوَ أَخُونَا الْعَزِيزُ، وَأَخُونَا الصَّغِيرُ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ أَبٍ .  
وَالإِخْرَوَةُ دَائِمًا يَلْعَبُونَ جَمِيعًا، فَلِمَاذَا لَا نَذْهَبُ نَحْنُ  
وَنَلْعَبُ جَمِيعًا؟

«أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٣﴾» .  
وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَكَانَ يَعْقُوبُ عَاقِلاً حَلِيمًا .  
وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ يُوسُفَ . وَكَانَ يَخَافُ  
عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا .

فَقَالَ لِأَبْنَائِهِ :

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَن شَرَّ عَنْهُ غَلِيلُونَ﴾ .  
قَالُوا : أَبَدًا ! كَيْفَ يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ ؟ وَكَيْفَ  
يَأْكُلُهُ ، وَنَحْنُ شُبَانٌ أَقْوِيَاءُ ؟  
وَأَذْنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ .

#### ٤ - إِلَى الْغَابَةِ

وَفَرَحَ الْإِنْجُوَةُ كَثِيرًا لَمَا أَذْنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ .  
وَدَهَبُوا إِلَى غَابَةٍ وَأَلْقَوْا يُوسُفَ فِي بَئْرٍ فِي الْغَابَةِ وَلَمْ  
يَرْحَمُوا يُوسُفَ الصَّغِيرَ ، وَلَمْ يَرْحَمُوا يَعْقُوبَ الشَّيْخَ  
الْكَبِيرَ .

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا ، وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا .  
وَكَانَتِ الْبَئْرُ عَمِيقَةً ، وَكَانَتِ الْبَئْرُ مُظْلِمَةً . وَكَانَ يُوسُفُ  
وَجِيدًا .

وَلَكِنَّ اللَّهَ بَشَّرَ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ : لَا تَخْرُنْ وَلَا تَخْفِ  
إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ ، وَسَيَكُونُ لَكَ شَانٌ .

سَيَخْضُرُ إِلَيْكَ الْإِخْوَةُ وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ. وَلَمَّا  
فَرَغُوا مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَلْقَوْا يُوسُفَ فِي الْبَئْرِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا:  
مَاذَا نَقُولُ لِأَبِينَا؟

قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ أَبُونَا يَقُولُ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ  
فَنَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ، وَاقْتَلَ الْإِخْوَةَ  
عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا نَعَمْ نَقُولُ لَهُ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ.

قَالَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ: وَلِكِنْ مَا آتَهُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: آتَهُ  
ذَلِكَ الدَّمُ.

وَأَخَذَ الْإِخْوَةُ كَبْشًا وَذَبَحُوهُ.

وَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَصَبَغُوهُ.

وَفَرَحَ الْإِخْوَةُ جِدًا: وَقَالُوا الآنْ يُصَدِّقُ أَبُونَا.

## ٥ - أَهَامَ يَغْقُوبَ

﴿وَجَاءَهُ وَأَبَاهُمْ عِشَاءَ يَنْكُونُ﴾ 

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَثِقُ وَرَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ  
مَكْتَبَنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ﴾.

﴿وَجَاءُوهُ عَلَىٰ قَمِيصِهِ يَدْمُرُ كَذِبً﴾ وَقَالُوا هَذَا دَمُ  
يُوسُفَ!

وَكَانَ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ نَيْئَاً، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا. وَكَانَ  
أَعْقَلَ مِنْ أَوْلَادِهِ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْرِفُ أَنَّ الذِّئْبَ إِذَا أَكَلَ إِنْسَانًا جَرَحَهُ  
وَشَقَّ قَمِيصَهُ.

وَكَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ سَالِمًا. وَكَانَ مَصْبُوغاً فِي الدَّمِ  
فَعَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ دَمُ كَذِبٍ، وَأَنَّ قِصَّةَ الذِّئْبِ قِصَّةٌ  
مَوْضُوعَةٌ.

فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: بَلْ هَذِهِ قِصَّةٌ وَضَعَفْتُمُوهَا «فَصَبَرَ»  
جَيْلٌ﴾ وَحَزِنَ يَعْقُوبُ عَلَىٰ يُوسُفَ حُزْنًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ  
صَبَرَ صَبِرًا جَيْلًا.

## ٦ - يُوسُفُ فِي الْبَئْرِ

وَرَجَعَ الإِخْرَوَةُ إِلَى الْبَيْتِ، وَتَرَكُوا يُوسُفَ فِي الْبَئْرِ  
وَأَكَلَ الإِخْرَوَةُ الطَّعَامَ، وَنَامُوا عَلَى الْفِرَاشِ. وَيُوسُفُ فِي

البئر، ولا فِرَاشَ وَلَا طَعَامَ. وَنَسِيَ الْإِخْرَانُ يُوسُفَ،  
وَنَامُوا.

وَمَا نَامَ يُوسُفُ، وَمَا نَسِيَ أَحَدًا.

وَبَقَى يَعْقُوبُ يَذْكُرُ يُوسُفَ، وَبَقَى يُوسُفُ يَذْكُرُ  
يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يُوسُفُ فِي الْبَئْرِ وَكَانَتِ الْبَئْرُ عَمِيقَةً. وَكَانَتِ  
الْبَئْرُ فِي الْغَابَةِ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوْجَشَةً وَكَانَ ذَلِكَ فِي  
اللَّيْلِ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا.

## ٧ - مِنَ الْبَئْرِ إِلَى الْقَصْرِ

وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ تُسَافِرُ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ. وَعَطَشُوا فِي  
الْطَّرِيقِ، وَبَحَثُوا عَنْ بَئْرٍ.

وَرَأَوْا بَئْرًا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا رَجُلًا لِيَأْتِيَ لَهُمْ  
بِالْمَاءِ.

جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَئْرِ، وَأَذْلَى دَلْوَهُ.  
وَنَزَعَ الدَّلْوَ، فَإِذَا الدَّلْوُ ثَقِيلَةٌ!

وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِي الدَّلْوِ غُلامٌ!

دَهِشَ الرَّجُلُ وَنَادَى.

﴿يَبُشِّرَى هَذَا غُلَمٌ﴾.

وَفَرَحَ النَّاسُ جِدًا وَأَخْفَوْهُ.

وَوَصَلُوا إِلَى مِصْرَ، وَقَامُوا فِي السُّوقِ وَنَادُوا: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلامَ؟ مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلامَ؟

اشْتَرَى الْعَزِيزُ يُوسُفَ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ. وَبَاعَهُ التُّجَارُ  
وَمَا عَرَفُوا يُوسُفَ.

وَذَهَبَ بِهِ الْعَزِيزُ إِلَى قَضْرِهِ، وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي  
يُوسُفَ، إِنَّهُ وَلَدُ رَشِيدٍ.

## ٨ - الْوَفَاءُ وَالْأَمَانَةُ

وَرَأَوَدْتُ امْرَأَةً الْعَزِيزَ يُوسُفَ عَلَى الْخِيَانَةِ. وَلَكِنَّ  
يُوسُفَ أَبَى، وَقَالَ: كَلا!

أَنَا لَا أَخُونُ سَيِّدِي، إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَكْرَمَنِي.  
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.

وَغَضِبَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَشَكَتْ إِلَى زَوْجِهَا. وَعَرَفَ  
الْعَزِيزُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَاذِبَةً.

وَعَرَفَ أَنَّ يُوسُفَ أَمِينٌ.

فَقَالَ لِزَوْجِهِ: «إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ». وَعَرَفَ يُوسُفُ فِي مِضْرِبِ بِحَمَالِهِ، وَإِذَا رَأَاهُ أَحَدٌ قَالَ:  
«مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ». وَاشْتَدَّ غَضَبُ  
الْمَرْأَةِ وَقَالَتْ لِيُوسُفَ:  
إِذْنُ تَذَهَّبَ إِلَى السُّجْنِ!

قَالَ يُوسُفُ: «السُّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ!».

وَبَعْدَ أَيَّامٍ رَأَى الْعَزِيزُ أَنَّ يُرْسِلَ يُوسُفَ إِلَى السُّجْنِ.  
وَكَانَ الْعَزِيزُ يَعْرِفُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ.  
وَدَخَلَ يُوسُفُ السُّجْنَ.

## ٩ - مَوْعِظَةُ السُّجْنِ

وَدَخَلَ يُوسُفُ السُّجْنَ، وَعَرَفَ أَهْلُ السُّجْنِ جَمِيعًا  
أَنَّ يُوسُفَ شَابٌ كَرِيمٌ.

وَأَنَّ يُوسُفَ عِنْدَهُ عِلْمٌ عَظِيمٌ .  
 وَأَنَّ يُوسُفَ فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ رَحِيمٌ .  
 وَأَحَبَّ أَهْلَ السَّجْنِ يُوسُفَ وَأَكْرَمُوهُ .  
 وَفَرَحَ النَّاسُ بِيُوسُفَ وَعَظَمُوهُ .  
 وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ رَجُلَانِ وَقَصَا عَلَيْهِ رُؤْيَا هُمَا ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَى نَفْرَةً أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ .  
 ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَى نَفْرَةً أَخْيَلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الظَّيْرَ  
 مِنْهُ﴾ .  
 وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنِ التَّأْوِيلِ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ عَالِمًا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا .  
 وَكَانَ يُوسُفُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .  
 وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ .  
 وَوَضَعُوا أَرْبَابًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ .  
 وَقَالُوا هَذَا رَبُّ الْبَرِّ، وَهَذَا رَبُّ الْبَحْرِ، وَهَذَا رَبُّ  
 الرِّزْقِ، وَهَذَا رَبُّ الْمَطَرِ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى كُلَّ ذَلِكَ وَيَضْحَكُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَتَكَبَّرُ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ يُرِيدُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى اللَّهِ .  
 وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي السَّجْنِ .  
 أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السَّجْنِ الْمُؤْعِظَةَ ؟  
 أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السَّجْنِ الرَّحْمَةَ ؟  
 أَلَيْسَ أَهْلُ السَّجْنِ عِبَادَ اللَّهِ ؟  
 أَلَيْسَ أَهْلُ السَّجْنِ بَنِي آدَمَ ؟  
 كَانَ يُوسُفُ فِي السَّجْنِ وَلَكِنَّهُ كَانَ حُرًّا جَرِيشًا .  
 كَانَ يُوسُفُ فَقِيرًا وَلَكِنَّهُ كَانَ جَوَادًا سَخِيًّا .  
 إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجْهَرُونَ بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ .  
 إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجْهُودُونَ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

## ١٠ - حِكْمَةُ يُوسُفَ

قَالَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ :  
 إِنَّ الْحَاجَةَ سَاقَتِ الرِّجْلَيْنِ إِلَيَّ .  
 وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَلِيقُ وَيَخْضَعُ .

وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يُطِيعُ وَيَسْمَعُ .  
 فَلَوْ قُلْتُ لَهُمَا شَيْئًا لَسَمِعَا وَسَمِعَ أَهْلُ السِّجْنِ وَلَكِنَّ  
 يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ .  
 بَلْ قَالَ لَهُمَا :  
 أَنَا أُخْبِرُكُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا طَعَامُكُمَا .  
 فَجَلَسَا وَاطْمَأْنَانًا .  
 ثُمَّ قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ :  
 أَنَا عَالِمٌ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا ، «ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمَنِي رَبِّي»  
 فَقَرِيرًا وَاطْمَأْنَانًا .  
 وَهُنَا وَجَدَ يُوسُفُ الْفُرْصَةَ فَبَدَأَ مَوْعِظَتَهُ .

### ١١ - مَوْعِظَةُ التَّوْحِيدِ

قَالَ يُوسُفُ : «ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمَنِي رَبِّي» .  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ كُلَّ أَحَدٍ .  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ الْمُشْرِكَ .  
 هَلْ تَعْرِفَانِ لِمَاذَا عَلِمَنِي رَبِّي ؟

لَأَنِّي تَرَكْتُ طَرِيقَ أَهْلِ الشَّرْكِ.

»وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ أَبَاءِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ«.

»مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ«.

قَالَ يُوسُفُ:

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَيْسَ لَنَا فَقَطْ.

بَلْ هُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعاً.

»ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ«.

وَهُنَا وَقَفَ يُوسُفُ وَسَأَلَهُمَا.

تَقُولُونَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَخْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ  
الْمَطَرِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

»أَزَبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ«.

أَيْنَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَخْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ؟

»أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ«.

أَنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَى السَّمَاءِ وَانْظُرُوا إِلَى الإِنْسَانِ.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ .  
وَكَيْفَ رَبُّ الْبَرِّ، وَرَبُّ الْبَحْرِ، وَرَبُّ الرِّزْقِ، وَرَبُّ  
الْمَطَرِ !!

أَسْمَاءُ، ﴿سَمِّيَ شَوْهَدًا أَنْتَ وَهَا بَآفُوكُمْ﴾ .  
الْحُكْمُ لِلَّهِ، الْمُلْكُ لِلَّهِ، الْأَرْضُ لِلَّهِ، الْأَمْرُ لِلَّهِ.  
﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانًا﴾ .  
﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ﴾ .  
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

## ١٢ - تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا

وَلَمَّا فَرَغَ يُوسُفُ مِنْ مَوْعِظَتِهِ أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا  
قَالَ : ﴿أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْتَقِي رَبِّهِ خَمْرًا﴾ .  
﴿وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ .  
وَقَالَ لِلأَوَّلِ : ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ .  
وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ سَاقِيًّا لِلْمَلِكَ وَصُلِّبَ  
الْآخَرُ .

وَتَسِيَ السَّاقِي أَنْ يَذْكُرْ يُوسُفَ عِنْدَ الْمَلِكِ.

وَأَقَامَ يُوسُفَ فِي السُّجْنِ سِنِينَ.

### ١٣ - رُؤْيَا الْمَلِك

وَرَأَى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيَا عَجِيَّةً.

رَأَى فِي الْمَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ.

وَيَأْكُلُ هَذِهِ الْبَقَرَاتِ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ.

وَرَأَى الْمَلِكُ سَبْعَ سُبُّلَاتٍ خُضْرٍ وَسَبْعَ سُبُّلَاتٍ يَابِسَاتٍ.

تَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا العَجِيَّةِ وَسَأَلَ جُلْسَاءَهُ عَنْ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا.

قَالُوا: هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، النَّائِمُ يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.

وَلَكِنْ قَالَ السَّاقِي: لَا، بَلْ أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا.

وَذَهَبَ السَّاقِي إِلَى السُّجْنِ وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَا الْمَلِكِ.

كَانَ يُوسُفُ حَوَاداً كَرِيمًا مُشْفِقًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ  
فَأَخْبَرَهُ بِالثَّاوِيلِ .

وَكَانَ يُوسُفُ حَوَاداً كَرِيمًا لَا يَعْرِفُ الْبُخْلَ .

فَأَخْبَرَ يُوسُفَ بِالثَّاوِيلِ وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ .

قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ، وَأَتْرُكُوا مَا حَصَدْتُمْ فِي  
سِنِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ .

وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ قَحْظٌ عَامٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مَا خَرَّنْتُمْ إِلَّا  
قَلِيلًا .

وَيَطُولُ هَذَا الْقَحْظُ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي النَّصْرُ وَيُخْصِبُ النَّاسَ .

وَذَهَبَ السَّاقِي وَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِثَاوِيلِ رُؤْيَاهُ .

#### ١٤ - الْمَلِكُ يُرْسَلُ إِلَى يُوسُفَ

وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا الثَّاوِيلَ وَالتَّدْبِيرَ فَرِحَ جَدًا ،  
وَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ هَذَا الثَّاوِيلِ ؟

وَقَالَ الْمَلِكُ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي نَصَحَ لَنَا  
وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ ؟

قَالَ السَّاقِيُّ : هَذَا يُوسُفُ الصَّدِيقُ وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ  
أَنِّي سَأَكُونُ سَاقِيًّا لِسَيِّدِي الْمَلِكِ .

وَأَشْتَاقَ الْمَلِكُ إِلَى لِقَاءِ يُوسُفَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى  
يُوسُفَ ، وَقَالَ الْمَلِكُ : ﴿أَتَثُوِّي بِهِ أَسْتَحْلِضُهُ لِنَفِيٍّ﴾ .

## ١٥ - يُوسُفُ يَسْأَلُ التَّفْتِيشَ

وَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْمَلِكَ  
يَدْعُوكَ !

مَا رَضِيَ يُوسُفُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السُّجْنِ هَكَذَا . وَيَقُولُ  
النَّاسُ هَذَا يُوسُفُ ! هَذَا كَانَ أَمْسِ فِي السُّجْنِ ، إِنَّهُ خَانَ  
الْعَزِيزَ .

إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ النَّفْسِ أَبِيَا ، إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ  
الْعَقْلِ ذَكِيَاً .

لَوْ كَانَ أَحَدُ مَكَانَ يُوسُفَ فِي السُّجْنِ وَجَاءَهُ رَسُولُ  
الْمَلِكِ . وَقَالَ لَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ  
وَيَسْتَظِرُوكَ لِأَسْرَعَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى بَابِ السُّجْنِ وَخَرَجَ .

وَلَكِنْ يُوسُفَ لَمْ يُسْرِعْ .  
 وَلَكِنْ يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ .  
 بَلْ قَالَ لِرَسُولِ الْمَلِكِ: أَنَا أُرِيدُ التَّفْتِيشَ أَنَا أُرِيدُ  
 الْبَحْثَ عَنْ قَضِيَّتي .  
 وَسَأَلَ الْمَلِكُ عَنْ يُوسُفَ وَعَلِمَ الْمَلِكُ وَعَلِمَ النَّاسُ  
 أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ .  
 وَخَرَجَ يُوسُفُ بَرِئًا وَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ .

## ١٦ - عَلَى حَزَائِنِ الْأَرْضِ

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمَانَةَ قَلِيلَةٌ فِي النَّاسِ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْخِيَانَةَ كَثِيرَةٌ فِي النَّاسِ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى أَنَّ النَّاسَ يُخُونُونَ فِي أَمْوَالِ اللَّهِ .  
 وَكَانَ يَرَى أَنَّ فِي الْأَرْضِ حَزَائِنَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّهَا  
 ضَائِعَةٌ .  
 إِنَّهَا ضَائِعَةٌ لِأَنَّ الْأُمَرَاءَ<sup>(١)</sup> لَا يَخَافُونَ اللَّهَ فِيهَا .

(١) الولاة وأصحاب الأمر.

فَتَأْكُلُ كِلَابُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَأْكُلُونَ. وَتَلْبَسُ  
بَيْوَتُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَلْبِسُونَ.

وَلَا يَنْفَعُ النَّاسُ بِخَرَائِنِ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ كَانَ حَفِظًا  
عَلَيْهَا.

وَمَنْ كَانَ حَفِظًا وَمَا كَانَ عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُ أَيْنَ خَرَائِنُ  
الْأَرْضِ وَكَيْفَ يَتَسْقُطُ بِهَا.

وَمَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَمَا كَانَ حَفِظًا يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَخُونُ  
فِيهَا.

وَكَانَ يُوسُفُ حَفِظًا عَلَيْهَا.

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَرَكَ الْأَمْرَاءَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ  
النَّاسِ.

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى النَّاسَ يَجْوَعُونَ  
وَيَمْوِتونَ.

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ :

«أَجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْهِ».

وَهَكَذَا كَانَ يُوسُفُ أَمِينًا لِخَزَائِنِ مِصْرَ .  
وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ حِدًّا وَحَمِدُوا اللَّهَ .

## ١٧ - جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

وَكَانَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ مَجَاعَةٌ كَمَا أَخْبَرَ يُوسُفُ .  
وَسَمِعَ أَهْلُ الشَّامِ وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ رَجُلًا  
رَحِيمًا . وَأَنَّ فِي مِصْرَ جَوادًا كَرِيمًا ، وَهُوَ عَلَى خَزَائِنِ  
الْأَرْضِ .

وَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ الطَّعَامَ<sup>(١)</sup> وَأَرْسَلَ  
يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ بِالْمَالِ لِيَأْتُوا بِالطَّعَامِ .  
وَيَقِيَ بِنِيَامِينُ عِنْدَ وَالِدِهِ لَا أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُحِبُّهُ حِدًّا .  
وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْعَدَ عَنْهُ وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَيْهِ كَمَا  
كَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ .

وَتَوَجَّهَ إِخْرَوْهُ يُوسُفَ إِلَى يُوسُفَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ  
أَخْوَهُمْ يُوسُفَ .

(١) الحبوب .

وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُوسُفُ الَّذِي كَانَ فِي الْبَئْرِ .

وَهُمْ يَظْنُونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .

وَكَيْفَ لَا يَمُوتُ وَقَدْ كَانَ فِي الْبَئْرِ .

كَانَ فِي الْبَئْرِ وَكَانَتِ الْبَئْرُ عَمِيقَةً .

وَكَانَتِ الْبَئْرُ فِي الْغَابَةِ ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِماً .

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُمْ مُنْكِرُونَ﴾ .

كَانُوا مُنْكِرِينَ لِيُوسُفَ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَلَكِنْ مَا أَنْكَرَهُمْ يُوسُفُ بَلْ عَرَفَهُمْ .

عَرَفَ يُوسُفَ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَلْقُوا فِي الْبَئْرِ .

وَأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ قَتْلَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَهُ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئاً وَلَمْ يَفْضُحُهُمْ .

## ١٨ - بَيْنَ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ

وَكَلَمَهُمْ يُوسُفُ وَقَالَ لَهُمْ :

مِنْ أَنَّيْنَ أَنْتُمْ؟

قَالُوا : مِنْ كَنْعَانَ!

قَالَ : مَنْ أَبُوكُمْ؟

قَالُوا : يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمُ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ).

قَالَ : هَلْ لَكُمْ أَخْ آخَرُ؟

قَالُوا : نَعَمْ لَنَا أَخْ اسْمُهُ بِنْيَامِينُ!

قَالَ : لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ مَعَكُمْ؟

قَالُوا : لَأَنَّ وَالِدَنَا لَا يَتَرُكُهُ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعَدَ عَنْهُ.

قَالَ : لَأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتَرُكُهُ، هَلْ هُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جِدًا؟

قَالُوا : لَا : وَلَكِنْ كَانَ لَهُ أَخْ اسْمُهُ يُوسُفُ، ذَهَبَ مَعَنَا  
مَرَّةً، وَذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذُّبْ.

وَضَرِحَ يُوسُفُ فِي تَفْسِيرِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا وَاشْتَاقَ

يُوسُفُ إِلَى أَخِيهِ بِنْيَامِينَ .

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمْتَحِنَ يَعْقُوبَ مَرَّةً ثَانِيَةً.

فَأَمَرَ لَهُمْ يُوسُفُ بِالطَّعَامِ.

وَقَالَ لَهُمْ: «أَتَنُونِي بِأَخَنِ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمْ».

وَلَا تَجِدُونَ طَعَاماً إِذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ.

وَأَمَرَ يُوسُفُ بِمَا لَهُمْ فَوْضَعَ فِي مَتَاعِهِمْ.

## ١٩ - بَيْنَ يَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ

وَرَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِالْخَيْرِ وَقَالُوا لَهُ: أَرْسِلْ  
مَعَنَا أَخَانَا، وَإِلَّا لَا نَجِدُ خَيْرًا عِنْدَ الْعَزِيزِ.

وَظَلَّبُوا مِنْ يَعْقُوبَ بِنِيَامِينَ وَقَالُوا: «وَلَا لَهُ  
لَحْفَظُونَ».

قَالَ يَعْقُوبُ: «هَلْ أَمْشَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْشَكْتُمْ عَلَيْهِ  
أَخِيهِ مِنْ قَبْلٍ».

هَلْ تَسِيِّمُ قَصَّةَ يُوسُفَ، أَتَحْفَظُونَ بِنِيَامِينَ كَمَا  
حَفَظْتُمْ يُوسُفَ.

«فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظَهُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

وَوَجَدُوا مَا لَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ فَقَالُوا لَأَيْهِمْ: إِنَّ الْعَزِيزَ  
رَجُلٌ كَرِيمٌ، قَدْ رَدَ مَا لَنَا وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَّا ثَمَنًا.

أَرْسِلْ مَعَنَا بِنِيَامِينَ نَأْخُذْ حَقَّهُ أَيْضًا.

قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تَعَااهِدُوا اللَّهَ  
أَنَّكُمْ تَرْجِعُونَ يَهُ إِلَّا أَنْ تُغْلِبُوا عَلَى أَمْرِكُمْ.

وَعَااهَدُوا اللَّهَ وَقَالَ يَعْقُوبُ: «اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ».

وَقَالَ يَعْقُوبُ لِبِنِيَاهِ: «يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدْرٍ  
وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ».

## ٤٠ - بِنِيَامِينَ عِنْدَ يُوسُفَ

وَدَخَلَ الْإِخْرَاجَ مِنْ أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا أَمْرَهُمْ أَبُوهُمْ  
وَوَصَلُوا إِلَى يُوسُفَ.

وَلَمَّا رَأَى يُوسُفَ بِنِيَامِينَ فَرَحَ جِدًا وَأَنْزَلَهُ فِي بَيْتِهِ.  
وَقَالَ يُوسُفُ لِبِنِيَامِينَ: «إِنِّي أَنَا أَخْوَكَ» وَاطْمَأَنَّ  
بِنِيَامِينَ. وَلَقِيَ يُوسُفَ بِنِيَامِينَ بَعْدَ زَمْنٍ طَوِيلٍ فَذَكَرَ أُمَّهَ  
وَأَبَاهُ وَذَكَرَ بَيْتَهُ وَذَكَرَ صِغرَهُ.

وَأَرَادَ يُوسُفَ أَنْ يَبْقَىٰ عِنْدَهُ بِنِيَامِينُ يَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ  
وَيُكَلِّمُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَيْتِهِ.

وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ، وَبِنِيَامِينُ رَاجِعٌ غَدَّاً  
إِلَى كَنْعَانَ؟

وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ وَالإخْوَةُ عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَىٰ أَنْ  
يَرْجِعُوا بِهِ مَعَهُمْ؟

وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِيُوسُفَ أَنْ يَخْبِسَ بِنِيَامِينَ عِنْدَهُ بِغَيْرِ  
سَبِيلٍ؟

وَيَقُولُ النَّاسُ: قَدْ حَبَسَ الْعَزِيزُ عِنْدَهُ كَنْعَانِيَا بِغَيْرِ  
سَبِيلٍ، إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وَلَكِنْ يُوسُفَ كَانَ ذِكِيرًا عَاقِلاً.

كَانَ عِنْدَ يُوسُفَ إِنَاءٌ ثَمِينٌ، وَكَانَ يَشْرَبُ فِيهِ. وَضَعَ  
هَذَا الإِنَاءُ فِي مَتَاعِ بِنِيَامِينَ وَأَذْنَ مُؤَذْنٌ إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ.

وَالْتَّفَتَ الإِخْوَةُ، وَقَالُوا مَاذَا تَفْقِدُونَ؟

قَالُوا: نَفَقْدُ صُوَاعَ (إِنَاءَ) الْمَلِكِ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ  
بِغَيْرِ.

﴿قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُم مَا حِشْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴾٧٣﴾.

﴿قَالُوا فَمَا جَرَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴾٧٤﴾؟

﴿قَالُوا جَرَوْهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ كَذَّاكَ نَجَزِي الظَّالِمِينَ ﴾٧٥﴾.

وَخَرَجَ الْإِنْاءُ مِنْ مَتَاعِ بَنِيَامِينَ فَخَجَلَ الْإِخْرَوَةُ وَلَكِنْ قَالُوا مِنْ غَيْرِ خَجَلٍ:  
إِنْ يَسْرِقُ (بَنِيَامِينُ) فَقَدْ سَرَقَ أَخُوهُ (يُوسُفُ) مِنْ قَبْلٍ.

وَسَمِعَ يُوسُفُ هَذَا الْبُهْتَانَ فَسَكَتَ وَلَمْ يَغْضَبْ وَكَانَ يُوسُفُ كَرِيمًا حَلِيمًا.

﴿قَالُوا يَكْأِبُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَيْرًا فَخُذْ أَهْدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَكَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ ﴾٧٦﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَلَمْنَا مَا

وَهَكَذَا بَقَى بَنِيَامِينُ عِنْدَ يُوسُفَ وَفَرَحَ الْأَخْرَوَانِ جَمِيعًا.

إِنَّ يُوسُفَ كَانَ وَحِيداً مِنْذُ زَمِنٍ طَوِيلٍ لَا يَرَى أَحَدًا  
مِنْ أَهْلِهِ.

وَقَدْ سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِنِيَامِينَ أَفَلَا يَخْبِسُهُ عِنْدَهُ يَرَاهُ  
وَيُكَلِّمُهُ. وَهَلْ مِنَ الظُّلْمِ أَنْ يُقْسِمَ أَخْرُونَ عِنْدَ أَخِيهِ. أَبَدًا؟  
أَبَدًا؟

## ٢١ - إِلَى يَعْقُوبَ

وَتَحِيرَ الإِخْرَوَةُ كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَى أَيْسِهِمْ؟!  
وَفَكَرَ الإِخْرَوَةُ مَاذَا يَقُولُونَ لِأَيْسِهِمْ؟!  
إِنَّهُمْ فَجَعَوْهُ أَمْسِ فِي يُوسُفَ، أَفَيَفَجَعُونَهُ الْيَوْمَ فِي  
بِنِيَامِينَ!

أَمَا كَبِيرُهُمْ فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى يَعْقُوبَ وَقَالَ لِإِخْرَوَتِهِ:  
﴿أَرْجِعُوا إِلَيْكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا  
شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفَظِينَ ﴾ (٨١).  
وَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ الْقِصَّةَ عَلِمَ أَنَّ لِلَّهِ يَدًا فِي ذَلِكَ.  
وَأَنَّ اللَّهَ مُمْتَحِنٌهُ.

أَمْسِ فُجَعَ فِي يُوسُفَ وَالْيَوْمَ يُفْجَعُ فِي بَنِيَامِينَ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَيْنِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْجَعُهُ  
فِي أَبْنَيْنِ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْجَعُهُ فِي أَبْنَيْنِ كَيُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ.

إِنَّ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ يَدًا خَفِيَّةً.

إِنَّ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ حِكْمَةً مَخْفِيَّةً.

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ يَمْتَحِنُ عِبَادَةً ثُمَّ يَسْرُهُمْ وَيُنْعِمُ  
عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الابْنَ الْكَبِيرَ بَقِيَ فِي مِضْرَأً أَيْضًا وَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ  
إِلَى كَنْعَانَ.

أَفَيُفْجَعُ فِي الثَّالِثِ أَيْضًا وَقَدْ فُجِعَ مِنْ قَبْلُ فِي اثْنَيْنِ.  
إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ.

وَهُنَا اظْمَانٌ يَعْقُوبُ وَقَالَ:

«عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهُنَّ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ  
الْحَكِيمُ».

وَلِكُنَّ يَعْقُوبَ كَانَ بَشَرًا فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ بَشَرٌ لَا قِطْعَةُ حَجَرٍ.

فَذَكَرَ يُوسُفَ وَتَجَدَّدَ حُزْنُهُ وَقَالَ: «يَا سَفِى عَلَى يُوسُفَ». وَلَامَهُ أَبْنَاؤُهُ وَقَالُوا إِنَّكَ لَا تَرَأْلُ تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَهْلِكَ.

قَالَ يَعْقُوبُ: «إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ الْيَأسَ كُفْرٌ، وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ رَجَاءً كَبِيرًا فِي اللَّهِ.

وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ لِيَبْخَثُوا عَنْ يُوسُفَ وَبِنِيَامِينَ وَيَجْتَهِدُوا فِي ذَلِكَ.

وَمَنْعَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ أَنْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَذَهَبَ الْإِخْوَةُ إِلَى مِصْرَ مَرَّةً ثَالِثَةً.

وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ وَشَكَوْا إِلَيْهِ فَقْرَهُمْ وَمُصِيبَتَهُمْ وَسَأَلُوهُ الْفَضْلَ.

وَهُنَا هَاجِ الْحُزْنُ وَالْحُبُّ فِي يُوسُفَ وَلَمْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ.  
أَبْنَاءُ أَبِيهِ وَأَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ يَشْكُونَ فَقَرَهُمْ وَمُصِيبَتُهُمْ إِلَى  
مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ.

إِلَى مَتَى أَخْفِي الْأَمْرَ عَنْهُمْ وَإِلَى مَتَى أَرَى حَالَهُمْ  
وَإِلَى مَتَى لَا أَرَى أَبِيهِ؟  
لَمْ يَمْلِكْ يُوسُفَ نَفْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ .

﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَلَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾  
وَكَانَ الْإِخْرَوَةُ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا السَّرُّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا يُوسُفُ  
وَنَحْنُ .

فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُوسُفُ .  
سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ يُوسُفُ حَيٌّ، أَمَّا مَاتَ فِي الْبَئْرِ. يَا  
سَلامًا! هَلْ يُوسُفُ هُوَ عَزِيزٌ مِضْرَ؟  
هُوَ الَّذِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ?  
هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْمُرُ لَنَا بِالطَّعَامِ?  
وَمَا يَقْرَى عِنْدَهُمْ شَكٌ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ هُوَ يُوسُفُ بْنُ  
يَعْقُوبَ!

﴿قَالُوا أَئْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾.

قال: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِيٌّ قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا  
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ وَيَصْدِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا تَالَّهِ لَقَدْ ءَاثَرْتَ اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كَثُرَ  
لَخَطِطِينَ﴾ ٩١) وَمَا لَامَهُمْ يُوسُفُ عَلَى فَعَلَاتِهِمْ، بَلْ  
قال: ﴿يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

## ٢٣ - يُوسُفُ يُؤْسِلُ إِلَى يَعْقُوبَ

وَاشْتَاقَ يُوسُفُ إِلَى لِقَاءِ يَعْقُوبَ، وَكَيْفَ لَا يَشْتَاقُ  
إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ.

وَلِمَاذَا يَصْبِرُ الآنَ وَقَدْ ظَهَرَ السُّرُّ.

وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ الشَّرَابُ وَالطَّعَامُ وَأَبُوهُ لَا يَطِيبُ لَهُ  
شَرَابٌ وَلَا طَعَامٌ وَلَا مَنَامٌ.

قَدِ انْكَشَفَ السُّرُّ، وَقَدْ ظَهَرَ السُّرُّ، وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ  
تَقْرَرَ عَيْنُ يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ عَمِيَ مِنْ كُثْرَةِ الْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ فَقَالَ  
يُوسُفُ :

﴿أَذْهَبُوا يَقْمِصُونِي هَذَا فَالْقُوَّهُ عَلَيَّ وَجْهِهِ أَيْ يَأْتِ بَصِيرَكَ  
وَأَتُؤْفِي إِلَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . (٩٣)

## ٤٤ - يَعْقُوبُ عِنْدَ يُوسُفَ

وَلَمَّا سَارَ الرَّجَالُ يَقْمِصُ يُوسُفَ إِلَى كَنْعَانَ، أَخْسَى  
يَعْقُوبُ رَأْيَهُ يُوسُفَ، وَقَالَ: «إِنِّي لَا أَحْدُ رِيحَ  
يُوسُفَ». (٩٤)

﴿قَالُوا تَالَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَمَا فِي الْقَدِيرِ﴾ . (٩٥)  
وَلِكِنْ كَانَ يَعْقُوبُ صَادِقًا، «فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْفَتَهُ  
عَلَيَّ وَجْهِهِ فَأَزْتَدَ بَصِيرَكَ قَالَ أَتَمْ أَقُلُّ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ  
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ». (٩٦)

﴿قَالُوا يَا أَبا نَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبِنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ . (٩٧)

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ﴾ . (٩٨)

وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى مِصْرَ اسْتَقْبَلَهُ يُوسُفُ، وَلَا  
تَسْأَلْ عَنْ فَرَجِهِمَا وَسُرُورِهِمَا.

وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا فِي مِصْرَ وَكَانَ يَوْمًا مُبَارِكًا. وَرَفَعَ  
يُوسُفُ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَوَقَعُوا كُلُّهُمْ سُجَّدًا لِيُوسُفَ.  
وَقَالَ يُوسُفُ: «هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَيِّ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي  
حَقًّا».

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي  
سَاجِدِينَ﴾.

وَحَمِدَ يُوسُفَ اللَّهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا.  
وَشَكَرَ يُوسُفَ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا عَظِيمًا.  
وَبَقَيَ يَعْقُوبُ وَآلُ يَعْقُوبَ فِي مِصْرَ زَمَنًا طَويلاً وَمَاتَ  
يَعْقُوبُ وَزَوْجُهُ فِي مِصْرَ.

## ٢٥ - حُسْنُ الْعَاقِبَةِ

وَلَمْ يَشْغُلْ يُوسُفَ هَذَا الْمُلْكُ الْعَظِيمُ عَنِ اللَّهِ وَلَمْ  
يُغِيرْهُ.

وَكَانَ يُوسُفُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَعْبُدُهُ وَيَخَافُهُ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ وَيُنَقِّذُ أَوْاْمِرَ اللَّهِ .  
 وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَرَى الْمُلْكَ كَثِيرًا وَلَا يَعْدُهُ شَيْئًا  
 كَبِيرًا وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ مَلِكٍ  
 وَيُحَشِّرَ مَعَ الْمُلُوكِ .  
 بَلْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ عَبْدٍ وَيُحَشِّرَ مَعَ  
 الصَّالِحِينَ .

وَكَانَ دُعَاءُ يُوسُفَ :  
 » رَأَيْتُ قَدْ أَتَيَتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ  
 الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
 تَوَقَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّيْقَى بِالصَّالِحِينَ ١١ ». .  
 وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ مُسْلِمًا وَالْحَقَّهُ بِابَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ  
 وَيَعْقُوبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ .



# سفينة نوح

## ١ - بَعْدَ آدَمَ

بَارَكَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّةِ آدَمَ فَكَانَ فِيهَا رِجَالٌ كَثِيرٌ وَنِسَاءٌ.  
وَانْتَشَرَتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ وَكَثُرَتْ.

فَلَوْ رَجَعَ آدَمُ وَرَأَى أُولَادَهُ لَمَا عَرَفَ.

وَلَوْ قِيلَ لَهُ هَذِهِ ذُرِّيَّتُكَ يَا آدَمُ لَتَعَجَّبَ كَثِيرًا. وَقَالَ:  
سُبْحَانَ اللَّهِ! هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أُولَادِي؟ هَذِهِ كُلُّهَا ذُرِّيَّتِي؟!

وَكَانَتْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ قُرَى كَثِيرَةً، وَبَنَوا بُيُوتًا كَثِيرَةً.  
وَكَانُوا يَخْرُثُونَ الْأَرْضَ وَيَزْرَعُونَ وَيَعِيشُونَ. وَكَانَ  
النَّاسُ عَلَى دِينِ أَبِيهِمْ آدَمَ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ  
شَيْئًا.

وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَبُوهُمْ آدَمُ وَرَبُّهُمْ اللَّهُ.

## ٢ - حَسْدُ الشَّيْطَانِ

وَلَكِنْ كَيْفَ يَرْضَى إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ بِهَذَا؟ أَلَا يَرَأُ  
النَّاسُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؟

أَلَا يَرَأُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَا يَخْتَلِفُونَ؟ إِنَّ ذَلِكَ لَا  
يَكُونُ! إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ!

هَلْ يَدْخُلُ ذُرِّيَّةُ آدَمَ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ النَّارَ؟  
إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ!

إِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لآدَمَ فَطَرَدَهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ.

أَلَا يَتَقَمَّ مِنْ بَنِي آدَمَ فَيَدْخُلُوا مَعَهُ النَّارَ؟  
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ.

## ٣ - فِكْرَةُ الشَّيْطَانِ

وَرَأَى الشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ  
فَيَدْخُلُوا النَّارَ وَلَا يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبَدًا.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشُّرُكَ، وَيَغْفِرُ  
كُلَّ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَ.

فَأَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الشُّرُكِ . فَلَا يَدْخُلُوا  
الجَنَّةَ أَبَدًا .

وَلَكِنْ كَيْفَ الظَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ ، وَالنَّاسُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؟  
إِنَّهُ لَوْ ذَهَبَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ لَهُمْ : « اغْبُدُوا الأَصْنَامَ وَلَا  
تَعْبُدُوا اللَّهَ » لَشَتَّمَهُ النَّاسُ وَضَرَبُوهُ .

قَالُوا : مَعَادَ اللَّهِ ، أَنْشُرُكُ بِرَبِّنَا؟ أَنْعَبُدُ الْأَصْنَامَ؟ إِنَّكَ  
لَشَيْطَانٌ رَّجِيمٌ ! إِنَّكَ لَشَيْطَانٌ خَيْثٌ !

#### ٤ - جِيلَةُ الشَّيْطَانِ

وَلَكِنْ الشَّيْطَانَ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى رُؤُوسِ  
النَّاسِ .

كَانَ رِجَالٌ يَخَافُونَ اللَّهَ ، وَيَعْبُدُونَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ،  
وَيَذْكُرُونَهُ ذِكْرًا كَثِيرًا .

وَكَانُوا يُحِبُّونَ اللَّهَ ، وَكَانَ اللَّهُ يُحِبُّهُمْ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ  
وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُمْ وَيُعَظِّمُونَهُمْ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ  
ذَلِكَ جَيْدًا .

وَقَدْ مَاتَ هُؤُلَاءِ وَأَنْتَكُلُوا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ!  
 ذَهَبَ الشَّيْطَانُ إِلَى النَّاسِ وَذَكَرَ هُؤُلَاءِ الرِّجَالَ.  
 وَقَالَ: كَيْفَ كَانَ فِينَكُمْ فُلانٌ وَفُلانٌ وَفُلانٌ؟ قَالُوا:  
 سُبْحَانَ اللَّهِ! رِجَالُ اللَّهِ وَأَوْلَيَاوُهُ! أُولَئِكَ إِذَا دَعَوْا  
 أَجَابُوهُمْ، وَإِذَا سَأَلُوا أَغْطَاهُمْ.

## ٥ - صُورُ الصَّالِحِينَ

قَالَ الشَّيْطَانُ: فَكَيْفَ حُزْنُكُمْ عَلَيْهِمْ؟  
 قَالُوا: شَدِيدٌ.

قَالَ: وَكَيْفَ اشْتِيَاقُكُمْ إِلَيْهِمْ؟  
 قَالُوا: عَظِيمٌ!

قَالَ: وَلِمَاذَا لَا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كُلَّ يَوْمٍ؟  
 قَالُوا: وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ وَقَدْ مَاتُوا؟  
 قَالَ: إِعْمَلُوا لَهُمْ صُورًا وَانْظُرُوا إِلَيْهَا كُلَّ صَبَاحٍ.  
 وَأَعْجَبَ النَّاسُ بِرَأْيِ إِبْلِيسِ وَصَوْرُوا الصَّالِحِينَ  
 وَكَانُوا يَنْنُظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الصُّورِ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِذَا رَأَوْهَا  
 ذَكَرُوا أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ.

## ٦ - مِن الصُّورِ إِلَى التَّمَاثِيلِ

وَأَنْتَلُوا مِنَ الصُّورِ إِلَى التَّمَاثِيلِ .  
وَعَمِلُوا لِلصَّالِحِينَ تَمَاثِيلَ كَثِيرَةً، وَرَضَعُوهَا فِي  
بُيُوتِهِمْ وَفِي مَسَاجِدِهِمْ .  
وَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً .  
وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ لِلصَّالِحِينَ .  
وَأَنَّ هَذِهِ حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ وَلَا تَرْزُقُهُمْ  
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهَا وَيُعَظِّمُونَهَا، لِأَنَّهَا تَمَاثِيلُ  
لِلصَّالِحِينَ .  
وَكَثُرَتْ هَذِهِ التَّمَاثِيلُ فِيهِمْ، وَكَثُرَ تَعْظِيمُهَا .  
وَإِذَا مَاتَ فِيهِمْ رَجُلٌ صَالِحٌ عَمِلُوا لَهُ تِمَالاً وَسَمَوْهُ  
بِاسْمِهِ .

## ٧ - مِن التَّمَاثِيلِ إِلَى الأَصْنَامِ

وَمَضى هَؤُلَاءِ، وَرَأَى الْأَوْلَادُ آبَاءَهُمْ يَتَبَرَّكُونَ بِهَا  
وَرَأَوَا آبَاءَهُمْ يُعَظِّمُونَهَا تَعْظِيماً شَدِيداً .

وَكَانُوا يَرَوْنَهُمْ يُقَبِّلُونَ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ، وَيَلْمَسُونَهَا  
وَيَدْعُونَ عِنْدَهَا.

وَكَانُوا يَرَوْنَهُمْ يَخْفِضُونَ رُؤُوسَهُمْ وَيَرْكَعُونَ عِنْدَهَا  
فَرَأَدَ الْأَبْنَاءُ عَلَى الْآبَاءِ، وَصَارُوا يَسْجُدُونَ لَهَا.  
وَصَارُوا يَسْأَلُونَهَا، وَيَذْبَحُونَ لَهَا.

وَهَكَذَا صَارَتْ هَذِهِ الْأَضْنَامُ آلِهَةً، وَصَارَ النَّاسُ  
يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ. وَكَثُرَتْ هَذِهِ  
الْآلِهَةُ فِيهِمْ، هَذَا وَدٌ، وَذَلِكَ سُوَاعٌ، وَهَذَا يَغْوِثُ،  
وَذَلِكَ يَعْوَقُ، وَهَذَا نَسْرٌ.

## ٨ - غَضَبُ اللَّهِ

وَغَضِيبُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ غَضِيباً شَدِيداً وَلَعْنَهُمْ.  
وَلِمَاذَا لَا يَغْضِبُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَا يَلْعَنُهُمْ؟ أَلَهُذَا  
خَلَقُهُمْ، أَلَهُذَا يَرْزُقُهُمْ؟  
يَمْشُونَ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ!  
وَيَأْكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ!  
إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ! إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ!

غَضِيبَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ، وَحَبِيسَ الْمَظَرَ وَضَيِّقَ  
عَلَيْهِمْ. وَقَلَّ الْحَرْثُ وَقَلَّ النَّسْلُ.  
وَلِكِنَّ النَّاسَ مَا عَقَلُوا، وَلِكِنَّ النَّاسَ مَا تَأْبُوا.

## ٩ - الرَّسُولُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ وَيَنْصَحُ  
لَهُمْ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّمُ وَاحِدًا وَاحِدًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَاطِبُ  
كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ افْعَلْ كَذَا، افْعَلْ كَذَا. إِنَّ الْمُلُوكَ لَا  
يُكَلِّمُونَ وَاحِدًا وَاحِدًا.

إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَذْهَبُونَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ يَقُولُونَ لَهُ افْعَلْ  
كَذَا، افْعَلْ كَذَا.

وَالْمُلُوكُ بَشَرٌ كَالْبَشَرِ، يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يَرَاهُمْ  
وَيَسْمَعَ كَلَامَهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى اللَّهَ وَيَسْمَعَ  
كَلَامَهُ وَيُكَلِّمَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ،  
إِذَا أَرَادَ اللَّهُ.

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى النَّاسِ رَسُولًا يُكَلِّمُهُمْ  
وَيَنْصُحُ لَهُمْ .

### ١٠ - بَشَّرَ أَمْ مَلَكٌ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ بَشَرًا، وَأَنْ يَكُونَ  
وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ، يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَيَفْهَمُونَ كَلَامَهُ وَإِذَا  
كَانَ الرَّسُولُ مَلَكًا قَالَ النَّاسُ: مَا لَنَا وَلَهُ؟ هُوَ مَلَكٌ  
وَنَحْنُ بَشَرٌ !

نَحْنُ نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ وَلَنَا أَهْلٌ وَدُرْيَةٌ فَكَيْفَ تَعْبُدُ اللَّهَ؟  
وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ بَشَرًا قَالَ أَنَا أَكُلُّ وَأَشْرَبُ وَلَيَ أَهْلٌ  
وَدُرْيَةٌ وَأَنَا أَعْبُدُ اللَّهَ فَلِمَ لَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ؟  
وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَلَكًا قَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ لَا تَعْطَشُ  
وَلَا تَجُوعُ، وَإِنَّكَ لَا تَمْرَضُ وَلَا تَمُوتُ فَتَعْبُدُ اللَّهَ  
وَتَذْكُرُهُ دَائِمًا !

وَنَحْنُ بَشَرٌ نَعْطَشُ وَنَجُوعُ، وَنَمْرَضُ وَنَمُوتُ، فَكَيْفَ  
تَعْبُدُ اللَّهَ وَتَذْكُرُهُ دَائِمًا؟

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ بَشَرًا قَالَ أَنَا مِثْكُمْ أَعْطُشُ وَأَجُوَعُ  
وَأَمْرَضُ وَأَمْوَاتُ وَأَغْبُدُ اللَّهَ وَأَذْكُرُهُ، فَلِمَّا دَعَاهُ لَا  
تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَا تَذْكُرُونَهُ؟  
فَيَنْقِطُ كَلَامُ النَّاسِ وَلَا يَجِدُونَ عُذْرًا.

## ١١ - نُوحُ الرَّسُولُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ.  
كَانَ فِي الْقَوْمِ أَغْنِيَاءُ وَرُؤْسَاءُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ نُوحًا  
لِرِسَالَتِهِ، وَلَمْ يَخْتَرْ أَحَدًا مِنْهُمْ.  
الَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَحْمِلُ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَحْمِلُ  
أَمَانَتَهُ.  
وَكَانَ نُوحٌ رَجُلًا صَالِحًا كَرِيمًا، وَكَانَ نُوحٌ رَجُلًا  
عَاقِلًا حَلِيمًا.  
وَكَانَ نُوحٌ نَاصِحًا شَفِيقًا، وَكَانَ نُوحٌ صَادِقًا أَمِينًا  
اخْتَارَ اللَّهُ نُوحًا لِرِسَالَتِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ: «أَنَّ أَنْذَرَ قَوْمَكَ مِنْ  
قَبْلٍ أَنْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

فَقَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ لِلنَّاسِ: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» .

## ١٢ - مَاذَا أَجَابَهُ الْقَوْمُ؟

وَلَمَّا قَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» .  
قَامَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ: مَتَى صَارَ هَذَا نِيَّاً؟  
بِالْأَمْسِ كَانَ رَجُلاً مِنَّا وَالْيَوْمَ يَقُولُ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ!

وَقَالَ أَصْدِيقَاهُ نُوحٌ: هَذَا كَانَ يَلْعَبُ مَعَنَا فِي الصَّغَرِ  
وَيَجْلِسُ مَعَنَا كُلَّ يَوْمٍ فَمَتَى جَاءَتْهُ النُّبُوَّةُ؟ أَلَيْلًا أَمْ نَهَارًا؟  
وَقَالَ الْأَغْنِيَاءُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ: أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا  
غَيْرَهُ؟

أَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، أَمَا وَجَدَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا فَقِيرًا؟  
وَقَالَ الْجُهَالُ: «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» .  
وَقَالُوا: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاَنْزَلَ مَلَكِكَةً مَا سَمِعْنَا يَهْدَى فِي  
عَابِرَاتِنَا الْأَوَّلِينَ» .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ إِنَّ نُوحًا يُرِيدُ أَنْ يَنْالَ الرِّئَاْسَةَ  
وَالشَّرَفَ بِهَذَا الظَّرِيقَ.

### ١٣ - بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ

كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ هِيَ الْحَقُّ، وَأَنَّ  
عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ هِيَ الْعَقْلُ.

وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الَّذِي لَا يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ هُوَ فِي ضَلَالَةٍ  
وَسَفَاهَةٍ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ: قَدْ كَانَ آباؤُنَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَلِمَاذَا  
لَا يَعْبُدُهَا هَذَا؟!!

وَكَانَ نُوحٌ يَرَى أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ضَلَالَةٌ، وَأَنَّ عِبَادَةَ  
الْأَصْنَامِ سَفَاهَةٌ.

وَكَانَ نُوحٌ يَرَى أَنَّ الْآبَاءَ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ وَأَنَّ  
آدَمَ وَهُوَ أَبُو الْآبَاءِ مَا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، بَلْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ.

وَأَنَّ الْقَوْمَ فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ إِذَا يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ  
وَلَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ.

قَامَ نُوحٌ فِي الْقَوْمِ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «يَقُولُونَ أَعْبُدُوا  
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْهُ إِلَّا هُوَ أَكْفَافُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ  
عَظِيمٍ».

«قَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَيْنَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ».

«قَالَ يَقُولُونَ لَيْسَ إِنَّا فِي ضَلَالٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ أَبَلِيلُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ  
اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ».

#### ١٤ - اتَّبَعْكَ الْأَرْذَلُونَ

وَاجْتَهَدَ نُوحٌ كَثِيرًا أَنْ يُؤْمِنَ قَوْمُهُ وَيَعْبُدُوا اللَّهَ  
وَيَرْكُووا الْأَضْنَامَ.

وَلَكِنْ مَا آمَنَ بِنُوحٍ إِلَّا بَعْضُ الْأَفْرَادِ مِنْ قَوْمِهِ. مَا  
آمَنَ بِهِ إِلَّا بَعْضُ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَيَأْكُلُونَ  
الْحَلَالَ.

أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَدْ مَنَعُوهُمْ كِبْرُهُمْ أَنْ يُطِيعُوا  
نُوحًا.

وَشَغَلْتُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يُفَكِّرُوا فِي الْآخِرَةِ  
وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَشْرَافٌ وَهُؤُلَاءِ أَرَادُلُ.

وَلَمَّا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى اللَّهِ قَالُوا:  
﴿أَنَّوْنِمُ لَكَ وَاتَّبَعْكَ الْأَزْدَلُونَ﴾؟.

وَظَلَّبُوا مِنْ نُوحٍ أَنْ يُطْرُدَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ.

وَلِكِنَّ نُوحًا أَبَى وَقَالَ: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤).

إِنَّ بَابِي لَيْسَ بَابَ مَلِكٍ، ﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥).

وَكَانَ نُوحٌ يَعْرِفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ مُؤْمِنُونَ  
مُخْلِصُونَ.

وَأَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ إِذَا طُرِدَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينُ، وَإِذْنُ لا  
يَنْصُرُهُ أَحَدٌ.

فَقَالَ نُوحٌ: ﴿وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ﴾.

## ١٥ - حُجَّةُ الْأَغْنِيَاءِ

وَقَالَ الْأَغْنِيَاءُ: الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نُوحٌ لَيْسَ بِحَقٍّ وَلَيْسَ  
بِخَيْرٍ.

لِمَاذَا؟

لأنَّا جَرِبَنَا أَنَّا نَحْنُ السَّابِقُونَ فِي كُلِّ خَيْرٍ. لَنَا كُلُّ طَيْبٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَلَنَا كُلُّ جَمِيلٍ مِنَ الْلِبَاسِ. وَالنَّاسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَنَا تَبَعُ.

وَإِنَّا رَأَيْنَا أَنَّ الْخَيْرَ لَا يُخْطِئُنَا وَلَا يُجَاوِزُنَا فِي الْمَدِينَةِ.

فَلَوْ كَانَ هَذَا الدِّينُ خَيْرًا لَأَتَانَا قَبْلَ هُولَاءِ الْمَسَاكِينِ  
﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾.

## ١٦ - دَعْوَةُ نُوحٍ

وَدَعَا نُوحُ قَوْمَهُ، وَاجْتَهَدَ فِي النَّصِيحَةِ.

﴿Qَالَّذِي يَقُولُ إِنِّي لَكُوْنُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي ﴿٢﴾ يَعْفُرُ لِكُوْنِي مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍّ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

وَكَانَ اللَّهُ حَبِّسَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ وَغَضِيبَ عَلَيْهِمْ وَقَلَّ الْحَرُثُ وَقَلَّ النَّشْلُ.

فَقَالَ نُوحٌ : يَا قَوْمٍ إِنْ أَمْتَثِّلُ رَضِيَ عَنْكُمُ اللَّهُ وَزَالَ  
هَذَا الْعَذَابُ .

وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمُ الْأَمْظَارَ وَبَارَكَ لَكُمْ فِي الرِّزْقِ  
وَالْأُولَادِ .

وَدَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ : أَلَا تَعْرِفُونَ اللَّهَ ؟  
هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ حَوْلَكُمْ أَلَا تَنْتَظِرُونَ إِلَيْهَا ؟ أَلَا تَنْتَظِرُونَ إِلَى  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ أَلَا تَنْتَظِرُونَ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .. ؟  
مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ؟ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ  
الشَّمْسَ سِرَاجًا ؟

وَمَنْ خَلَقَكُمْ . وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ؟  
وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحَ لَمْ يَعْقِلُوا ! وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحَ لَمْ  
يُؤْمِنُوا ! بَلْ إِذَا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى اللَّهِ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ  
فِي آذَانِهِمْ .

وَكَيْفَ يَفْهَمُ مَنْ لَا يَسْمَعُ ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُ مَنْ لَا يُرِيدُ  
أَنْ يَسْمَعَ ؟

## ١٧ - دعاء نوح

وَاجْتَهَدَ نُوحٌ كَثِيرًا وَبِقِيَ يَدْعُو قَوْمَهُ زَمَنًا طَوِيلًا.  
مَكَثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوْهُمْ  
إِلَى اللَّهِ.

وَلِكَنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يُؤْمِنُوا.

وَلَمْ يَرْكُنُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ.  
فَإِلَى مَتَى يَنْتَظِرُ نُوحٌ؟ إِلَى مَتَى يَرَى فَسَادَ الْأَرْضِ؟  
إِلَى مَتَى يَرَى الْحِجَارَةَ تُبَدِّدُ؟

إِلَى مَتَى يَرَى النَّاسَ يَاكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟  
لِمَاذَا لَا يَغْضَبُ نُوحٌ؟ إِنَّهُ صَبَرَ صَبِرًا لَمْ يَضِيرْ أَحَدٌ مِثْلُهُ!  
أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. وَقَدْ  
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ: ﴿أَتَهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ  
ءَمَنَ﴾.

وَقَالَ قَوْمُ نُوحٍ لَمَا دَعَاهُمْ نُوحٌ مَرَّةً أُخْرَى.  
﴿يَئْتُونُكُمْ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْتَرَنَا جَدَلَنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ  
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وَغَضِبَ نُوحٌ لِلَّهِ وَيَسَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا  
تَرُكُّ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدًا مِنَ الْكَافِرِينَ.

### ١٨ - السَّفِينَةُ

وَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَةَ نُوحٍ وَأَرَادَ أَنْ يُغْرِقَ قَوْمَهُ وَلِكَنَّ اللَّهَ  
يُرِيدُ كَذَلِكَ أَنْ يَنْجُو نُوحٌ وَالْمُؤْمِنُونَ.  
فَأَمَرَ نُوحًا أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً كَبِيرَةً.  
وَبَدَا نُوحٌ يَصْنَعُ سَفِينَةً كَبِيرَةً.  
وَرَأَهُ قَوْمُهُ فِي هَذَا الشُّغْلِ فَوَجَدُوا شُغْلًا.  
وَصَارُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ.  
مَا هَذَا يَا نُوحٌ؟ مِنْ مَنِي صِرْتَ نَجَارًا؟  
أَمَا كُنَّا نَقُولُ لَكَ لَا تَجْلِسْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَرَادِلِ.  
وَلِكِنْكَ مَا سَمِعْتَ كَلَامَنَا وَجَلَسْتَ إِلَى النَّجَارِينَ  
وَالْحَدَادِينَ فَصِرْتَ نَجَارًا!  
وَأَيْنَ تَمْشِي هَذِهِ السَّفِينَةُ يَا نُوحٌ؟ إِنَّ أَمْرَكَ كُلَّهُ عَجَبٌ.  
أَتَمْشِي هَذِهِ فِي الرَّمْلِ أَمْ تَصْعُدُ الْجَبَلَ؟

البَخْرُ مِنْ هُنَا بَعِيدٌ جِدًا، هَلْ يَحْمِلُهَا الْجِنُّ أَمْ تَجْرِهَا  
الثِّيرَانُ؟

وَكَانَ نُوحٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَضِيرُ، وَقَدْ سَمِعَ أَشَدَّ  
مِنْ هَذَا فَصَبِرَ!

وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ أَخْيَانًا: «إِنْ تَسْخِرُوا مِنِّي فَإِنَّا  
سَخِرُونَا مِنْكُمْ كَمَا سَخِرْتُمْ».»

## ١٩ - الطُّوفَانُ

وَجَاءَ وَعْدُ اللَّهِ فَأَلْعَيَادُ بِاللَّهِ!  
أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتِ وَأَمْطَرَتِ وَأَمْطَرَتِ.  
حَتَّىٰ كَانَ السَّمَاءُ مِنْخَلَةً لَا تُمْسِكُ مَاءً.  
وَنَبَغَ المَاءُ وَسَالَ حَتَّىٰ أَحَاطَ بِالنَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.  
وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ: خُذْ مَعَكَ مَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ  
قَوْمِكَ وَأَهْلِكَ.  
وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مِنْ كُلِّ حَيَوانٍ  
وَظَائِرٍ زَوْجًا، ذَكَرًا وَأُنْثَى.

لأنَّ الطُّوفَانَ عَامٌ لا يَنْجُزُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا حَيَوانٌ.  
وَكَذَلِكَ فَعَلَ نُوحُ، فَكَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مَنْ أَمَنَ بِهِ مِنْ  
قَوْمِهِ.

وَمِنْ كُلٍّ حَيَوانٍ وَطَائِرٍ زَوْجٌ.  
وَسَارَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ.  
وَأَرَتَهُمُ الْقَوْمُ كُلَّ مَكَانٍ عَالٍ وَكُلَّ رَبْوَةً يَفِرُّونَ مِنْ  
عَذَابِ اللَّهِ.  
وَلَكِنْ لَا مَلْجَأً مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

## ٢٠ - ابْنُ نُوحٍ

وَكَانَ لِنُوحٍ ابْنٌ كَانَ مَعَ الْكَافِرِينَ.  
وَرَأَى نُوحُ ابْنَهُ فِي الطُّوفَانِ فَقَالَ: «يَبْتَئِلَ أَزْكَبَ  
مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكُفَّارِينَ».  
«قَالَ سَّاُوِيَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ».  
«قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ».  
«وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّبِينَ».  
وَحَرَّمَ نُوحٌ عَلَى ابْنِهِ، وَكَيْفَ لَا يَخْرُجَنُ وَهُوَ ابْنُهُ.

وَأَرَادَ أَنْ يَنْجُو ابْنُهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ لَمْ يَنْجُ مِنَ  
الْمَاءِ أَمْسٌ.

إِنَّ النَّارَ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ، وَإِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَشَدُّ أَمَا  
وَعْدَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يُنْجِي أَهْلَهُ؟ بَلَى! إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ.  
فَأَرَادَ أَنْ يَشْفَعَ لِابْنِهِ عِنْدَ اللَّهِ.

## ٤١ - لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ  
الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمَيْنَ ﴾.

وَلِكِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَنْسَابِ بَلْ يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ.

وَاللَّهُ لَا يَقْبِلُ الشَّفَاعَةَ فِي الْمُشْرِكِينَ.

وَلَيْسَ الْمُشْرِكُ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَ ابْنُهُ.

فَبَنَّيَ اللَّهُ نُوحًا عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: ﴿يَسْأَلُونَ إِنَّمَا لَيْسَ مِنْ  
أَهْلِكَ إِنَّمَا عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي  
أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

وَتَبَّعَ نُوحٌ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ:

﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَلَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا  
تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾.

## ٤٤ - بَعْدَ الطُّوفَانِ

وَلَمَّا كَانَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَغَرَقَ الْكُفَّارُ أَمْسَكَتِ السَّمَاءُ  
وَغَارَ الْمَاءُ.

وَاسْتَوَتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ﴾.

وَقِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ.  
وَهَبَطَ نُوحٌ وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ يَمْشُونَ عَلَى الْبَرِّ بِسَلامٍ.  
وَهَلَكَ الْكُفَّارُ مِنْ قَوْمٍ نُوحٍ فَمَا بَكَثَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ  
وَالْأَرْضُ.

وَبَارَكَ اللَّهُ فِي ذُرْرَيَّةِ نُوحٍ فَانْتَشَرَتْ فِي الْأَرْضِ  
وَمَلَأَتِ الْأَرْضَ.

وَكَانَ فِيهَا أُمَمٌ وَكَانَ فِيهَا أَنْبِياءٌ وَمُلُوكٌ.  
﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَلَمِينَ ٧٩﴾.  
﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَلَمِينَ ٧٩﴾.

## العاشرة

### ١ - بَعْدَ نُوحٍ

بَارَكَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّةِ نُوحٍ فَانْتَسَرَتْ فِي الْأَرْضِ.  
وَكَانَ مِنْهَا أُمَّةٌ يُقَاتَلُ لَهَا عَادٌ.  
وَكَانُوا رِجَالاً أَقْوِيَاء، أَجْسَامُهُمْ كَانَهَا مِنْ حَدِيدٍ  
يَغْلِبُونَ كُلَّ وَاحِدٍ وَلَا يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ.  
وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا وَيَخَافُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ.  
وَبَارَكَ اللَّهُ لِعَادٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَكَانَتْ إِبْلُ عَادٍ  
وَغَنَمُهَا تَمْلأُ الْوَادِي.  
وَكَانَتْ حَيْلُ عَادٍ تَمْلأُ الْمَيْدَانَ.  
وَكَانَتْ أَوْلَادُ عَادٍ تَمْلأُ الْبَيْوَاتِ.  
وَإِذَا خَرَجْتَ إِبْلُ عَادٍ وَغَنَمُهَا إِلَى الْمَرْعَى كَانَ لَهَا  
مَنْظَرٌ جَمِيلٌ جِدًا.

وَإِذَا خَرَجَ الْأَطْفَالُ فِي الصَّبَاحِ يَلْعَبُونَ كَانَ لَهُمْ مَنْظَرٌ  
جَمِيلٌ جِدًا.

وَكَانَتْ أَرْضُ عَادٍ كَذَلِكَ أَرْضًا جَمِيلَةً حَضْرَاءَ، فِيهَا  
بَسَاتِينٌ وَعَيْنُونٌ كَثِيرَةٌ.

## ٢ - كُفْرَانُ عَادٍ

وَلِكُنَّ عَاداً لَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ  
وَنَسِيَتْ عَادٌ قِصَّةَ الطُّوفَانِ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنْ آبَائِهِمْ وَرَأَوْا  
آثَارَهُ فِي الْأَرْضِ.

وَنَسُوا لِمَاذَا أَرْسَلَ اللَّهُ الطُّوفَانَ عَلَى أُمَّةِ نُوحٍ.  
وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ نُوحٍ تَعْبُدُ  
الْأَصْنَامَ.

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ الْأَصْنَامَ مِنَ الْحِجَارَةِ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ  
يَسْجُدُونَ لَهَا وَيَعْبُدُونَهَا.

وَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا حَاجَاتِهِمْ وَيَدْعُونَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا  
وَكَانُوا عَلَى أَثَرِ أُمَّةٍ نُوحٍ.

وَكَانَتْ عُقُولُهُمْ لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَضْنَامِ.

وَكَانَتْ عُقُولُهُمْ لَا تَهْدِيهِمْ.

وَكَانُوا عُقَلاءَ فِي الدُّنْيَا أَغْيَاءَ فِي الدِّينِ.

### ٣ - عَدُوانُ عَادٍ

وَصَارَتْ قُوَّةُ عَادٍ وَبِالَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ.

لَا نَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ.

فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ؟ وَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعُدُوانِ؟

وَلِمَاذَا لَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ؟ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ فَوْقَهُمْ

أَحَدًا، وَلَا يَخَافُونَ حِسَابًا وَلَا عِقَابًا.

وَكَانُوا كَوْحُوشٍ الْغَابَةِ يَظْلِمُ الْكَبِيرُ مِنْهُمُ الصَّغِيرُ،

وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْهُمُ الْضَّعِيفَ.

وَإِذَا غَضِبُوا كَانُوا كَالْفَيلِ الْهَائِجِ، لَا يَلْقَى شَيْئاً إِلَّا

فَتَلَهُ.

وَكَانُوا إِذَا حَارَبُوا أَهْلَكُوا الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ.

وَإِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً.

وَكَانَ الْمُسْتَعْفَاءُ يَخَافُونَ شَرَّهُمْ، وَيَنْفِرُونَ مِنْ ظُلْمِهِمْ.  
وَصَارَتْ قُوَّتُهُمْ وَبِالَاٰ عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ.  
وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ وَلَا يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ.

#### ٤ - قُصُورٌ عَادٍ

وَكَانَ عَادٌ لَا شُغْلَ لَهُمْ إِلَّا الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَاللَّهُو  
وَاللَّعِبُ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَفْخُرُ عَلَى بَعْضٍ فِي بَنَاءِ الْقُصُورِ  
الْعَالِيَّةِ وَالْبَيْوَاتِ الْوَاسِعَةِ.

وَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ تَضِيُّعٌ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ وَالحِجَارَةِ  
وَكَانُوا لَا يَرَوْنَ مَكَانًا خَالِيًّا أَوْ أَرْضًا مُرْتَفَعَةً إِلَّا بَنَوْا  
عَلَيْهَا قَصْرًا رَفِيعًا.

وَكَانُوا يَبْنُونَ بُيُوتًا كَانَمَا يَسْكُنُونَ فِيهَا دَائِمًا وَلَا  
يَمْوِثُونَ أَبَدًا.

وَكَانُوا يَبْنُونَ قُصُورًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَالنَّاسُ لَا  
يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ وَيَلْبِسُونَ.

وَكَانَ الْفُقَرَاءُ مِنْهُمْ لَا يَجِدُونَ بَيْتًا يَسْكُنُونَ فِيهِ وَبَيْوَتَ  
الْأَغْيَاءِ لَا سَاكِنَ فِيهَا، وَمَنْ رَأَهُمْ وَرَأَى قُضُورَهُمْ  
عَرَفَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ.

## ٥ - هُودُ الرَّسُولُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى عَادٍ رَسُولاً.  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي لِعِبَادِهِ الْكُفَرَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.  
وَكَانَ عَادٌ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ إِلَّا فِي الْأَكْلِ  
وَالشُّرْبِ وَاللَّهُو وَاللَّعِبِ وَبَنَاءِ الْبُيُوتِ.  
وَقَدْ فَسَدَتْ عُقُولُهُمْ لَا يَنْهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الدِّينِ  
وَكَانَ عَادٌ عُقَلاءٌ فِي الدُّنْيَا أَغْيَاءٌ فِي الدِّينِ، يَعْبُدُونَ  
الْحِجَارَةَ وَلَا يَعْقِلُونَ.  
فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً يَهْدِيهِمْ.  
وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ مِنْ أَنفُسِهِمْ،  
يَعْرِفُونَهُ وَيَقْهِمُونَ كَلَامَهُ.

كَانَ هُودٌ ذَلِكَ الرَّسُولُ، وُلِدَ فِي بَيْتٍ شَرِيفٍ فِي عَادٍ  
وَنَشأَ عَلَى عَقْلٍ وَصَلاحٍ.

## ٦ - دَعْوَةُ هُودٍ

وَقَامَ هُودٌ فِي قَوْمِهِ يَدْعُو وَيَقُولُ:  
﴿يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ﴾.  
وَقَالَ هُودٌ: يَا قَوْمٍ كَيْفَ تَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَلَا  
تَعْبُدُونَ الَّذِي خَلَقَكُمْ؟  
يَا قَوْمٍ هَذِهِ الْحِجَارَةُ الَّتِي نَحْتَمُوهَا أَمْسٌ كَيْفَ  
تَعْبُدُونَهَا الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَبِاَنْكَارِكَ لَكُمْ فِي  
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْحَرْثِ وَالنَّسْلِ.  
وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ وَرَزَقَكُمْ قُوَّةً فِي  
الْجِسمِ.  
كَانَ مِنْ حَقٍّ هَذِهِ النَّعْمٌ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ.  
إِنَّ هَذَا الْكَلْبَ الَّذِي تَرْمُونَ إِلَيْهِ يَعْظِمُ لَا يُقَارِبُ بَيْتَكُمْ  
وَيَتَبَعَّكُمْ كَالظُّلُلِ.

أَفَرَأَيْتُمْ كَلْبًا يَتْرُكُ سَيِّدَهُ وَيَذْهَبُ إِلَى غَيْرِهِ؟  
أَوْ رَأَيْتُمْ حَيَوانًا يَعْبُدُ حَجَرًا، أَوْ رَأَيْتُمْ حَيَوانًا يَسْجُدُ  
لِصَنْمٍ؟

هَلِ الْإِنْسَانُ أَذَلُّ مِنَ الْحَيَوانِ، أَمْ هُوَ أَجَلُّ مِنَ  
الْحَيَوانِ؟

## ٧ - جوابُ الْقَوْمِ

كَانَ الْقَوْمُ فِي شُغْلٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللَّهُوِ  
وَاللَّعِبِ.

وَقَدْ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا.

ضَاقَ قَلْبُهُمْ بِكَلَامِ هُودٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِنِ: مَا  
يَقُولُ هُودٌ؟ مَاذَا يُرِيدُ هُودٌ؟ نَحْنُ لَا نَفْهَمُ كَلَامَهُ!

قَالُوا: سَفِيهٌ أَوْ مَجْنُونٌ!

وَلَمَّا دَعَاهُمْ هُودٌ مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ:  
﴿إِنَّا لَنَرَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنكَ مِنَ الْكَذِيبِ﴾.

﴿فَالْيَقُولُ لَيْسَ يِنْسَابُ إِلَّا سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتَلَمْ يَلْفَظُ كُلُّهُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُوْنُ نَاصِحُ أَمِينٌ﴾.

## ٨ - حِكْمَةُ هُودٍ

وَمَا زَالَ هُودٌ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ بِحِكْمَةٍ وَرِفْقٍ.  
فَالْيَقُولُ لَيْسَ يِنْسَابُ إِلَّا سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ؟

يَا إِخْرَانِي! لِمَاذَا تَخَافُونِي وَتَفِرُّونَ مِنِّي، إِنِّي لَا  
أُنْقِصُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا.

﴿وَيَقُولُ لَا أَشْلُكُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.  
يَا قَوْمَ مَاذَا تَخَافُونَ إِنْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يَقْدِدُونَ  
مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا إِذَا آمَنْتُمْ بِاللَّهِ!  
بَلْ يُبَارِكُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الرِّزْقِ وَيُزِيدُ فِي قُوَّتِكُمْ.  
وَيَا قَوْمَ لِمَاذَا تَعْجِبُونَ مِنْ رِسَالَتِي؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّمُ  
وَاحِدًا وَاحِدًا!

إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَاطِبُ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ: افْعَلْ كَذَا،  
افْعَلْ كَذَا!

إِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ  
وَيَنْصَحُ لَهُمْ.

وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ أَكَلْمُكُمْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ: «أَوْ عَجَّشْتُمْ  
أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ»؟

## ٩ - إِيمَانُ هُودٍ

وَلَمْ تَجِدْ عَادٌ جَوَابًا! وَمَا عَلِمُوا كَيْفَ يُجِيِّونَ هُودًا!  
وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا عَجَزُوا: قَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ آلهَتَنَا  
فَأَصَابَكَ مَرَضٌ فِي عَقْلِكَ!

وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكَ وَبَالٌ مِنَ الْآلهَةِ.  
قَالَ هُودٌ: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُ أَحَدًا وَلَا  
تَضُرُّ!

وَإِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَكَلِّمُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا  
تَنْظُرُ!

إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَمْلِكُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا .  
 وَلَا تَمْلِكُ لَا حَدٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا .  
 وَإِنَّكُمْ أَيْضًا لَا تَمْلِكُونَ خَيْرًا وَلَا شَرًّا .  
 وَلَا تَمْلِكُونَ لِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا .  
 إِنِّي لَا أُؤْمِنُ بِالْكَهْتُكُمْ وَلَا أَخَافُهُمْ .  
 (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) .  
 وَلَا أَخَافُكُمْ أَيْضًا (فَكَيْدُونِي جَمِيعًا) .  
 (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ) .  
 كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ يَدِهِ، وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا يَأْذِنُهُ .

## ١٠ - عِنْدُ عَادٍ

سَمِعْتُ عَادًّا كُلَّ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا !  
 ضَاعَتْ فِيهِمْ نَصِيحَةُ هُودٍ ! ضَاعَتْ فِيهِمْ حِكْمَةُ هُودٍ .  
 وَقَالُوا يَا هُودُ مَا عِنْدَكَ دَلِيلٌ وَلَا بَيِّنَةٌ !  
 وَلَا تَرُكُ يَا هُودُ أَكْهَنَنَا الْقَدِيمَةَ لِقَوْلِكَ الْجَدِيدِ .  
 أَنْتَرُكُ الْأَلِهَةَ التِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنَا لِقَوْلِ قَائِلٍ ?

أبداً، أبداً.

وَيَا هُودٌ إِنَّكَ لَا تُؤْمِنُ بِالْهَيْتَنَا وَلَا تَخَافُهُمْ.  
فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ بِإِلَهِكَ وَلَا نَخَافُ عَذَابَهُ.  
وَإِنَّا نَسْمَعُكَ كَثِيرًا تَذَكَّرُ الْعَذَابُ، فَأَيْنَ هُوَ يَا هُودُ،  
وَمَتَى يَجِيءُ؟

قال هود: ﴿إِنَّا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.  
قالت عاد: فَإِنَّا نَنْتَظِرُ ذَلِكَ الْعَذَابَ وَنَشَاقُ أَنْ  
نَرَاهُ.

وَتَعَجَّبَ هُودٌ مِّنْ جَرَائِعِهِمْ، وَتَأْسَفَ هُودٌ عَلَى  
سَفَاهَتِهِمْ.

## ١١ - العَذَابُ

وَكَانَ عَادٌ يَنْتَظِرُونَ الْمَطَرَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَنْتَظِرُونَ إِلَى  
السَّمَاءِ قَلَّا يَرَوْنَ قِطْعَةَ سَحَابٍ.  
وَكَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَطَرِ، وَكَانَ لَهُمْ شَوْقٌ عَظِيمٌ  
إِلَى الْمَطَرِ.

ذاتَ يَوْمَ رَأَوْا سَحَابَةً تَأْتِي إِلَيْهِمْ، فَفَرِحُوا جِدًا.  
 وَصَاحُوا: هَذِهِ سَحَابَةٌ مَطَرٌ! هَذِهِ سَحَابَةٌ مَطَرٌ.  
 وَرَقَصَ النَّاسُ فَرَحًا، وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا:  
 سَحَابَةٌ مَطَرٌ! سَحَابَةٌ مَطَرٌ!  
 وَلَكِنَّ هُودًا فَهِمَ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ جَاءَ.  
 وَقَالَ لَهُمْ هُودٌ: لَيْسَ هَذَا سَحَابَ رَحْمَةً، بَلْ هُوَ  
 رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.  
 وَكَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ مَا رَأَى النَّاسُ  
 مِثْلَهَا، وَمَا سَمِعَ النَّاسُ بِمِثْلِهَا.  
 وَهَبَّتْ العَاصِفَةُ تَقْلِعُ الأَشْجَارَ، وَتَهْدِمُ الْبُيُوتَ،  
 وَتَحْمِلُ الدَّوَابَ، وَتَرْمِيهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ.  
 وَظَارَتْ رِمَالُ الصَّحَراءِ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَلَا يَرَى  
 الإِنْسَانُ شَيْئًا.  
 وَدَخَلُوكُمُ الرُّغْبُ فَدَخَلُوا بُيُوتَهُمْ وَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا.  
 وَاغْتَنَقَ الْأَطْفَالُ بِالْأَمْهَاتِ، وَاغْتَنَقَ النَّاسُ بِالْجُذْرَانِ،  
 وَدَخَلَ النَّاسُ الْحُجُّرَاتِ.

الأَطْفَالُ يَبْكُونَ، وَالنِّسَاءُ يَصْحُنَ، وَالرِّجَالُ يَدْعُونَ  
وَيَسْتَغْشِيُونَ.

وَكَانَ قَائِلاً يَقُولُ:

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

كَانَ ذَلِكَ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَّةً أَيَّامٌ.

وَمَاتَ الْقَوْمُ فَكَانُوا كَأَشْجَارِ النَّخِيلِ سَقَطْتُ عَلَى  
الْأَرْضِ وَكَانَ مَنْظَرًا غَرِيبًا جِدًّا، النَّاسُ أَمْوَاتٌ يَا كُلُّهُمْ  
الْطَّيْرُ، وَالْبَيْوَثُ خَرَابٌ يَسْكُنُهَا الْبُومُ.

وَتَبَّعُوا هُودًا وَالْمُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِهِمْ، وَهَلَّكَتْ عَادٌ بِكُفْرِهَا  
وَعِنَادِهَا.

﴿أَلَا إِنْ عَادًا كَفَرُوا رَبِّهِمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمٌ هُوُمْ﴾.



# نَاقَةُ ثَمُودَ

## ١ - بَعْدَ عَادِ

وَرِثَتْ ثَمُودُ عَاداً كَمَا وَرِثَتْ عَاداً أُمَّةَ نُوحِ .  
وَكَانَتْ ثَمُودُ عَلَى أَثْرِ عَادِ، كَمَا كَانَتْ عَادُ عَلَى أَثْرِ  
أُمَّةَ نُوحِ .  
وَكَانَتْ أَرْضُ ثَمُودَ أَيْضًا أَرْضًا جَمِيلَةً حَضْرَاءَ،  
فِيهَا بَسَاتِينٌ وَعُيُونٌ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ .  
وَكَانَتْ ثَمُودُ كَعَادِ فِي الْعِمَارَةِ وَالزِّرَاعَةِ وَفِي كَثْرَةِ  
البَسَاتِينِ .  
وَفَاقُوهُمْ فِي الْعَقْلِ وَالصُّنَاعَةِ، فَكَانُوا يَنْجِنُونَ مِنَ  
الْجِبَالِ بُيُوتًا وَاسِعَةً جَمِيلَةً، وَيَنْقُشُونَ فِي الْحِجَارَةِ  
نُقُوشًا بَدِيعَةً .

وَقَدْ لَانَ لَهُمُ الْحَجَرُ يَعْقِلُهُمْ وَصِنَاعَتِهِمْ فَيَضْنَعُونَ بِهِ  
مَا يَضْنَعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّمْعِ.

وَإِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ مَدِينَتَهُمْ رَأَى عَجَبًا، رَأَى قُصُورًا  
عَظِيمَةً كَالْجِبَالِ كَأَنَّمَا بَنَاهَا الْجِنُّ، وَرَأَى أَزْهَارًا جَمِيلَةً  
فِي الْجُذْرَانِ كَأَنَّمَا أَنْبَتَهَا الرَّبيعُ.

وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى ثَمُودَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى ثَمُودَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ.

جَادَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ بِالْأَمْطَارِ، وَجَادَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ  
بِالنَّبَاتِ وَالْأَزْهَارِ، وَجَادَتْ لَهُمُ الْبَسَاطَيْنِ بِالْفَوَاكِهِ  
وَالْأَثْمَارِ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالْأَعْمَارِ.

## ٢ - كُفَّارُ ثَمُودٍ

وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْمِلْ ثَمُودٌ عَلَى الشُّكْرِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ  
تَعَالَى.

بَلْ حَمَلُوهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْكُفَّرِ وَالظُّغَيْلَانِ، وَنَسُوا اللَّهَ  
وَفَرَحُوا بِمَا أُوتُوا وَقَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟

وَظَنُوا أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ قُصُورِهِمْ  
وَجَنَّاتِهِمْ أَبَدًا.

وَظَنُوا أَنَّ الْمَوْتَ لَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ وَلَا يَجِدُ  
إِلَيْهِمْ سَبِيلًا!

لَعَلَّهُمْ كَانُوا يَظْنُونَ أَنَّ أُمَّةً نُوحٍ إِنَّمَا غَرَقَتْ لِأَنَّهَا  
كَانَتْ فِي الْوَادِي.

وَأَنَّ عَادًا إِنَّمَا هَلَكُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي السَّهْلِ!  
وَأَنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالْمَوْتِ بِمَكَانٍ آمِنٍ.

### ٣ - عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ

وَلَمْ يَكُفِّهِمْ هَذَا بَلْ نَحْتُوا الْحِجَارَةَ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ.  
وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ نُوحٍ  
تَعْبُدُهَا، وَكَذَلِكَ عَادُ.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ مُلُوكَ الْحِجَارَةِ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ  
صَارُوا عُبَادَ الْحِجَارَةِ.

إِنَّ اللَّهَ كَرَمَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ.

وَلَكِنَّهُمْ أَهَانُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهَانُوا الْإِنْسَانَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

عَجَبًا! إِنَّ الْحَجَرَ الَّذِي يَنْحِتُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ فَلَا يَأْبَى وَلَا يَعْصِيهِمْ.

قَدْ خَضَعُوا لَهُ وَوَقَعُوا سَاجِدينَ!

أَيَعْبُدُ الْقَوِيُّ الْضَّعِيفَ؟ أَيَسْجُدُ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ؟ وَلَكِنَّهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا أَنفُسَهُمْ، وَأَبْوَا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ فَأَذَلَّهُمُ اللَّهُ.

#### ٤ - صالح

#### عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، كَمَا أَرْسَلَ إِلَى أُمَّةِ نُوحٍ وَأَرْسَلَ إِلَى عَادٍ رَسُولًا.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفَّارَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.

وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ اسْمُهُ صَالِحٌ، وُلِدَ فِي بَيْتٍ شَرِيفٍ،  
وَنَشأَ عَلَى عَقْلٍ وَصَلاحٍ.

وَكَانَ وَلَدًا نَجِيبًا جَدًّا، وَكَانَ وَلَدًا رَشِيدًا جَدًّا، يُشِيرُ  
إِلَيْهِ النَّاسُ.

وَيَقُولُونَ: هَذَا صَالِحٌ، هَذَا صَالِحٌ.

وَكَانَ لِلنَّاسِ فِيهِ رَجَاءٌ كَبِيرٌ، يَقُولُونَ: سَيَكُونُ لَهُ  
شَانٌ، سَيَكُونُ لَهُ شَانٌ.

يَرَى النَّاسُ أَنَّ صَالِحًا يَكُونُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَيَكُونُ  
مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ.

وَيَرَوْنَ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ قَصْرٌ جَمِيلٌ وَبُسْتَانٌ كَبِيرٌ.

وَيَرَى أَبُوهُ أَنَّ ابْنَهُ يَكْسِبُ بِعَقْلِهِ مَالًا عَظِيمًا وَيَخْرُجُ  
فِي النَّاسِ.

يَخْرُجُ عَلَى فَرَسٍ وَوَرَاءَهُ الْخَدْمُ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ النَّاسُ،  
وَيَقُولُونَ هَذَا ابْنُ فُلانٍ، هَذَا ابْنُ فُلانٍ!

وَكَمْ يَكُونُ شُرُورُهُ إِذَا سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّهُ سَعِيدٌ  
جَدًّا، إِنَّ ابْنَهُ غَنِيٌّ جَدًّا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَهُ  
بِالنُّبُوَّةِ وَيُرِسِّلَهُ إِلَى قَوْمِهِ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ.

وَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ شَرَفٌ؟ وَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ كَرَامَةٌ؟

## ٥ - دَعْوَةُ صَالِحٍ

وَقَامَ صَالِحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ بِأَغْلَى صَوْتِهِ:  
»يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ«.

وَكَانَ الْأَغْنِيَاءُ فِي شُعْلٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَكَانُوا  
فِي لَهُوٍ وَلَعِبٍ.

وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَضْنَامَ وَلَا يَرَوْنَ إِلَهًا غَيْرَهَا، فَمَا  
أَغْبَجَتْهُمْ دَعْوَةُ صَالِحٍ، غَضِبَ الْأَغْنِيَاءُ ثُمُودٌ وَقَالُوا: مَنْ  
هَذَا؟

قَالَ الْخُدَّامُ: هَذَا صَالِحٌ.

قَالُوا: مَاذَا يَقُولُ؟

قَالُوا: يَقُولُ: اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ،

وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَيَعْلَمُكُمْ . وَيَقُولُ : أَنَا  
رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلْنِي إِلَى قَوْمٍ .

ضَحِكَ الْأَغْنِيَاءَ وَقَالُوا : مِسْكِينٌ ! هَلْ يَكُونُ هَذَا  
رَسُولًا ؟ مَا عِنْدَهُ قَضْرٌ وَلَا بُشْتَانٌ، وَمَا لَهُ زَرْعٌ وَلَا  
نَخِيلٌ ! فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا رَسُولًا ؟

## ٦ - دِعَايَةُ الْأَغْنِيَاءِ

وَرَأَى الْأَغْنِيَاءُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَمْيِلُونَ إِلَى صَالِحٍ  
فَخَافُوا عَلَى رِيَاسَتِهِمْ وَقَالُوا :  
«مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ  
مِمَّا تَشْرَبُونَ» .

﴿وَلَئِنْ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيَرُونَ﴾ . (٣٤)

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِشْكُمْ وَكُشْمُ تُرَابًا وَعَظَمًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ . (٣٥)

﴿هَيَّاهَاتٌ هَيَّاهَاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ . (٣٦)

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حِكَايَا الَّذِينَ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ  
بِمَبْعُوثِينَ﴾ . (٣٧)

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

## ٧ - قَدْ أَخْطَأَ ظَنَّنَا

وَكَفَرَ النَّاسُ بِصَالِحٍ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ.  
وَلَمَّا وَعَظَهُمْ صَالِحٌ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَضْنَامِ قَالُوا:  
يَا صَالِحُ كُنْتَ وَلَدًا نَجِيبًا جِدًّا، وَكُنْتَ وَلَدًا رَشِيدًا  
جِدًّا وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ مِنْ كِبَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ.  
وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ مِثْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا.  
وَالَّذِينَ كَانُوا فِي سِنْكَ، وَكَانُوا دُونَكَ فِي الْعَقْلِ  
أَصْبَحُوا رِجَالًا كِبَارًا.

وَأَنْتَ يَا صَالِحُ أَخَذْتَ سَبِيلَ الْفَقْرِ؛ قَدْ أَخْطَأَ ظَنَّنَا  
فِيهِكَ، قَدْ خَابَ رَجَاؤُنَا فِيهِكَ.

مِسْكِينٌ أَبُوكَ، مَا نَالَ خَيْرًا مِنْكَ.  
مِسْكِينَةُ أُمُّكَ، لَقَدْ ضَاعَ تَعَبُّهَا فِيهِكَ!  
سَمِعَ صَالِحٌ كُلَّ هَذَا وَتَائِسَفَ عَلَى قَوْمِهِ؛ وَإِذَا مَرَّ  
صَالِحٌ بِقَوْمٍ قَالُوا: رَحْمَ اللَّهُ أَبَا صَالِحٍ لَقَدْ ضَاعَ ابْنُهُ.

## ٨ - نَصِيحةٌ صَالِحٌ

وَلَمْ يَرَأْ صَالِحٌ يَنْصَحُ لِقَوْمٍ وَيَدْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ  
بِحِكْمَةٍ وَرِفْقٍ .

يَقُولُ : يَا إِخْرَانِي ! أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ هُنَّا إِلَى الأَبَدِ ؟ .  
أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ تَسْكُنُونَ فِي هَذِهِ الْقُصُورِ دَائِمًا ؟ .  
أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ لَا تَرَأْلُونَ فِي هَذِهِ الْبَسَاتِينِ وَالأنَهَارِ ؟  
وَأَنَّكُمْ لَا تَرَأْلُونَ تَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الزُّرُوعِ وَالأشْجَارِ ؟  
وَأَنَّكُمْ لَا تَرَأْلُونَ تَسْجِنُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ؟  
أَبَدًا ! أَبَدًا ! إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ ! إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ !  
فَلِمَادَا مَاتَ آباؤُكُمْ يَا إِخْرَانِي ؟

كَانَتْ لَهُمْ قُصُورٌ ، وَكَانَتْ لَهُمْ كَذِلِكَ بَسَاتِينٌ وَعُيُونٌ .  
وَكَانَتْ لَهُمْ زُرُوعٌ وَنَخِيلٌ ، وَكَانُوا يَنْجِنُونَ مِنَ الْجِبَالِ  
بُيُوتًا يَسْكُنُونَ فِيهَا .

وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعُهُمْ ! وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعُهُمْ !  
وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَوَجَدَ إِلَيْهِمْ سَيِّلًا ! كَذِلِكَ  
تَمُوتُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا وَيَعْثِكُمُ اللَّهُ وَيَسْأَلُكُمْ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ .

## ٩ - مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

وَيَا إِخْرَانِي لِمَاذَا تَفِرُّونَ مِنِّي؟ مَاذَا تَخَافُونَ؟ أَنَا لَا  
أُنْقِضُ مِنْ مَا لِكُمْ شَيْئاً، أَنَا لَا أَظْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئاً.  
أَنَا أَنْصَحُ لَكُمْ وَأَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي.

﴿وَمَا أَنْتُ بِكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦).

وَيَا إِخْرَانِي لِمَاذَا لَا تُطِيعُونَنِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ؟  
وَلِمَاذَا تُطِيعُونَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ؟  
وَالَّذِينَ يَفْجُرُونَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُضْلِلُونَ!  
وَعَجَزَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَجِدُوا عَلَى ذَلِكَ جَوَاباً.

فَقَالُوا: «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ السَّحَرِينَ ﴿١٦﴾ مَا أَنْتَ لَآلا بَشَرٌ  
مِثْلُنَا فَأَنْتَ بِعَيْنِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾».

## ١٠ - نَاقَةُ اللَّهِ

قَالَ صَالِحٌ: وَأَيْ آيَةٍ تُرِيدُونَ؟  
قَالُوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَأَخْرُجْ لَنَا مِنْ هَذَا الْجَبَلِ نَاقَةً  
حَامِلاً!

وَكَانَ النَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاقَةَ لَا تَلِدُهَا إِلَّا النَّاقَةُ وَأَنَّ  
 النَّاقَةَ لَا تَثْبِتُ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا تَثْتَجُ مِنَ الْحَجَرِ.  
 وَأَيْقَنُوا أَنَّ صَالِحًا سَيَعْجِزُ وَأَنَّهُمْ سَيَنْجَحُونَ!  
 وَلِكِنَّ صَالِحًا كَانَ قَوِيًّا الإِيمَانِ بِرَبِّهِ، وَكَانَ يَعْلَمُ  
 أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.  
 فَدَعَا اللَّهَ صَالِحٌ، وَكَانَ كَمَا طَلَبَ النَّاسُ، خَرَجَتْ  
 مِنَ الْجَبَلِ نَاقَةٌ حَامِلٌ وَوَلَدَتْ.  
 وَتَحَيَّرَ النَّاسُ وَدَهْشُوا، وَلِكِنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ.

### ١١ - النَّذْوَةُ

قَالَ صَالِحٌ: هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ، وَهَذِهِ آيَةُ اللَّهِ! سَأَلْتُهُمْ  
 فَخَلَقَهَا لَكُمْ بِقُدْرَتِهِ.  
 فَاخْتَرُمُوا هَذِهِ النَّاقَةَ (وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَإِنَّهُمْ عَذَابٌ  
 قَرِيبٌ).

وَإِنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَتَشْرَبُ وَتَأْتِي  
 وَتَذَهَّبُ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ عَلَفُهَا وَمَاؤُهَا، فَالْعَلَفُ كَثِيرٌ  
 وَالْمَاءُ كَثِيرٌ.

وَكَانَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ كَبِيرَةً جِدًا وَغَرِيبَةً فِي الْخَلْقِ،  
فَكَانَتْ مَاشِيَّتُهُمْ تَخَافُهَا وَتَنْفُرُ مِنْهَا.

وَكَانَتْ كُلَّمَا جَاءَتْ تَشَرَّبُ نَفَرَتِ الْمَاشِيَّةُ وَفَرَّتْ.

رَأَى صَالِحٌ ذَلِكَ فَقَالَ: لِلنَّاقَةِ يَوْمٌ وَلِمَاشِيَّتُكُمْ يَوْمٌ.  
فَيَوْمًا تَشَرَّبُ هَذِهِ النَّاقَةُ، وَيَوْمًا تَشَرَّبُ مَاشِيَّتُكُمْ.  
وَكَذِيلَكَ كَانَ، فَإِذَا كَانَتْ نَوْيَةُ النَّاقَةِ ذَهَبَتْ فَشَرِبَتْ. وَإِذَا  
كَانَتْ نَوْيَةُ مَاشِيَّةِ الْقَوْمِ ذَهَبَتْ فَشَرِبَتْ.

## ١٢ - طُغْيَانٌ ثَمُودَ

وَلَكِنِ اسْتَكَبَرَ الْقَوْمُ وَطَغَوا، وَقَالُوا لِمَاذَا لَا تَشَرَّبُ  
مَاشِيَّتَنَا كُلَّ يَوْمٍ.

وَضَجَّرَ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ النَّاقَةِ الَّتِي تَنْفُرُ مِنْهَا مَاشِيَّتُهُمْ.  
وَكَانَ صَالِحٌ قَدْ حَذَرَهُمْ مِنْ أَنْ يُهِينُوا هَذِهِ النَّاقَةَ،  
وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَحْذَرُوا.

قَالُوا: مَنْ يَقْتُلُ هَذِهِ النَّاقَةَ؟

قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ أَنَا!

وَقَامَ الْآخَرُ وَقَالَ: أَنَا!

وَدَهَبَ السَّقِيَانِ وَجَلَسَا يَتَنَظَّرَانِ خُرُوجَ النَّاقَةِ؛ حَتَّى إِذَا  
خَرَجَتِ النَّاقَةُ رَمَاهَا الْأَوَّلُ بِسَهْمٍ، وَنَحَرَهَا الثَّانِي فَقَتَلَهَا.

### ١٣ - العَذَابُ

وَلَمَّا عَلِمَ صَالِحٌ أَنَّ النَّاقَةَ قَدْ نُحِرَتْ تَائِفَ وَحَزَنَ  
جِدًا؛ وَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ  
ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ».

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رِجَالٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا  
يُضْلِلُونَ؛ فَحَلَفُوا وَقَالُوا نَقْتُلُ صَالِحًا وَأَهْلَهُ فِي اللَّيْلِ،  
وَإِذَا سُئِلْنَا نَقُولُ مَا عِنْدَنَا عِلْمٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَ صَالِحًا  
وَأَهْلَهُ.

وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ؛ أَضْبَحُوا  
كَعَادَتِهِمْ فَإِذَا بِصَيْحَةٍ مَعَ زِلْزَالٍ شَدِيدٍ. صَيْحَةٌ تَقَطَّرُثُ  
مِنْهَا الْقُلُوبُ وَزِلْزَالٌ تَهَدَّمُتْ مِنْهُ الْبُيُوتُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى  
ثَمُودَ شَدِيدًا.

وَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَخَرِبَتِ الْمَدِينَةُ.  
وَهَا جَرَ صَالِحٌ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الشَّقِيقَةِ.  
وَمَا يَضْنَعُونَ فِيهَا؟

وَخَرَجَ صَالِحٌ وَهُوَ يَنْتَظِرُ إِلَى قَوْمِهِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ، فَقَالَ  
بِصَوْتٍ حَزِينٍ:

﴿يَكْفُورُ لَقَدْ أَنْكَفْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ  
لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾.

وَلَا يَرَى الإِنْسَانُ الْيَوْمَ هُنَالِكَ إِلَّا قُضُوراً خَالِيَّةً وَيَثِرًا  
مُعَطَّلَةً.

وَلَا يَرَى إِلَّا قُرَى مُوْجِشَةً لَيْسَ فِيهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ.  
وَلَمَّا مَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى دِيَارِ شَمُودَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى  
الشَّامِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَنفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا مِنْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ  
مَا أَصَابَهُمْ».

﴿إِنَّ شَمُودًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ إِلَّا بَعْدًا لَتَشْمُودَ﴾.



١ - مِنْ كِنْعَانَ إِلَى مِصْرَ

اَتَتَّقَلَ يَعْقُوبُ ﷺ إِلَى مِصْرَ وَاتَّقَلَ مَعَهُ اُولَادُهُ.  
اَتَتَّقَلُوا إِلَى مِصْرَ لِأَنَّ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ ﷺ هُوَ  
سَيِّدُ مِصْرَ، يَأْمُرُ وَيَنْهَا فِيهَا.  
وَكَانُوا فِي كِنْعَانَ يَرْعَوْنَ الْغَنَمَ، وَيَخْلِبُونَ الشَّاةَ  
وَيَسْعُونَ الصُّوفَ.  
وَعَيْدُ يُوسُفَ وَخَدْمَهُ يَأْكُلُونَ وَيَنْعَمُونَ فِي مِصْرَ!  
فَمَا يَصْنَعُونَ فِي كِنْعَانَ؟ وَلِمَاذَا لَا يَذْهَبُونَ إِلَى مِصْرَ؟  
أَرْسَلَ يُوسُفُ إِلَى يَعْقُوبَ وَأَهْلِهِ، وَظَلَّبَهُمْ مِنْ  
كِنْعَانَ.

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ حَتَّى يَرَى  
أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ.

وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ  
عِيشٌ وَهُوَ وَحِيدٌ فِي مِصْرَ؟  
وَمَاذَا يَضْنَعُ بِالْقُصُورِ وَأَبُوهُ وَإِخْرَوْتُهُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ فِي  
كَنْعَانَ؟!

وَجَاءَ يَعْقُوبُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ يُوسُفُ  
وَفَرَحَ بِهِمْ فَرَحاً عَظِيمًا.  
وَاسْتَقْبَلَ مِصْرُ أُسْرَةَ سَيِّدِهَا وَأُسْرَةَ مَلِكِهَا الْكَرِيمِ،  
وَفَرَحَتْ بِهَا فَرَحاً عَظِيمًا.  
وَأَحَبَّ أَهْلُ مِصْرَ هَذَا الْبَيْتَ الْكَرِيمَ، لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ  
يُوسُفَ لِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ.  
وَلِأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي يُوسُفَ أَخَا نَاصِحًا شَفِيقًا، فَرَأَوْا فِي  
يَعْقُوبَ وَالِدًا مَاجِدًا كَرِيمًا.  
وَكَانَ يَعْقُوبُ كَبِيرَ الْبِلَادِ وَشَيْخَ مِصْرَ، وَكَانَ أَهْلُ  
مِصْرَ لَهُ كَالْأَبْنَاءِ.

وَطَابَتْ لِيَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ الإِقَامَةُ فِي مِصْرَ وَصَارَتْ لَهُمْ  
وَطَنًا.

## ٢ - بَعْدَ يُوسُفَ

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يَعْقُوبُ فَخَرِنَ عَلَيْهِ يُوسُفُ وَخَرِنَ  
عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ.

وَدَفَنُوا الشَّيْخَ فِي مِصْرَ وَكَانُوكُمْ قَدُوا أَبَاهُمْ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يُوسُفُ أَيْضًا فَكَانَ يَوْمًا عَلَى أَهْلِ  
مِصْرَ شَدِيدًا.

وَخَرِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ حُزْنًا شَدِيدًا وَبَكُوا عَلَيْهِ بُكَاءً  
طَوِيلًا.

وَنَسِيَ النَّاسُ أَخْرَانَهُمْ وَكَانُوكُمْ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ  
هَذَا الْيَوْمِ.

وَدَفَنُوا يُوسُفَ أَيْضًا وَعَزَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكَانُوا فِي  
يُوسُفَ سَوَاءً.

كُلُّ صَغِيرٍ فَقَدَ أَبَاهُ وَكُلُّ كَبِيرٍ فَقَدَ أَخَاهُ.

وَمَشَى النَّاسُ إِلَى إِخْرَاقِ يُوسُفَ وَأَبْنَائِهِمْ يُعَزِّونَهُمْ.

وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَيُّهَا السَّادَةُ! لَيْسَتْ خَسَارَتُكُمُ الْيَوْمَ  
أَكْبَرَ مِنْ خَسَارَتِنَا نَحْنُ.

فَقَدْ فَقَدْنَا فِي دُفِينِ الْيَوْمِ أَخًا شَفِيقًا، وَسَيِّدًا رَّحِيمًا  
وَمَلِكًا عَادِلاً.

هُوَ الَّذِي أَرَأَى الْعِبَادَ، وَأَزَالَ الظُّلْمَ مِنَ الْبِلَادِ.

هُوَ الَّذِي مَنَعَ الْكَبِيرَ يَظْلِمُ الصَّغِيرَ، وَمَنَعَ الْقَوِيَّ يَأْكُلُ  
الضَّعِيفَ.

هُوَ الَّذِي أَغَاثَ الْمَظْلُومَ، وَأَجَارَ الْخَائِفَ، وَأَطْعَمَ  
الْجَائِعَ.

هُوَ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الْحَقِّ، وَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ وَكُنَّا قَبْلَ  
قُدُومِهِ بَهَائِمَ لَا نَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُ الْآخِرَةَ.

هُوَ الَّذِي أَغَاثَنَا أَيَّامَ الْمَجَاجِعَةِ فَكُنَّا نَأْكُلُ وَنَشْبَعُ،  
وَالنَّاسُ يَمُوتُونَ فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى.

إِنَّا لَا نَنسَى مَلِكَنَا الْكَرِيمَ أَبَدًا وَلَا نَنسَى أَيُّهَا السَّادَةَ  
أَنْكُمْ إِخْرَوْتُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ.

وَكُمْ فَرَحَ بِكُمْ سَيِّدُنَا يَوْمَ قُدُومِكُمْ إِلَى مِضْرَ وَكَمْ  
فَرِحْنَا بِفَرَحِ سَيِّدِنَا.

فَالْبِلَادُ بِلَادُكُمْ، وَإِنَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ كَمَا كُنَّا فِي  
حَيَاةِ سَيِّدَنَا.

### ٣ - بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِضْرَأَ

وَهَكَذَا كَانَ مُدَّةً طَوِيلَةً!  
فَقَدْ حَفِظَ أَهْلُ مُضْرَأَ مَا قَالُوا وَعَرَفُوا لِلْكَنْعَانِيِّينَ  
الْفَضْلَ.

وَكَانَ هُؤُلَاءِ الْكَنْعَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا يُذْعَوْنَ «بَنِي  
إِسْرَائِيلَ» أَصْحَابَ شَرَفٍ وَأَمْوَالٍ.

وَلِكِنْ تَغْيِيرَتِ الْأَخْوَالُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَدْ فَسَدَتْ  
أَخْلَاقُهُمْ، وَرَكِعُوا الدَّغْوَةَ إِلَى اللَّهِ وَدُعَاءَ الْخَلْقِ  
إِلَى اللَّهِ، وَسَقَطُوا عَلَى الدُّنْيَا.

وَتَغْيِيرَ لَهُمُ النَّاسُ أَيْضًا وَصَارُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ مَا  
كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آبَائِهِمْ.

وَصَارُوا كَسَائِرَ النَّاسِ، لَا يَمْتَازُونَ عَنِ النَّاسِ إِلَّا  
بِالنَّسَبِ.

وَصَارَ النَّاسُ يَحْسُدُونَ الْغَنِيَّ مِنْهُمْ، وَيَحْتَقِرُونَ الْفَقيرَ  
مِنْهُمْ.

وَصَارَ أَهْلُ مِصْرَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كَغَرِيبٍ جَاءَ مِنْ بَلْدٍ  
آخَرَ.

وَلَيْسَ لَهُ حُىٌّ فِي مِصْرَ.

وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ وَأَنَّ  
مِصْرَ لِلْمَصْرِيِّينَ.

وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ يُوسُفَ كَانَ غَرِيبًا جَاءَ مِنْ  
كُنْغَانَ.

وَاشْتَرَاهُ عَزِيزُ مِصْرَ.

وَلَيْسَ لِلْكُنْغَانِيِّ أَنْ يَخْكُمَ مِصْرَ.

وَتَسِيَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَضْلَ يُوسُفَ وَكَرَمَهُ وَإِخْسَانَهُ.

## ٤ - فِرْعَوْنُ مِصْرَ

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ فَرَاعِنَةُ «مُلُوكُ مِصْرَ» يُبغضُونَ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ بُغْضًا شَدِيدًا.

وَجَاهَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكُ جَبَارٍ جِدًا .  
فَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ  
وَأَنَّهُمْ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ مَلِكِ مِصْرَ الْكَرِيمِ .  
بَلْ كَانَ لَا يَرَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ يَسْتَحِقُونَ الرَّحْمَةَ  
وَالْإِنْصَافَ .

وَجَاهَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكُ جَبَارٍ جِدًا .  
وَكَانَ يَرَى أَنَّ قَوْمَهُ «الْقِبْطُ» مِنْ نَوْعٍ، وَأَنَّ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ .  
الْقِبْطُ مِنْ نَوْعِ الْمُلُوكِ خَلَقُوا لِيَحْكُمُوا .  
وَبَنُوا إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعِ الْعَبِيدِ خَلَقُوا لِيَخْدِمُوا .  
وَكَانَ فِرْعَوْنُ يُعَامِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةً الْحَمِيرِ  
وَالدَّوَابِّ يَسْتَخْدِمُهَا الْإِنْسَانُ وَلَا يُعْطِيهَا إِلَّا قُوتَ  
يَوْمَهَا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكًا جَبَارًا مُتَكَبِّرًا لَا يَرَى فَوْقَهُ أَحَدًا .  
وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ بَلْ كَانَ يَقُولُ: «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى»  
وَكَانَ مَغْرُورًا بِمُلْكِهِ وَقُصُورِهِ وَقُوَّتِهِ وَيَقُولُ: «إِلَيْسَ

لِي مُلْكٌ يَعْصِرُ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا يُبَصِّرُونَ».

وَكَانَهُ كَانَ خَلِيفَةً لِنَمْرُودَ مَلِكَ بَابِلَ.

وَكَانَ يَغْضِبُ إِذَا عَلِمَ أَحَدًا يَرَى فَوْقَهُ أَحَدًا.

وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ، وَأَطَاعَهُ  
النَّاسُ.

وَامْتَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُونَ  
بِرَسُولِهِ وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

## ٥ - ذَبْحُ الْأَطْفَالِ

وَذَهَبَ كَاهِنٌ قِبْطِيٌّ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ: «يُولَدُ مَوْلُودٌ  
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَى يَدِهِ».

وَجَنَّ جُنُونٌ فِرْعَوْنَ، وَأَمَرَ الشُّرُطَةَ أَنْ يَذْبَحُوا كُلَّ  
مَوْلُودٍ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرَى أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ يَذْبَحُ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَتَرُكُ مَنْ يَشَاءُ كَصَاحِبِ الْغَنَمِ يَذْبَحُ مِنْ غَنِيمَةِ مَا يَشَاءُ  
وَيَتَرُكُ مَا يَشَاءُ.

وَانْتَشَرَتِ الْشُّرْكَةُ فِي مِصْرَ يُفْتَشُونَ وَيَبْحَثُونَ فَإِذَا  
عَلِمُوا مَوْلُودًا وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْدُوهُ وَدَبْحُوهُ كَمَا  
تُذَبِّحُ النَّعْجَةُ.

وَعَاشَتِ الْذَّابُ فِي الْغَابَةِ، وَعَاشَتِ الْحَيَّاتُ  
وَالْعَقَارِبُ فِي الْبَلَدِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا أَحَدٌ.

وَلِكِنْ مَا كَانَ لِمَوْلُودٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعِيشَ فِي  
مَمْلَكَةِ فِرْعَوْنَ.

وَذَبَحَ الْأُوفُ مِنَ الْأَطْفَالِ أَمَامَ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ.  
وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
يَوْمًا عَسِيرًا.

وَكَانَ يَوْمٌ حُزْنٌ وَبُكَاءٌ.  
وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمًا  
تَغْزِيَةً وَرِثَاءً.

وَكَانَ يُذَبِّحُ مِئَاتُ مِنَ الْأَطْفَالِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ كَعِيدَ  
الْأَضْحَى.

يُذَبِّحُ فِيهِ مِئَاتُ مِنَ الْغَنَمِ وَالنَّعَاجِ وَالْبَقَرِ.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَحَكَمَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضِعُفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّغُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخِيِّنَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

## ٦ - ولادة موسى

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَخَافُهُ وَيَحْذِرُهُ.  
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِهِ.  
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ خَلاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِهِ.  
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.  
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.  
وُلِدَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَى رَغْمِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.  
وَعَاشَ مُوسَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ عَلَى رَغْمِ الشُّرُطَةِ وَرَقَابَتِهِمْ.

وَلَكِنْ خَاقَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَى مَوْلُودِهَا الْجَمِيلِ،  
وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَعَدُوُ الْأَطْفَالِ بِمِرْصَادِ؟

وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَقَدْ اخْتَطَفَتِ الشَّرْطَةُ عَشَرَاتٍ مِنَ  
الْأَطْفَالِ مِنْ حِجْرِ الْأَمْهَاتِ فِي أَسْرَتِهَا.

مَاذَا تَضْنَعُ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ، وَأَينَ تُخْفِي هَذَا الْمَوْلُودُ  
الْجَمِيلُ وَالشَّرْطَةُ لَهُمْ عَيْنُ الْغُرَابِ، وَشَامَةُ النَّمَلِ.

هُنَالِكَ أَغَاثَ اللَّهُ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ وَأَهْمَمَهَا أَنْ تَضَعَهُ  
فِي صُندُوقٍ وَتُلْقِيهِ فِي النَّيلِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! كَيْفَ تَضَعُ الْأُمُّ الْحَنُونُ طِفْلَهَا فِي صُندُوقٍ  
وَتُلْقِيهِ فِي النَّيلِ؟!

مَنْ يُرْضِعُ الطَّفْلَ فِي الصُّندُوقِ؟ وَكَيْفَ يَتَنَفَّسُ الطَّفْلُ  
فِي الصُّندُوقِ؟!

كُلْ ذَلِكَ فَكَرَّثَ فِيهِ الْأُمُّ الْحَنُونُ وَلَكِنَّهَا تَوَكَّلَتْ  
عَلَى اللَّهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ.

وَلَيْسَ الْبَيْتُ أَخْفَظَ لِلْطَّفْلِ مِنَ الصُّندُوقِ!

هُنَا الشُّرُطَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعَدُوا الْأَطْفَالَ بِمِرْصَادٍ.  
 وَالشُّرُطَةُ لَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّملِ.  
 وَقَعَلَتِ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ مَا أَمْرَهَا اللَّهُ وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا  
 الْجَمِيلَ فِي صُندُوقٍ وَأَلْقَتُهُ فِي النَّيلِ.  
 وَجَزَعَتِ الْأُمُّ الْخَنُونُ ثُمَّ صَبَرَتْ وَتَوَكَّلَتْ عَلَى اللَّهِ.  
 ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمَّرَ مُوسَى أَنَّ أَرْضِيَهُ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ  
 فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنْ فَإِنَّ رَادُودَ إِلَيْكَ  
 وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧).

## ٨ - فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ

كَانَ فِرْعَوْنُ لَهُ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ.  
 وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ قَصْرٍ إِلَى قَصْرٍ وَيَتَنَزَّهُ عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ.  
 وَكَانَ يَوْمًا جَالِسًا عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ يَتَنَزَّهُ وَيَرَى إِلَى  
 النَّهَرِ يَجْرِي تَحْتَ رِجْلِيهِ.

وَكَانَتْ مَعَهُ مَلِكَةٌ مِضْرَأً تَنَزَّهُ مَعَ الْمَلَكِ وَتَرَى إِلَى  
 النَّيلِ يَجْرِي وَيَبْيَنَمَا يَتَنَزَّهَا إِذْ وَقَعَ بَصَرُهُمَا عَلَى صُندُوقٍ

تَلْعَبُ بِهِ أَمْوَاجُ النَّيلِ كَأَنَّمَا تُقْبِلُهُ.  
هَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي ذَلِكَ الصُّندُوقُ؟  
أَيْنَ الصُّندُوقُ فِي النَّيلِ؟ إِنَّمَا هِيَ خَشِبَةٌ سَقَطَتْ فِي  
النَّيلِ.

لَا يَا سَيِّدِي إِنَّمَا هُوَ صُندُوقٌ!  
وَقَرُبَ الصُّندُوقُ، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ هَذَا صُندُوقٌ!  
وَأَمْرَ الْمَلِكُ أَحَدُ الْخَدَمِ، وَقَالَ: إِلَيْكَ هَذَا  
الصُّندُوقُ!

وَذَهَبَ الْخَادِمُ وَأَخْرَجَ الصُّندُوقَ!  
وَفُتَحَ الصُّندُوقُ فَإِذَا فِيهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ يَتَسَبَّسُ.  
وَتَحَيَّرَ النَّاسُ، كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيَرَاهُ.  
وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَرَآهُ.  
قَالَ بَعْضُ الْخَدَمِ: إِنَّ هَذَا الْغُلَامُ إِسْرَائِيلِيٌّ وَلَا بُدَّ  
لِلْمَلِكِ أَنْ يَذْبَحَهُ.

وَرَأَتِهِ الْمَلِكَةُ، وَدَخَلَ حُبَّهُ فِي قَلْبِهَا فَضَمَّتْهُ إِلَى  
صَدْرِهَا وَقَبَّلَتْهُ.

وَشَفَعْتُ لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَقَالَتْ: «قُرْتُ عَيْنَ تِي وَلَكَ لَا  
نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدَّا».

وَهَكَذَا دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَ فِرْعَوْنَ، وَعَاشَ  
عَلَى رَغْمِ فِرْعَوْنَ وَشُرُّطَتِهِ.

وَلَمْ يَهْتَدِ الشُّرُطَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْلُودِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَلَهُمْ  
عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمَلِ.

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرَبِّي فِرْعَوْنَ «عَدُوُّ الْأَطْفَالِ» طِفْلًا  
يَذْهَبُ مُلْكُهُ عَلَى يَدِهِ.

مِسْكِينٌ فِرْعَوْنُ! لَقَدْ أَخْطَأَ فِي شَأْنٍ مُوسَى.

وَقَدْ أَخْطَأَ مَعَهُ وَزِيرُهُ هَامَانُ وَجُنُودُهُ.

﴿فَالْنَّقْطَةُ هُوَ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا إِنَّ  
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا حَاطِئِينَ ﴾٨﴾.

## ٩ - مَنْ يُرْضِيُ الطَّفْلَ؟

وَكَانَ الطَّفْلُ الْجَدِيدُ وَكَانَ الطَّفْلُ الْجَمِيلُ لُعْبَةُ الْقَصْرِ  
وَلَهُو الدَّارِ.

كُلٌّ يَأْخُذُهُ وَيَقْبِلُهُ، وَكُلٌّ يُحِبُّهُ وَيَمْدُحُهُ، لَأَنَّ الْمَلِكَةَ  
تُحِبُّهُ حُبًا عَظِيمًا.

فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ سَيِّدَاتُ الْقَضْرِ وَكَيْفَ لَا يُحِبُّهُ خَدْمُ  
الْقَضْرِ.

وَكُلٌّ يَأْخُذُهُ وَيَقْبِلُهُ، لَأَنَّ الْطَّفْلَ جَمِيلًّا.

وَظَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا تُرْضِعُ الْطَّفْلَ، وَجَاءَتْ  
وَأَخَذَتِ الْطَّفْلَ وَلَكِنَّ الْطَّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى.

وَظَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا أُخْرَى، وَحَضَرَتْ وَأَخَذَتِ  
الْطَّفْلَ، وَلَكِنَّ الْطَّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى.

وَثَالِثَةٌ وَرَابِعَةٌ وَخَامِسَةٌ وَلَكِنَّ الْطَّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى.

عَجَباً! لِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ الْطَّفْلُ، لَأَيِّ شَيْءٍ يَبْكِي؟

اجْتَهَدَتِ الْمَرَاضِعُ أَنْ تُرْضِعَ الْطَّفْلَ لِتُسِيرَ الْمَلِكَةَ  
وَتَنَالَ مِنْهَا جَائِزَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ.

وَأَصْبَحَ الْطَّفْلُ حَدِيثَ الْقَضْرِ وَشُغْلَ الدَّارِ.

هَلْ رَأَيْتِ يَا أُخْتِي الْطَّفْلَ الْجَدِيدَ؟؟!

نَعَمْ قَدْ رَأَيْتَهُ؛ طِفْلٌ جَمِيلٌ جِدًا.

وَلِكِنَّهُ طِفْلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ كَالْأَطْفَالِ! إِنَّهُ لَا يَرْتَضِيُّ.  
وَإِذَا أَخَذَتُهُ مُرْضِعٌ يَبْكِي وَيَأْبَى أَنْ يَرْتَضِيَ؛ مِسْكِينٌ  
كَيْفَ يَعِيشُ؟ إِنَّهُ يَمُوتُ.  
نَعَمْ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَلَمْ يَرْتَضِيُّ.

### ١٠ - فِي حِجْرِ أُمِّهِ

وَقَالَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ لِأُخْتِ مُوسَى :  
اذْهَبِي يَا ابْنَتِي وَانْظُرِي أَخَالِكِ لَعَلَّهُ حَيٌّ .  
إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنَّهُ يَرُدُّ الطَّفْلَ إِلَيَّ وَأَنَّهُ يَحْفَظُهُ .  
وَذَهَبَتِ أُخْتُ مُوسَى تَبَحَثُ عَنْ أَخِيهَا .  
وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طَفْلٍ جَمِيلٍ فِي قَصْرِ  
الْمَلِكِ .

ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ وَوَقَفَتْ تَسْمَعُ حَدِيثَ النِّسَاءِ فِي  
الْقَصْرِ .

هَلْ جَاءَتِ الْمُرْضِعُ الَّتِي طَلَبْتُهَا الْمَلِكَةُ مِنْ أَسْوَانِ؟  
نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي ، وَلَكِنَّ الطَّفْلَ أَبَى أَيْضًا وَلَمْ يَرْتَضِيَ .

يَا سَلَامُ! مَا شَأْنُ هَذَا الْطَّفْلُ؟ لَعَلَّ هَذِهِ هِيَ السَّادِسَةُ  
الَّتِي جَرَّبَتْهَا الْمَلِكَةُ.

تَعَمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا مُرْضِعٌ نَظِيفَةٌ جِدًا وَكُلُّ يَرْتَضِعُ  
مِنْهَا.

سَمِعَتْ أُخْتُ مُوسَى هَذَا الْكَلَامَ وَقَالَتْ بِأَدَبٍ وَلُطْفٍ:  
أَنَا أَعْرِفُ امْرَأَةً فِي الْبَلَدِ، لَا بُدَّ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهَا  
الْطَّفْلُ.

قَالَتْ امْرَأَةً: أَنَا لَا أُصَدِّقُ قَدْ جَرَّبَنَا سِتَّ مَرَاضِعَ  
وَلَكِنَّ الْطَّفْلَ لَمْ يَرْتَضِعْ.

قَالَتْ أُخْرَى: وَلِمَاذَا لَا نُجَرِّبُ السَّابِعَةَ، مَاذَا عَلَيْنَا؟  
وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكَةِ فَطَلَبَتِ الْجَارِيَةَ وَقَالَتْ:  
«اذْهَبِي وَخُذِي مَعَكِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ».

وَجَاءَتْ أُمُّ مُوسَى، وَجَاءَتْ خَادِمَةٌ وَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا  
مُوسَى.

فَاعْتَنَقَ الْطَّفْلُ الْمَرْأَةَ وَأَقْبَلَ يَرْتَضِعُ، كَانَهُ كَانَ مِنْهَا  
عَلَى مِيعَادٍ.

وَلِمَاذَا لَا يَرْتَضِي وَهِيَ أُمُّهُ الْخَنُونُ؟!  
 وَلِمَاذَا لَا يَرْتَضِي وَهُوَ جَائِعٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟!  
 وَعَجِبَتِ الْمَلِكَةُ وَعَجِبَ أَهْلُ الْقَصْرِ وَأَرْتَابَ فِرْعَوْنَ  
 وَقَالَ: لِمَاذَا قَبْلَ هَذَا الطَّفْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَهَلْ هِيَ أُمُّهُ؟  
 قَالَتْ أُمُّ مُوسَى: يَا سَيِّدِي أَنَا امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ الرِّيحُ طَيِّبَةٌ  
 اللَّبَنُ كُلُّ طِفْلٍ يَقْبَلُنِي.  
 وَسَكَتْ فِرْعَوْنُ وَأَجْرَى عَلَيْهَا رِزْقًا.  
 وَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسَى إِلَى بَيْتِهَا وَفِي حَجْرِهَا مُوسَى.  
 «فَرَدَدَنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَمَا نَقَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَخْرُكَ وَلَا تَقْلُمَ  
 أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ﴿١٧﴾

## ١١ - إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ

وَلَمَّا أَتَمَّتْ أُمُّ مُوسَى رَضَا عَاتِهِ رَدَّتْهُ إِلَى الْقَصْرِ.  
 وَنَشَأَ مُوسَى فِي قَصْرِ الْمَلِكِ كَمَا يَنْشَأُ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ.  
 وَهَكَذَا زَالَتْ مِنْ قَلْبِ مُوسَى مَهَابَةُ الْمُلُوكِ  
 وَالْأَغْنِيَاءِ.

وَرَأَى مُوسَى بِعَيْنِيهِ كَيْفَ يَنْعَمُ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ.  
 وَكَيْفَ يَشْقَى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَنْعَمُ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ.  
 وَكَيْفَ يَجْوَعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِتَشْبَعَ دَوَابُ فِرْعَوْنَ.  
 وَكَيْفَ يُعَالِمُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَالَمَةَ الْحَمِيرِ وَالدَّوَابِ.  
 وَكَيْفَ يَسْتَخْدِمُونَهُمْ وَيَسْوُمُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.  
 وَكَانَ مُوسَى يَرَى ذَلِكَ صَبَاحَ مَسَاءَ وَسَكُتُ.  
 وَلَكِنْ كَانَ مُوسَى يَغْيِظُهُ ذَلِكَ.  
 وَكَيْفَ لَا يَغْيِظُهُ إِهَانَةُ قَوْمِهِ وَأَسْرَتِهِ.  
 وَهُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْسَاءِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ.  
 وَمَا ذَنِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَلَا نَهُمْ لَيْسُوا أَقْبَاطًا؟!  
 أَلَا نَهُمْ مِنْ كَنْعَانَ؟!  
 هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ! هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ!

## ١٢ - الضربة القاضية

وَلَمَّا كَانَ مُوسَى شَابًا قَوْتًا آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا.  
 وَكَانَ مُوسَى يُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وَيَكْرَهُهُمْ، وَيُحِبُّ

الضُّعفاءُ وَالْمَظْلومِينَ وَيَنْصُرُهُمْ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .  
وَدَخَلَ مُوسَى مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ مَرَّةً وَالنَّاسُ فِي لَهْوٍ  
وَشُغْلٍ .

وَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهَذَا  
مِنَ الْأَقْبَاطِ أَعْدَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَصَرَخَ الْإِسْرَائِيلِيُّ وَنَادَى مُوسَى لِنَضِرِهِ وَشَكَ  
الْقِبِطِيَّ .

وَغَضِبَ مُوسَى فَضَرَبَ الْقِبِطِيَّ، فَكَانَتْ الْقَاضِيَّةُ .  
وَمَا تَأْتِ الْقِبِطِيُّ وَنَدِمَ مُوسَى جِدًا، وَعَرَفَ أَنَّ هَذَا مِنْ  
عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

فَتَابَ مُوسَى إِلَى اللَّهِ وَأَنَابَ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .  
﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّمَا عَذَّبُ مُضِلُّ مُؤْمِنِينَ ﴾ .  
وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ  
يَقْتُلَ الْقِبِطِيَّ، بلْ ضَرَبَهُ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ .  
وَحَمَدَ اللَّهَ مُوسَى وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَغَفَرَ  
لِي ﴿ فَلَمَّا كُوِنَ ظَهِيرًا لِلْمُتَجَرِّمِينَ ﴾ .

وَأَضْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ وَيَخْذُرُ مَتَى تَجِئُهُ  
شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَلَهُمْ عَيْنُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ.

وَأَضْبَحَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ مَتَى تَجِئُهُ الشُّرْطَةُ وَيَاخْذُونَهُ  
إِلَى الْجَبَارِ.

وَرَأَى الشُّرْطَةُ قَتِيلًاً قِبْطِيًّاً مِنْ خَدْمِ فِرْعَوْنَ فَقَتَّشُوا عَنِ  
الْقَاتِلِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ.

وَمَنْ يَدْلِلُهُمْ عَلَى الْقَاتِلِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مُوسَى  
وَالإِسْرَائِيلِيُّ؟!

وَأَضْبَحَ الْقَتِيلُ حَدِيثَ الْبَلَدِ وَشُغْلَ الْمَدِينَةِ، كُلُّ  
يَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَلَا يَعْلَمُ قَاتِلَهُ.

وَغَضِبَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ لِلشُّرْطَةِ: لَا بُدَّ أَنْ تُفَتَّشُوا عَنِ  
الْقَاتِلِ.

### ١٣ - يَظْهَرُ السُّرُّ

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَرَى مُوسَى ذَلِكَ الإِسْرَائِيلِيَّ فِي  
قِتَالٍ وَخِصَامٍ مَعَ قِبْطِيًّا آخَرَ.

وَمَا اسْتَحْيى الْإِسْرَائِيلِيُّ بَلْ صَرَخَ وَنَادَى مُوسَى  
لِنُصْرَتِهِ .

قَالَ مُوسَى إِنَّكَ رَجُلٌ وَقُحٌّ، أَلَا تَرَأْلُ فِي قِتَالٍ  
وَجِدَالٍ مَعَ النَّاسِ وَلَا تَرَأْلُ تَصْرُخُ وَتُنَادِينِي .

أَلَا أَزَالُ أَنْصُرُكَ وَأَسَاعِدُكَ ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُؤَدِّبَ الْقِبِطِيَّ قَلِيلًا وَتَقَدَّمَ  
إِلَيْهِمَا .

وَرَأَى الْإِسْرَائِيلِيُّ غَضَبَ مُوسَى وَسَمِعَ مَلَامَةً .  
وَخَافَ أَنْ يَضْرِبَهُ مُوسَى فَتَكُونَ الْقَاضِيَّةُ، كَمَا ضَرَبَ  
الْقِبِطِيَّ فَكَانَتِ الْقَاضِيَّةُ .

﴿قَالَ يَمْوَسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ  
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ .

هُنَالِكَ عَرَفَ الْقِبِطِيُّ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ أَمْسِ .

وَذَهَبَ الْقِبِطِيُّ وَأَخْبَرَ الشُّرُطَةَ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ الْقَاتِلُ .  
وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَغَضِبَ وَقَالَ: أَذْلِكَ الْفَتَى  
رَبِيبُ الْقَصْرِ وَرَضِيعُ الْمُلْكِ؟

وَلِكِنَ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يَنْجُو مُوسَى مِنْ شَرِ فِرْعَوْنَ  
وَشُرُّ طَبِيعَتِيهِ.

إِنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقَبْطِيَّ بَلْ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً  
كَانَتِ الْقَاضِيَّةَ.

وَلِكِنَ فِرْعَوْنَ وَشُرُّ طَبِيعَتِهِ لَا يُسَلِّمُونَ ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُونَ  
لِمُوسَى عُذْرًا.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَرَ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِ  
مُوسَى، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَرَ أَنْ يَكُونَ خَلاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
عَلَى يَدِ مُوسَى.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَرَ أَنْ يُخْرِجَ مُوسَى النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ  
الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُ الشُّرُّ طَبِيعَتِيَّةِ  
الظَّالِمِينَ.

وَكَانَ رِجَالُ فِرْعَوْنَ وَوُزَّارَاؤُهُ يَتَشَاءُرُونَ وَيَعْزِمُونَ عَلَى  
قَتْلِ مُوسَى.

وَكَانَ رَجُلٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَعْرِفُهُ فَجَاءَ إِلَى مُوسَى

وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ وَقَالَ : «فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ». (١١) **﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَكَّبُ فَلَمْ رَتِ تَخْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**.

## ١٤ - من مصر إلى مدین

وَلَكِنْ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى ، وَمِصْرُ كُلُّهَا مَمْلَكَةٌ  
لِفِرْعَوْنَ؟!

وَشُرُطَةٌ فِرْعَوْنَ بِالْمِرْصَادِ ، وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ  
النَّمْلِ!

أَللَّهُمَّ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَدِينَ الْبَلَدِ الْعَرَبِيِّ ،  
حَيْثُ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِ يَدُ فِرْعَوْنَ .

إِنَّ مَدِينَ بَادِيَّةً وَقُرَى لَيْسَ فِيهَا مَدَنِيَّةٌ مِصْرَ .

وَلَيْسَ فِيهَا قُصُورٌ مِصْرَ وَأَسْوَاقٌ مِصْرَ .

وَلَكِنَّهَا بِلَادٌ سَعِيدَةٌ لِأَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنْ فِرْعَوْنَ .

وَإِنَّهَا سَعِيدَةٌ لِأَنَّهَا بِلَادٌ حُرَّةٌ لَيْسَتْ تَحْتَ حُكْمِ  
فِرْعَوْنَ .

يَا حَبَّذا الْبَدَاوَةُ مَعَ الْحُرُّيَّةِ وَالْعَدْلِ .

وَيَا شَقَاوةَ الْمَدِينَةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ.

هُنَالِكَ يُضْبِحُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ فِرْعَوْنَ  
وَقَهْرِهِ.

وَهُنَالِكَ يَبْيَسُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ شُرُّظَةَ فِرْعَوْنَ وَشَرَّهُ  
هُنَالِكَ لَا تُذْبَحُ الْأَبْنَاءُ.

فَصَدَّ مُوسَى مَدْيَنَ . وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ  
أَيْتَبِعُهُ أَحَدٌ، وَلَكِنْ نَامَ عَنْهُ الشُّرُّظَةُ.

خَرَجَ مُوسَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ يَدْعُو اللَّهَ وَيَظْلُبُ مِنْهُ  
النَّصْرَ.

»وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءً

الْكَبِيلِ . ﴿٢٦﴾

## ١٥ - في مدین

وَصَلَّ مُوسَى إِلَى مَدْيَنَ، لَا يَعْرِفُ أَحَدًا وَلَا يَعْرِفُهُ  
أَحَدٌ.

فَمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ؟ وَأَيْنَ يَبْيَسُ.

تَحِيرَ مُوسَى وَلَكِنَهُ أَيْقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُهُ.  
وَكَانَ هُنَالِكَ بِئْرٌ يَسْقِي عَلَيْهَا النَّاسُ غَنَمَهُمْ  
وَمَا شِيشَتُهُمْ.

وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ غَنَمَهُمَا وَتَنْتَظِرَانِ أَنْ يَسْقِيَ  
النَّاسُ فَتَسْقِيَاهَا.

رَأَى مُوسَى ذَلِكَ وَفِي قُلُبِهِ حَنَانُ الْكَرِيمِ وَشَفَقَةُ الْأَبِ  
الرَّحِيمِ.

فَقَالَ: لِمَاذَا لَا تَسْقِيَانِ؟

قَالَتَا: لَا يُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَسْقِيَ غَنَمَنَا حَتَّى يَسْقِيَ  
النَّاسُ، لِأَنَّهُمْ أَفْوَيَاءُ، وَنَحْنُ ضُعَفَاءُ، وَلِأَنَّهُمْ رِجَالٌ  
وَنَحْنُ إِنَاثٌ.

وَكَانَمَا عَرَفَتَا أَنَّ مُوسَى سَيَسْأَلُهُمَا: فَلِمَاذَا لَا يَسْقِيَ  
أَحَدٌ مِنْ رِجَالٍ بَيْتُكُنَّ؟

فَسَبَقَتَا وَقَالَتَا: «وَأَبُوكَا شَيْخٌ كَبِيرٌ».

وَهَاجَ فِي مُوسَى حَنَانُ الْكَرِيمِ وَسَقَى لَهُمَا وَذَهَبَتَا.  
وَأَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى الْآنَ؟!

وَإِلَى أَيْنَ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ وَأَيْنَ يَبِيتُ؟ إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ  
أَحَدًا وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ!

«ثُمَّ تَوَكَّتْ إِلَى الظَّلَلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ  
خَيْرٍ فَقِيرٌ».

## ١٦ - الطلب

وَوَصَلَتِ الْجَارِيَّاتِ إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ الْمِيعَادِ فَتَعَجَّبَ  
أَبُوهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنِ السَّبَبِ.

وَقَالَ لَهُمَا: مَا أَغْجَلْتُكُمَا يَا بُشَّيْ، وَكَيْفَ وَصَلْتُمَا  
الْيَوْمَ قَبْلَ الْمِيعَادِ؟

قَالَتِ السَّيِّدَاتِ: قَدْ قَدَرَ اللَّهُ لَنَا رَجُلًا كَرِيمًا سَقَى  
لَنَا.

تَعَجَّبَ الشَّيْخُ وَعَرَفَ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ  
يَرَهُمْهُنَّ يَوْمًا.

قَالَ الشَّيْخُ: وَأَيْنَ تَرَكْتُمَا الرَّجُلَ؟

قَالَتَا: تَرَكْنَاهُ فِي مَكَانِهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى!

قَالَ الشَّيْخُ: مَا أَحْسَنْتُمَا يَا بْنَتَيِّ، رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدْ  
أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَلَيْسَ لَهُ مَأْوَى فِي الْبَلْدِ.

إِلَى مَنْ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ يَبْيَسْ؟!  
إِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الضِّيَافَةِ، وَإِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ  
الْإِحْسَانِ!

لِتَذَهَّبَ إِلَهَائِكُمَا وَتَأْخُذُهُ مَعَهَا.

«فَجَاءَهُمْ إِلَيْهِمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتِحْيَائِهِ قَالَتْ إِنَّ أَنِي  
يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا».  
وَعَرَفَ مُوسَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَبَوَأَ لَهُ، فَمَا  
أَبْيَ.

وَخَرَجَ مُوسَى أَمَامَهَا لِئَلَّا يَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيْهَا، وَمَشَى  
مُوسَى مَشَى الْكَرَامِ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّيْخِ سَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ وَوَطْنِهِ وَخَبْرِهِ.  
وَأَخْبَرَ مُوسَى خَبْرَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ.

سَمِعَ الشَّيْخُ كُلَّ ذَلِكَ بِصَبْرٍ وَهُدُوءٍ، وَلَمَّا انتَهَى  
مُوسَى مِنْ قِصَّتِهِ.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ بَعْثَةً مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

## ١٧ - الزواج

وَأَقَامُ مُوسَى عِنْدَهُمْ مَقَامَ ضَيْفٍ كَرِيمٍ، بَلْ حَلَّ مِنْهُمْ  
مَحَلَّ الْوَلَدِ الْعَزِيزِ.

وَقَالَتْ سَيِّدَةٌ لِوَالِدِهَا يَوْمًا فِي بَسَاطَةٍ وَظَهَارَةٍ.

﴿يَا أَبَتِ أَسْتَعْجِرُكَ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعْجَرَ الْقَوْيِ  
الْأَمِينُ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ: وَمَا عِلْمُكِ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ يَا بُنْتِي؟

قَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ فَلِإِنَّهُ رَفَعَ الْغِطَاءَ عَنِ الْبَئْرِ وَحْدَهُ،  
وَلَا يَرْفَعُهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ.

وَأَمَّا أَمَانَتُهُ يَا أَبَتِ فَلِإِنَّهُ مَشَى أَمَامِي لَا يَنْتَظِرُ إِلَيَّ  
طُولَ الطَّرِيقِ.

وَلَا بُدَّ لِلْأَجِيرِ وَلَا بُدَّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِيناً.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا ضَعَفَ عَنِ الْعَمَلِ.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيناً لَمْ تَنْفَعْنَا قُوَّتُهُ مَعَ خِيَانَتِهِ.

وَوَافَقَ كَلَامُ السَّيْدَةِ هَوَىٰ فِي قَلْبِ الشَّيْخِ وَلَكِنَّهُ فَكَرَ فِي الْمَسَأَلَةِ كَوَالِدٍ.

وَفَكَرَ فِي الْمَسَأَلَةِ كَشَيْخٍ عَاقِلٍ.

قَالَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا يَكُونُ أَحَقُّ مِنْ هَذَا الْفَتَى بِأَنْ يَكُونَ صِهْرًا لِي.

وَأَيْنَ أَجِدُ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ هَذَا الشَّابَ؟!

أَمَّا فِي مَدْنَى فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَهْلًا لِذَلِكَ!

وَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَ إِلَيَّ هَذَا الْفَتَى لِيَكُونَ لِي صِهْرًا وَوَزِيرًا.

فَقَالَ فِي وَقَارِ وَشَفَقَةٍ وَحِكْمَةٍ:

«إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنِكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَتَّيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجِرَنِي ثَمَنَ حِجَّةٍ».

وَهَذَا هُوَ صِدَاقُكَ، أَمَّا هَذِهِ السَّنَوَاتُ الثَّمَانِيَّ فَلَا بُدَّ مِنْهَا.

«فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرَ عَلَيْكَ سَتَّاً حَدَّدْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

خافَ الشَّيْخُ أَنْ يَذْهَبَ الشَّابَ بِيَتْهِ وَيَقْرَبَ وَحِيداً.  
وَرَأَى الشَّيْخُ أَنْ يُجَرِّبَ الشَّابَ أَيْضًا حَتَّى إِذَا اطمَأنَّ  
إِلَيْهِ وَدَعَهُ.

وَاقَعَ مُوسَى عَلَى ذَلِكَ وَرَأَى أَنَّ هَذَا مِنَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ  
سَيِّئَارِكُ فِي ذَلِكَ.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَهُ إِلَى مَدِينَةِ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الشَّيْخِ وَالْقَى  
فِي قَلْبِهِ حَنَانًا وَحُبًّا.

فَقَالَ: «ذَلِكَ بَيْتِي وَبَيْتَكَ».

وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى - بِحِكْمَتِهِ وَعَقْلِهِ - أَنْ يَخْفَظَ لَهُ حَقًّا  
الْخِيَارِ لَعَلَهُ يَسْأَمُ فَقَالَ:

«أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عَذُونَكَ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ  
وَكِيلٌ».

## ١٨ - إِلَى مِضْرَبِ

«فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ» وَوَدَعَ الشَّيْخَ  
وَوَدَعَهُ الشَّيْخُ وَدَعَاهُ لَهُ:

عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَا وَلَدِي ! فِي أَمَانِ اللَّهِ يَا بُشْرِي !

وَسَافَرَ مُوسَى بِأَهْلِهِ، وَاللَّيْلُ كُلُّهُ بَرْدٌ وَظَلَامٌ .

وَلَكِنْ أَيْنَ النَّارُ فِي الصَّحْرَاءِ؟

وَمَاذَا يَضْتَعَانِ إِذَا لَمْ يَجِدَا نَاراً يَضْطَلِيَانِ بِهَا ، وَلَمْ

يَجِدَا نُوراً يَهْتَدِيَانِ بِهِ؟ !

وَبَيْتَنَا هُمَا يَسِيرَانِ وَمُوسَى يَبْحَثُ عَنْ نَارٍ ﴿إِذْ رَأَى

نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِنِّي مَانَثْ نَاراً لَعَلِيَّ عَالِيُّوكُمْ مِنْهَا يَقْبَسِ

أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ .

وَسَارَ مُوسَى قَبْلَ النَّارِ عَلَى جَنَاحِ السَّوقِ .

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا ثُوْدَى يَنْمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلُعُ نَعْلَيْكَ

إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى﴾ .

هُنَالِكَ كَلْمَ اللَّهِ مُوسَى وَأَوْحَى إِلَيْهِ .

﴿وَأَنَا آخِرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنَا فَاقْبَدِنِي وَأَقِيمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ .

وَكَانَ فِي يَدِ مُوسَى عَصَاً كَانَ يَحْمِلُهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا .

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿وَمَا تِلْكَ يِسْمِينَكَ يَكُمُوسَنِي ﴾ ١٧ .

وَأَجَابَ مُوسَى فِي بَسَاطَةٍ وَسَذَاجَةٍ :

﴿هِيَ عَصَائِي﴾ .

وَأَخَذَ مُوسَى يَعْدُ قَوَائِدَ هَذِهِ الْعَصَائِي فِي تَفْصِيلٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ وَيَكُونَ حَدِيثُهُ طَوِيلًا .

﴿هِيَ عَصَائِي أَتَوْكَثُوا عَلَيْهَا وَاهْشُ يَهَا عَلَى غَنَمِي وَلَيْ فِيهَا مَغَارِبُ أُخْرَى﴾ .

﴿قَالَ أَلِقْهَا يَكُمُوسَنِي ﴾ ١٨ .

﴿فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ ١٩ .

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخْفَ سَتْعِيدُهَا سِرَّهَا الْأُولَى ﴾ ٢٠ .

وَمَنَحَ مُوسَى آيَةً ثَانِيَةً، هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فَقَالَ :

﴿وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ مَاءَيَةٍ

أُخْرَى . ﴾ ٢١ .

## ١٩ - اذْهَبْ إِلَى فَرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ أَنْ يَشْرَعَ عَمَلَهُ الَّذِي خَلَقَهُ لِأَجْلِهِ .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، إِنَّ فِرْعَوْنَ أَفْسَدَ فِي  
الْأَرْضِ.

إِنَّ قَوْمًا فِرْعَوْنَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، إِنَّ قَوْمًا فِرْعَوْنَ أَفْسَدُوا  
فِي أَرْضِ اللَّهِ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿إِنَّمَا  
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

لَكِنْ كَيْفَ يَذْهَبُ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَكَيْفَ يُوَاجِهُ  
الْجَبَارَ.

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقِبْطَيَ بِالْأَمْسِ وَمَا أَمْسٌ بِيَعْدِ!  
وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، وَيَعْرِفُهُ  
الشُّرُطَةُ وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ الْقَضْرِ.

﴿قَالَ رَبِّي فَلَمَّا قَاتَلُوكُمْ نَفْسًا فَلَا خَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

وَذَكَرَ مُوسَى أَنَّ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ  
مُوسَى رَغْمَ ذَلِكَ كُلَّهُ.

﴿وَلَذِنَادِي رَبِّكَ مُوسَقَ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ أَلَا يَنْقُونَ ﴾ ۱۱﴾ .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ ﴾ وَيَضْبِطُ صَدِّرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيْنَ هَرُونَ ﴾ ۱۲﴾ .

﴿وَلَمْ يَمْلِمْ عَلَىٰ ذَنبٍ فَلَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴾ ۱۳﴾ .

﴿قَالَ كَلَّا فَأَذْهَبَا بِعَايَنَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ۱۴﴾ .

﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ۱۵﴾ .

﴿أَنَّ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ۱۶﴾ .

وَأَوْصَى اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ بِاللَّيْنِ وَالرُّفْقِ مَعَ فِرْعَوْنَ .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرُّفْقَ مَعَ أَغْدَاهِهِ إِلَى حَدٍ فَقَالَ :

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِئَنَّا لَعَلَّهُ يَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ۱۷﴾ .

## ٢٠ - أَمَامُ فِرْعَوْنَ

وَجَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَيْ فِرْعَوْنَ وَقَامَا فِي مَجْلِسِهِ يَدْعُوَا إِلَيِ اللَّهِ .

وَغَضِبَ الْجَبَارُ مِنْ جَرَاءَةِ مُوسَىٰ وَقَالَ فِي عُلُوٍّ  
وَكِبْرٍ:

مَنْ تَكُونُ أَيُّهَا الشَّابُ حَتَّىٰ تَقُومَ فِي مَحْلِي  
وَتَعْظِنِي. أَلَسْتَ ذَلِكَ الْغُلَامُ الَّذِي اتَّقْطَنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ؟

﴿أَلَّا تُرِيكَ فِينَا وَلِدًا وَلَيَشَتَّ فِينَا مِنْ شُرُوكَ سِينَ﴾.

﴿وَفَعَلَتْ فَعْلَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَلَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَلَمْ يَغْضَبْ مُوسَىٰ وَلَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَجْحَدْ وَلَمْ يَعْتَذِرْ  
بِلْ أَجَابَ فِي صَرَاحَةٍ وَوَقَارٍ.

﴿قَالَ فَعَلَتْهَا إِذَا وَلَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَقَرَأَتْ مِنْكُمْ لَمَّا  
خَفَثُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَقِّ حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾،

وَقَالَ مُوسَىٰ: إِنَّكَ يَا فِرْعَوْنَ تَمُنُّ عَلَيَّ بِالتَّرْبِيَةِ وَلَكِنْ  
لَا تَنْظُرْ لِمَاذَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ وَكَيْفَ أُمْكِنَكَ أَنْ تُرَيِّنِي؟

إِنَّكَ لَوْلَمْ تَأْمُرْ بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ لَمَا أَلْقَتْنِي أُمِّي فِي  
النَّيلِ وَمَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ.

وَهَلْ هَذِهِ نِعْمَةٌ تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ فِي جَنْبِ ظُلْمِكَ  
وَقَسَاؤِكَ؟

إِنَّكَ عَامَلْتَ قَوْمِي كُلَّهُمْ مُعَالَمَةَ الْحَمِيرِ وَالدَّوَابِ .  
 وَكُنْتَ تَرْجُرُهُمْ رَجْرَ الْكِلَابِ .  
 وَكُنْتَ تَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .  
 فَأَيُّ فَضْلٍ لَكَ إِذَا كَفَلْتَ طِفْلًا مِنْهُمْ ! وَذَلِكَ أَيْضًا  
 عَنْ جَهْلٍ وَخَطَإِ !  
 »وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تُنْهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١﴾ .

## ٢١ - الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَخلَّصَ  
 فَقَالَ :  
 »وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» الَّذِي أَسْمَعْتَنِي تَذْكُرُهُ ؟  
 »قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» .  
 عَظِيبٌ فِرْعَوْنٌ مِنْ هَذَا الْجَوابِ وَأَرَادَ أَنْ يَغْضِبَ  
 أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَيَتَعَجَّبُوا .

»قَالَ لِعَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِونَ ! ! ! ﴿١٢﴾  
 وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ بَلْ ضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَانِيَةً .

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ أَبَابِيلِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾١١  
وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ وَلَمْ يَضِيرْ وَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَكُمُ  
الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْحُونٌ».

وَلَمْ يَقْطُعْ مُوسَى الْكَلَامَ وَضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَالِثَةً.  
﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾١٢  
وَأَرَادَ فِرْعَوْنٌ أَنْ يَشْغُلَ مُوسَى عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ  
الْمُرّ.

وَأَرَادَ فِرْعَوْنٌ أَنْ يُشَرِّعَ غَضَبَ مَلِئِهِ.  
فَقَالَ: «فَمَا بَالُ الْقَرْوَنِ الْأَوَّلِيِّ؟»!  
قَالَ فِرْعَوْنٌ فِي نَفْسِهِ: إِذَا قَالَ مُوسَى إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى  
الْحَقِّ.

قُلْتَ: فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ!  
وَإِذَا قَالَ مُوسَى إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ،  
غَضِيبَ أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقَالُوا إِنَّ مُوسَى سَبَّ أَبَاءَنَا.  
وَلَكِنَّ مُوسَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَكَانَ مُوسَى عَلَى  
نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ:

﴿عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ .  
 ثُمَّ أَنْشَأَ مُوسَى يَقُولُ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَفْرُثُ مِنْهُ  
 وَيَتَخَلَّصُ :

﴿لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَداً  
 وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ .

وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَبُهِتَ وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَقَالَ مَا تَقُولُهُ  
 الْمُلُوكُ كُلُّهُمْ إِذَا عَجَزُوا وَغَضِبُوا .

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِ﴾ . (٢٩)

## ٢٢ - مُغْرِزَاتُ مُوسَى

وَلَمَّا أَظْلَقَ فِرْعَوْنُ سَهْمَهُ، أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَرْمِيَهُ  
 بِسَهْمٍ اللَّهِ .

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِنْتَكَ يُشَيِّعُ مُؤْمِنًا﴾ !؟ (٣٠)

﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كَثُرَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ . (٣١)

﴿فَأَلَقَنَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ شَعْبَانُ مُؤْمِنٌ﴾ .

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ﴾ .

وَوَجَدَ فِرْعَوْنُ مَقَالًا يَقُولُهُ لِجُلْسَائِهِ .

﴿قَالَ لِلْمَلَأَ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَحْرٌ عَلَيْهِ﴾ (٢٣) .

وَوَافَقَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَحْرٌ مُّبِينٌ﴾ .

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْخِرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ

السَّاحِرُونَ﴾ (٢٤) .

وَرَأَى فِرْعَوْنُ مُوسَى بِسَهْمٍ آخَرَ قَالَ :

﴿قَالُوا أَجْئَنَا لِتَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَاءَأَهَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ

الْكِبِيرَةِ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٦) .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخْوِفَ الْمَلَأَ مِنْ مُوسَى فَعَلَ الْمُلُوكِ .

فَقَالَ : «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا

تَأْمِرُونَ﴾ (٢٥) .

أَشَارَ الْمَلَأُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَجْمِعَ السَّاحِرَةَ مِنْ مَمْلَكَتِهِ

وَيَرْزِقَهُمْ مُوسَى .

وَهَكَذَا كَانَ : نُودِيَ فِي مَمْلَكَةِ مِصْرَ «أَلَا مَنْ كَانَ

يَعْرِفُ السَّاحِرَ فَلْيَخْضُرْ إِلَى الْمَلِكِ» .

وَاجْتَمَعَ السَّاحِرَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِّنْ نَوَاحِي الْمَمْلَكَةِ .

وَكَانَ يَوْمُ الزِّينَةِ هُوَ الْمِيعَادُ.

﴿وَقَلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُ مُجْتَهِدٌ<sup>(٢٩)</sup> لَعَلَّنَا نَتَّجِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَنِيَّةُ<sup>(٣٠)</sup>?﴾

## ٤٣ - إلى الميدان

وَتَرَى النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ ضُحَىً! وَيَمْشُونَ  
إِلَى الْمِيدَانِ أَفْوَاجًا.

وَيَمْشُونَ إِلَى الْمِيدَانِ أَطْفَالًا، وَشُبَانًا وَشُيُوخًا،  
وَرِجَالًا وَنِسَاءً.

وَلَمْ يَقُلْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَرِيضٌ أَوْ عَاجِزٌ.  
وَلَا تَسْمَعُ فِي الْمَطَرِيَّةِ<sup>(١)</sup> إِلَّا حَدِيثَ السُّخْرِ وَأَسْمَاءَ  
السَّحَرَةِ.

هَلْ جَاءَ سَاحِرُ أَسْوَانَ<sup>(٢)</sup> الْأَكْبَرُ أَيْضًا؟  
نَعَمْ وَسَاحِرُ الْأَقْصَرِ<sup>(٣)</sup> وَسَاحِرُ الْجِيَزةِ<sup>(٤)</sup> الشَّهِيرُ!

(١) قصبة مصر أيام الفراعنة.

(٢)(٤) مدن مصر القديمة.

مَاذَا تَرَى يَا أخْيَيْنِ مَنْ يَعْلَمُ؟  
 إِنَّ مِصْرَ قَدْ أَلْقَتْ أَفْلَادَ كَبِدِهَا تَرَى يَغْلِبُهُمْ أَحَدُ!  
 وَكَيْفَ يَغْلِبُهُمْ مُوسَى وَأَخْوَهُ وَأَئِنَّ تَعْلَمَا السُّحْرَ؟  
 نَشَأَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ  
 وَكَانَ فِي مَدْنَيْنِ سِنِينَ .  
 فَأَيْنَ تَعْلَمَا السُّحْرَ؟  
 أَفِي مِصْرَ؟ لَا!  
 أَفِي مَدْنَيْنَ؟ مَا سَمِعْنَا أَنَّ هُنَالِكَ فَنَا!  
 وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَهُمْ بَيْنَ يَأسٍ وَرَجَاءٍ وَلَعَلَّ  
 الْيَأسَ أَغْلَبُ، اللَّهُ يَرْحُمُ ابْنَ عِمْرَانَ! اللَّهُ يَنْصُرُ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ .  
 وَجَاءَ السُّحَرَةُ وَأَقْبَلُوا بِخَيَالِهِمْ وَفَخْرِهِمْ .  
 وَخَرَجُوا فِي مَلَائِسِ مُلَوَّنَةٍ وَخَرَجُوا يَحْمِلُونَ الْعِصَيَّ  
 وَالْجِبَارَ .  
 وَخَرَجُوا يَضْحَكُونَ وَيَمْرَحُونَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْفَنِّ!  
 الْيَوْمَ يَرَى الْمَلِكُ صَنِيعَنَا، الْيَوْمَ يَرَى الْقَوْمُ فَضْلَنَا!

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لَأَخْرُجَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَعِنَ الْمُقْرَبِينَ وَهَذِهِ هِيَ جَائِزَةُ الْمُلُوكِ! وَهَذَا عَطَاءُ الْمُلُوكِ! وَهَذَا الَّذِي يُخْدِغُ بِهِ الرِّجَالُ! وَهَذَا الَّذِي يُصَادِ بِهِ الْأَبْطَالُ!

وَفَرَّخَ السَّحْرَةُ بِمَوَاعِيدِ فِرْعَوْنَ.

## ٢٤ - بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

﴿قَالَ لَهُمْ شُوَسَقُ الْقُوَا مَا أَشْرَمْ مُلْقُوتَ﴾.  
﴿فَأَلْقَوْا حِلَافَتَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا يَعِزَّةُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الظَّالِمُونَ﴾.

وَرَأَى النَّاسُ عَجَباً، حَيَّاتٌ تَسْعَى فِي الْمَيْدَانِ، وَدُهْشَنَ النَّاسُ وَتَرَاجَعُوا إِلَى الْخَلْفِ وَهَتَّفُوا: حَيَّاتٌ! حَيَّاتٌ! وَصَاحَتِ النِّسَاءُ وَيَكْتِ الْأَطْفَالُ وَعَلَا الْهُتَافُ فِي الْمَيْدَانِ: حَيَّاتٌ! حَيَّاتٌ!

وَرَأَى مُوسَى مَا رَأَى النَّاسُ وَتَعَجَّبَ ﴿فَإِذَا جَاءُهُمْ  
وَعَصَيْهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِخْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَ﴾.

وَخَطَرَ فِي قَلْبِ مُوسَى خَاطِرٌ خَوْفٌ! وَلِمَاذَا لَا  
يَخَافُ مُوسَى؟

هَذَا يَوْمُ الرِّهَانِ! وَعِنْدَ الْامْتِحَانِ يُكْرَمُ الرَّجُلُ أَوْ  
يُهَانُ!

وَإِذَا غَلَبَ السَّحَرَةُ - لَا قَدْرَ اللَّهُ ذَلِكَ.

وَإِذَا غُلِبَ مُوسَى - لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ.

فَمَاذَا يَكُونُ؟ الْعِيَادُ بِاللَّهِ!!

وَلَيْسَ غَلَبُ مُوسَى غَلَبَ رَجُلٍ، بَلْ هُوَ غَلَبُ دِينِ  
أَمَامَ مَلِكٍ.

بَلْ هُوَ غَلَبُ حَقٌّ أَمَامَ بَاطِلٍ.

لَا قَدْرَ اللَّهُ ذَلِكَ! لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ!

وَلِكِنَّ اللَّهُ شَجَعَهُ وَقَالَ:

﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾.

﴿وَالْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ  
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أُنَّ ﴾٦٩﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتَنِي بِهِ السَّاحِرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُجْرِمُونَ ﴾٨١﴾

﴿فَأَلَقَ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾٤٥﴾

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١٣﴾

وَدَهْشَ السَّاحِرَةُ وَبُهْتُوا.

أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ إِنَّا نَعْرِفُ السَّاحِرَ وَأَضْلَلَهُ وَإِنَّا نَعْرِفُ  
السَّاحِرَ وَأَنْوَاعَهُ.

وَنَحْنُ أَسَايِذُهُ الْفَنِّ! وَنَحْنُ أَئِمَّهُ الْفَنِّ!

هَذَا لَيْسَ مِنَ السَّاحِرِ! هَذَا لَيْسَ مِنَ السَّاحِرِ!

لَوْ كَانَ مِنَ السَّاحِرِ لَضَرَبَنَا السَّاحِرَ بِالسَّاحِرِ وَقَرَغَنَا  
الْفَنِّ بِالْفَنِّ!

وَلَكِنِ اضْمَحَلَ فَنَنَا أَمَامَ هَذَا، وَذَابَ كَمَا يَذُوبُ  
النَّدَى أَمَامَ الشَّمْسِ.

فَمِنْ أَيْنَ هَذَا؟ هَذَا مِنَ اللَّهِ!  
 افْتَنَعَ السَّحْرَةُ بِأَنَّ مُوسَى نَبِيٌّ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ مَنَحَهُ  
 مُعْجِزَةً فَصَرَّخُوا وَهَتَّقُوا:  
 ﴿إِمَّا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ .  
 ﴿وَاللَّقَى السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِمَّا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ . ﴿٣﴾

## ٤٥ - وَعِيدُ فِرْعَوْنَ

وَجْنَ جُنُونُ فِرْعَوْنَ!  
 وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ.  
 مِسْكِينُ فِرْعَوْنُ وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ يَرْجُوهُ!  
 إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَ مُوسَى بِالسَّحْرَةِ فَأَضْبَحَ السَّحْرَةَ جُنْدًا  
 مُوسَى .  
 إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصْدِدَ النَّاسَ عَنْ مُوسَى فَجَاءَ بِالسَّحْرَةِ  
 فَإِذَا بِهِمْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ!  
 إِنَّ سِهَامَهُ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ  
الْأَجْسَامِ.

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى  
الْأَلْسِنَةِ.

وَلَيْسَ لَأَحَدٍ فِي مِضْرَأَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ فَقَالَ فِي كِبِيرٍ وَجَبَرُوتِ .

﴿أَمَتْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ﴾ !؟

وَرَمَاهُمْ فِرْعَوْنُ بِسَهْمٍ مِنْ سِهَامِ الْمُلُوكِ فَقَالَ :

﴿إِنَّهُ لِكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ﴾ !

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَانٍ فَقَالَ :

﴿إِنَّ هَذَا لَسَكْرٌ مَكْرُوشٌ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا  
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ !!

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ مَسْمُومٍ هُوَ السَّهْمُ الْآخِرُ فِي  
بَيْنَانَةِ الْمُلُوكِ .

﴿لَا قَطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَلَا جُلَّكُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَا صِلَبَكُمْ  
أَجْعَيْنَ﴾ . 

وَتَلَقَى الْمُؤْمِنُونَ السُّهَامَ كُلَّهَا بِجُنَاحِ الإِيمَانِ وَالصَّبْرِ  
وَقَالُوا :

﴿لَا ضَيْرٌ لِّنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ .

﴿إِنَّا نَطَّعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥) .

وَقَالُوا فِي إِيمَانِ وَحَمَاسَةٍ :

﴿إِنَّا مَاءَنَا بِرَبِّنَا لِيغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنْ  
السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٦) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ  
جَهَنَّمَ لَا يَمْوَثُ فِيهَا وَلَا يَمْجِدُ (٧) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ  
الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلُوُّ (٨) جَنَّتُ عَذَابٍ تَجْرِي مِنْ  
نَحْنُنَا الْآتَهُرُ خَلِيلِنَّ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَرَكَ (٩) .﴾

## ٢٦ - سَفَاهَةُ فِرْعَوْنَ

وَاهْتَمَ فِرْعَوْنُ بِأَمْرِ مُوسَى كَثِيرًا وَظَارَ نَوْمُهُ .

وَبَقَيَ فِرْعَوْنُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ .

وَأَثَارَ غَضَبَةُ الْآخِرُونَ أَيْضًا وَقَالُوا :

﴿أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمُهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكُ وَمَا لَهُنَّكُ﴾ !؟

وَغَضِبَ فِرْعَوْنُ وَثَارَ.

»قَالَ سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَا فَوْقُهُمْ  
فَهُوَنَا«.

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَصْدُدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَ مِصْرَ عَنْ  
مُوسَى بِكُلِّ جِيلَةٍ.

»وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ، قَالَ يَنْقُومُ الَّذِي لِي مُلْكُ مِصْرَ  
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ؟ (٥) .

»أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكُادُ يُبَيِّنُ ؟!

وَقَالَ فِرْعَوْنُ فِي رَزَانَةٍ وَحِلْمٍ:

»يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي !!

كَانَهُ فَشَّشَ كَثِيرًا وَفَكَرَ كَثِيرًا وَنَصَحَ لِقَوْمِهِ.

وَقَالَ فِي سَفَاهَةٍ وَجُنُونٍ:

»فَأَوْقَدَ لِي يَهَمَّنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلَتِي صَرْحًا لَعْكَنِي  
أَطْلَعَ إِلَيَّ إِلَهٌ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَذَّابِينَ

وَأَوْقَدَ هَامَانُ عَلَى الطِّينِ، وَبَنَى صَرْحًا وَلَكِنْ إِلَى  
أَيْنَ ؟ تَعِبَ هَامَانُ وَتَعِبُ الْبَنَاؤُونَ وَنَفِدَ الطِّينُ وَالآجُرُ.

وَلَا يَرَأُ فِرْعَوْنٌ بَعِيدًا لَمْ يَصِلْ إِلَى السَّحَابِ فَضْلًا  
عَنِ الْقَمَرِ.

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَمَرِ فَضْلًا عَنِ الشَّمْسِ.

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الشَّمْسِ فَضْلًا عَنِ الْكَوَافِبِ.

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَوَافِبِ فَضْلًا عَنِ السَّمَاءِ.

وَخَابَ فِرْعَوْنُ وَخَجَلَ وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ.

مِسْكِينٌ أَلَا يَذْرِي أَنَّ اللَّهَ ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ  
الْعُلَى﴾.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّهِمُ  
أَلَّا يَرَى﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾.

وَلَمْ يَجِدْ فَرْعَوْنٌ حِيلَةً إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى وَحُجَّتْهُ أَنَّ  
مُوسَى يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْنِي أَقْتُلَ مُوسَى وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ  
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.



١ - مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ

وَلَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى قَامَ رَجُلٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَقَالَ:

﴿أَنْقَلَبُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: لِمَاذَا تَتَعَرَّضُونَ لِمُوسَى وَلِمَاذَا تُؤْذُونَهُ؟

إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَاتْرُكُوهُ وَشَانُهُ وَخَلُوا سَيِّلَهُ.

﴿وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبَهُ﴾.

وَإِذَا آدَيْتُمُوهُ وَوَقَعْتُمْ بِهِ وَكَانَ نَيْتَكُمْ فَلَكُمُ الْوَيْلُ.

﴿وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْدُكُمْ﴾.

وَيَا إِخْرَانِي لَا تَغْتَرُوا بِمُلْكِكُمْ، وَلَا تَغْتَرُوا بِقُوَّتِكُمْ  
وَجُنُودِكُمْ.

﴿يَقُولُ لَكُمْ الْمَلْكُ الْيَوْمَ ظَهِيرَةُ الْأَرْضِ فَمَنْ  
يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾؟

وَكَانَ جَوَابُ فِرْعَوْنَ أَنْ قَالَ:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِي كُوْنَ إِلَّا سَيِّلَ الرَّشَادِ﴾.

وَأَرَادَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنْ يُحَذِّرَ قَوْمَهُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ  
وَمَصِيرَ الظَّالِمِينَ فَقَالَ:

﴿يَقُولُ إِنِّي أَغَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمٍ  
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.  
وَخَوْفَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟

﴿يَوْمَ يَرِئُ الْمَرْءُ مِنْ أَخْيَهِ ۖ وَأَنْتَهُ وَأَنْتَهُ وَصَاحِبَيْهِ وَبَنِيهِ  
لِكُلِّ أَمْرٍ يَرِيُّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُعْنِيهِ﴾.

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ بِلَا مُتَّقِينَ﴾.

﴿فَلَا أَنْسَابٌ يَنْهَمُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَنْسَاهُ لُؤْنَ﴾.

يَوْمَ يُنَادِي الْمَلِكُ الْجَبَارُ: «لَئِنِّي أَمْلَأُ الْيَوْمَ لِلَّهِ  
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

يَوْمَ يَفْزُعُ النَّاسُ وَيَضْرُبُونَ، وَيُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا،  
وَيَوْمَ يُولُونَ مُذَبِّرِينَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ.

فَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ:

﴿وَتَنَاهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادٍ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ تُولَوْنَ  
مُذَبِّرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَنَّا لَهُ مِنْ  
هَادٍ﴾.

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَكُمْ نِعْمَةً  
وَلَكُنْكُمْ مَا عَرَفْتُمْ فَضْلَهَا وَمَا قَدَرْتُمُوهَا حَقٌّ قَدْرِهَا حَتَّى  
إِذَا ذَهَبَتْ تَائِسَفْتُمْ عَلَيْهَا.

ذَلِكَ يُوسُفُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ الَّذِي مَا  
عَرَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَقْدِرُوهُ قُدْرَهُ.

وَلَكِنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُلْتُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ نَبِيٌّ وَلَا كَيْوُسْفَ.

مَلِكٌ وَلَا كَيْوُسْفُ! رَجُلٌ وَلَا كَيْوُسْفَ!

وَمَنْ لَنَا بِنَبِيٍّ بَعْدَهُ؟! مَنْ لَنَا بِمِثْلِهِ؟!

أبداً! لَنْ يَأْتِي مِثْلُهُ!

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ يَا بَيْتَكُتْ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ  
مِّعًا جَاءَكُمْ يُوسُفُ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ  
بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

كَذَلِكَ تَفْعَلُونَ بَعْدَ هَذَا النَّبِيِّ أَيْضًا! وَتَنَذَّمُونَ!

## ٢ - نَصِيحَةُ الرَّجُلِ

وَوَاعَظَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَيَذَلِّ لَهُمْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَكْتُمُ أَشْيَاعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ  
الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾.

وَعَلِمَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنَّ الْقَوْمَ فِي سَكْرَةٍ مِّنَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا.

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ مَغْرُورٌ بِمُلْكِهِ وَقُوَّتِهِ.

وَلِكُنَّ هَذِهِ الْحَيَاةُ حُلْمٌ مِّنَ الْأَحَلَامِ وَأَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ  
زَائِلٌ.

وَعَرَفَ الرَّجُلُ مَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ مِنِ اتِّبَاعِ مُوسَى،

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ سَكَارَىٰ بِسَكْرَةِ الدُّنْيَا .  
 وَالسَّكْرَانُ مَا يَسْمَعُ وَمَا يَشْعُرُ .  
 ذلِكَ بِأَنَّهُمْ حَيْثُ لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ مُوسَى .  
 فَأَرَادَ أَنْ يُنَبِّهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فَقَالَ :  
 «يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ  
 دَارُ الْفَكَارِ » ٣٩ .  
 وَطَفِيقُ الْجُهَالُ مِنْ قَوْمِهِ يَدْعُونَهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالشُّرُكَةِ  
 وَيَدْعُونَهُ إِلَى دِينِ الْأَبَاءِ .  
 فَإِذَا قَالَ لَهُمْ تَعَالُوا إِلَى اللَّهِ ! قَالُوا لَهُ ارْجِعْ إِلَى دِينِ  
 الْأَبَاءِ !  
 وَلَمَّا بَالَّغُوا فِي الدَّعْوَةِ قَالَ لَهُمْ :  
 « وَيَقُولُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى  
 النَّارِ » ٤٠ .  
 « تَدْعُونِي لِأَكُفِّرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ  
 وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ » ٤١ .  
 وَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ : أَيُّ نَبِيٍّ جَاءَ مِنْ آلِهِتُكُمْ ?

وَأَيُّ كِتَابٍ نَزَلَ؟ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ؟  
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا آشْياءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ كُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا  
مِنْ سُلْطَنٍ﴾.

وَهُؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ، ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ  
وَيُوسُفُ وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى .  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ! وَفِي كُلِّ مَكَانٍ لَهُ دَعْوَةٌ.  
﴿لَا جَرَوْ أَنَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا  
فِي الْآخِرَةِ﴾.

وَلَمَّا يَئِسَ الرَّجُلُ مِنْ هَدَايَتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ  
بِلَا دَرِيْهِمْ تَرَكَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ:  
﴿فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَلَفِيْضُ أَمْرِيٍّ إِلَى اللَّهِ يُنْكِتُ  
اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وَغَضِيبَ النَّاسُ وَأَرَادَ آلُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَلِكِنَّ اللَّهَ  
عَصَمَهُ وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ.

﴿فَوَقَلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِي فِرْعَوْنَ سُوءُ  
الْعَذَابِ﴾.

## ٣ - زوج فرعون

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

وَكَانَ إِذَا آمَنَ أَحَدٌ بِمُوسَى فِي أَقْصى مَمْلَكَةِ مِصْرَ جُنَاحُ جُنُونٍ فِرْعَوْنَ .

وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ، وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ.

وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِمُوسَى قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَهُ؟! يَعِيشُ فِي مَمْلَكَتِي وَيَغْصِبِينِي، وَيَأْكُلُ رِزْقِي وَيَكْفُرُنِي؟!

أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ رَجُلٍ فِي مِصْرَ مِنْ نَفْسِي!

وَيَنْسَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ يَعِيشُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ وَيَغْصِبِيهِ، وَيَأْكُلُ رِزْقَ اللَّهِ وَيَكْفُرُ بِهِ .

وَأَرَاهُ اللَّهُ آيَةً فِي بَيْتِهِ، آيَةً فِي أَهْلِهِ .

أَرَاهُ اللَّهُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ.  
وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى  
الْأَلْيَنَةِ.

وَأَنَّ اللَّهَ يَحْوِلُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَحْوِلُ  
بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ.

دَخَلَ الإِيمَانُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَلَا  
يَمْلِكُ شَيْئًا.

وَآمَنَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ بِاللَّهِ وَكَفَرَتْ بِفِرْعَوْنَ.  
وَآمَنَتْ يُمُوسَى عَلَى رَغْمِ زَوْجِهَا مَلِكِ مِصْرَ.  
آمَنَتْ يُمُوسَى أَعْلَمُ خَلْقِ اللَّهِ بِفِرْعَوْنَ وَأَحَبُّ النَّاسِ  
إِلَيْهِ.

وَلَمْ يَضْنَعْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ شَيْئًا، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِذَلِكَ  
وَلَهُمْ شَامَةُ النَّمَلِ وَعَيْنُونُ الْغَرَابِ.

وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ وَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهَا.  
وَلَوْ عَلِمَ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ مَاذَا فَعَلَ؟ إِنَّهُ يَمْلِكُ الْجِنَّةَ  
وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْعَقْلَ.

وَإِنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْلِّسَانِ وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقَلْبِ  
سُلْطَانٌ.

عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُطِيعَ زَوْجَهَا وَلَكِنْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ  
فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَ أَبَوَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ بِهِمَا بَارَّاً رَشِيدًا  
وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُطِيعَهُمَا فِي الشَّرِّ.

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا  
تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ  
إِلَى نَحْمَ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَإِنِّي شُكْرٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾١٥﴾.

واستقامت امرأة فرعون على الإيمان، وكانت  
تَعْبُدُ اللَّهَ فِي بَيْتِ عَدُوِّ اللَّهِ.

وَكَانَتْ تَخَافُ اللَّهَ وَتَتَبَرَّأُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا يَعْمَلُ فِرْعَوْنُ.  
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَنْجَاهَا اللَّهُ مِنْ  
فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَضَرَبَهَا اللَّهُ مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهَا  
وَشَجَاعَتِهَا.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ

رَبِّ أَبْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَلَا يَخْفَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَّالِهِ  
وَلَا يَخْفَى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ .

#### ٤ - مِحْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ عَذَاوَةَ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، تَقَرَّبُوا  
إِلَيْ فِرْعَوْنَ بِعَذَاوَتِهِمْ وَإِيَّادِهِمْ .  
وَاجْتَرَأَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَطْفَالُ وَهَرَّتْهُمُ الْكِلَابُ .  
فَقَيِّ كُلُّ يَوْمٍ مِحْنَةً جَدِيدَةً! وَفِي كُلُّ يَوْمٍ بَلِيلَةً نَازِلَةً .  
وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَلِّيْهِمْ وَيُؤْصِيْهِمْ  
بِالصَّبْرِ، وَيَقُولُ لَهُمْ :  
«أَسْتَعِينُوْ بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوْ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعِنْقَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .  
وَسَئَمَ بَنُوا إِسْرَائِيلَ هَذِهِ الْمِحْنَةَ وَهَذَا الْأَذَى وَقَالُوا  
لِمُوسَى :  
لَمْ تَنْقُنَا شَيْئًا! لَمْ تُغْنِ عَنَّا شَيْئًا!  
«قَالُوا أُوذِيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا چَنَّا» .

وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَجْرِعْ! وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَيَأسْ!

﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوكُمْ وَتَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ أَمْنَثُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُشْلِمِينَ﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلنَّوْمِ الظَّالِمِينَ وَتَهْتَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَمْنَعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ،  
وَيَغْضَبُ إِذَا رَأَهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُصَلِّوْنَ لَهُ.

وَكَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَخَلَّوْا مَسَاجِدَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ،  
وَكَانَ يَغْضَبُ أَنْ يُعَبِّدَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ.

مَا أَجْهَلَ فِرْعَوْنَ! الْأَرْضُ لِلَّهِ لَا لِفِرْعَوْنِ!

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ؟

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَعَا إِلَى عِبَادَتِهِ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ؟!

وَلِكِنْ فِرْعَوْنَ مَا كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ أَحَدًا يَفْعَلُ مَا  
يَشَاءُ فِي بَيْتِهِ!

فَأَمَرَ اللَّهُ بْنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى : «وَاجْعَلُوا  
بُوْتَكُمْ قِتَلَةً وَاقْسِمُوا الصَّلَاةَ» .

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَعَجَزَتْ شُرُطُتُهُ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ وَعِبَادَةِ اللَّهِ !

وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ؟! وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ  
وَعِبَادَةِ اللَّهِ؟!

## ٥ - المَجَاعَاتُ

وَلَمَّا طَغَى فِرْعَوْنُ وَأَسْرَفَ فِي الْغَفْلَةِ وَالْعِنَادِ أَرَادَ اللَّهُ  
أَنْ يَنْبَهِهُ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي لِعِبَادِهِ الْكُفْرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ !

وَكَانَ فِرْعَوْنُ بَلِيْدًا جَدًا، ضَاعَتْ فِيهِ الْحِكْمَةُ  
وَالْمُوْعِظَةُ .

وَالْحِمَارُ لَا يَتَبَيَّهُ حَتَّى يُضْرَبَ !  
 فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَبِّهَ !  
 وَمِصْرُ بِلَادُ مُخْضِبَةٍ خَضْرَاءُ، بِلَادُ الْخَيْرَاتِ وَالْأَثْمَارِ  
 وَبِلَادُ الْحُبُوبِ .  
 وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ أَنْجَدْتُ مِصْرًا بِلَادًا بَعِيدَةً أَيَّامَ  
 الْمَجَاغَةِ فِي عَهْدِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .  
 وَكَيْفَ أَنْجَدْتُ مِصْرًا أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ كَنْعَانَ !  
 وَالنَّيلُ هُوَ الَّذِي يُرْوِي أَرْضَ مِصْرَ وَيَسْقِي زُرُوعَهُمْ .  
 وَهُوَ مَنْبِعُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مِصْرَ .  
 وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُ مِصْرَ يَظْنُونَ أَنَّ النَّيلَ هُوَ مَفْتَاحُ  
 الرِّزْقِ .  
 وَأَنَّ مِصْرَ غَنِيَّةٌ بِالنَّيلِ عَنِ الْمَطَرِ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ .  
 وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحَ الرِّزْقِ .  
 وَأَنَّ اللَّهَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .  
 وَأَنَّ النَّيلَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ وَيَقْبِضُ بِأَمْرِهِ .  
 وَأَمْرَ اللَّهِ النَّيلَ فَغَاضَ مَاؤُهُ وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ .

فَمَاذَا يَرُوِيُ زُرُوعَ أَهْلِ مِصْرَ؟!  
نَقَصَتْ ثَمَرَاتُهُمْ وَنَقَصَتْ حُبُوبُهُمْ وَكَانَتْ مَجَاجَةٌ بَعْدَ  
مَجَاجَةٍ!

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَعَجَزَ هَامَانُ وَعَجَزَ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ  
عَنْ كُلِّ جِيلَةٍ.

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَيْسَ رَبَّهُمْ، وَأَنَّ  
الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ!

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ، وَلَمْ يَنْفَعْ أَهْلُ مِصْرَ وَلَمْ  
يَنْبَهُهُمْ!

وَحَالَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُوعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ.  
قَالُوا هِذِهِ الْمَجَاجَاتُ وَهَذِهِ السُّنُونُ مِنْ شُؤُمِ مُوسَى  
وَقَوْمِهِ!

يَا لِلْعَجَبِ! أَلَمْ يَكُنْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ؟! أَلَمْ يَكُنْ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ؟!  
بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُؤُمِ أَعْمَالِهِمْ! بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُؤُمِ  
كُفَّارِهِمْ!

وَعَانَدَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَقَالُوا إِنَّا لَا نَخْضَعُ لِهَذَا  
السُّخْرِ .

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحِرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكُ  
بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

## ٦ - خَفْسُ آيَاتٍ

وَيَعْثُرُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى .  
أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارَ، فَفَاضَ النَّيلُ .  
وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ .  
حَتَّى غَرَقَتِ الرُّزُوعُ وَالْحُقُولُ، وَتَلْفَتِ الْجُبُوبُ  
وَالشَّمَارُ .  
وَعَادَ الْمَطَرُ عَلَيْهِمْ وَيَا لَا .  
وَيَئِنَّمَا هُمْ يَشْكُونَ قِلَّةَ الْمَاءِ إِذَا هُمْ يَشْكُونَ كَثْرَةَ  
الْمِيَاهِ .  
ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ يَأْكُلُ الرُّزُوعَ وَالْحُقُولَ وَيَقْعُ  
عَلَى الْأَشْجَارِ فَلَا يَذَرُ مِنْهَا شَيْئًا .

وَعَجِزَتْ جُنُودُ فِرْعَوْنَ وَشُرُطَةُ عَنْ قِتَالِ جُنْدِ اللَّهِ.  
وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ  
السَّهَامُ.

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ ضَعْفَ فِرْعَوْنَ، وَعَجْزَ هَامَانَ،  
وَقِلَّةُ حِيلَةِ الشُّرُطَةِ.

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَبِرُوا! وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَبَهَّوَا!  
فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جُنْدًا آخَرَ، ذَلِكَ هُوَ الْقَمَلُ.  
وَتَسْلَطَ عَلَيْهِمْ الْقَمَلُ، فَالْعِيَادُ بِاللَّهِ! الْقَمَلُ فِي  
الْفِرَاشِ، وَالْقَمَلُ فِي الثِّيَابِ، وَالْقَمَلُ فِي الرَّأْسِ،  
وَالْقَمَلُ فِي الشَّغْرِ.

فَطَارَ نَوْمُهُمْ وَبَأْتُوا يَقْصُعُونَ<sup>(١)</sup> الْقَمَلَ وَيَسُوْنَهُ، حَتَّى  
يُضِبِّحُوا.

وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ وَالْقَمَلُ لَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ وَلَا  
تَعْمَلُ فِيهِ السَّهَامُ، وَلَا يُنْجِدُهُمْ فِي ذَلِكَ جُنُودُهُمْ  
وَشُرُطَتُهُمْ.

---

(١) قصع القملة بظفره: قتلها.

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فَنِي الطَّعَامُ ضَفَادِعُ،  
 وَفِي الشَّرَابِ ضَفَادِعُ، وَبَيْنَ مَلَابِسِهِمْ ضَفَادِعُ.  
 وَسَيَمُوا هَذِهِ الضَّفَادِعَ وَتَنْعَصُ عَيْشُهُمْ.  
 وَانْشَرَتِ الضَّفَادِعُ وَقَشْتِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبَيْتِ.  
 تِلْكَ تَبْقِي<sup>(١)</sup> وَهَذِهِ تَبْقِي هُنَا وَتِلْكَ تَقْفِرُ هُنَاكَ.  
 وَلَا يَقْتُلُونَ وَاحِدَةً إِلَّا وَتَأْتِي عَشْرٌ وَلَا يُخْرِجُونَ  
 وَاحِدَةً إِلَّا وَتَظْهَرُ خَمْسٌ كَانَهَا تُولَدُ فِي الْبَيْتِ.  
 عَجِزَتِ الْحُرَاسُ وَعَجِزَتِ الشُّرَطَةُ عَنِ الضَّفَادِعِ.  
 وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً خَامِسَةً، ذَلِكَ هُوَ الدَّمُ.  
 فَسَالَ الرُّعَافُ مِنْ آنَافِهِمْ وَضَعُفُوا وَتَعَبُوا جِدًا.  
 وَعَجِزَ الْأَطْبَاءُ عَنِ الْعِلاجِ وَلَمْ يَنْفَعُهُمْ دَوَاءٌ.  
 وَكُلَّمَا رَأُوا آيَةً قَالُوا لِمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبِّكَ أَنْ يُكْشِفَ  
 عَنَّا الْبَلَاءَ وَنَتُوبَ وَنُؤْمِنُ وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.  
 فَلَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْبَلَاءَ نَكَثُوا عَهْدَهُمْ.

(١) تصوت.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الظُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُملَ وَالضَّفَادَعَ وَالَّدَمَ  
تِ مُفَصَّلَتِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

## ٧ - الخروج

وَضَاقَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضُ مِصْرَ وَهِيَ وَاسِعَةٌ.  
وَمَا يَضْنَعُونَ بِخَضِبِ مِصْرَ وَخَيْرَاتِهَا وَهُمْ فِي سِجْنٍ  
وَقُوْنَ كُلَّ يَوْمٍ صُنُوفًا مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ؟  
إِلَى مَتَى يَضْبِرُونَ، أَلَيْسُوا بَنِي آدَمَ يَشْعُرُونَ بِالْأَذَى  
الْأَلَمِ؟

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يَسْرِي بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا  
يَخْرُجُ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ.  
وَأَخْسَى بِذَلِكَ شُرُطَةً فِرْعَوْنَ وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ  
شَامَةُ النَّمَلِ وَأَخْبَرُوا بِذَلِكَ فِرْعَوْنَ.

سَارَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْلَّيْلِ نَحْوَ الْأَرْضِ  
لِمُقَدَّسَةِ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ سِبْطًا كُلُّ سِبْطٍ عَلَيْهِ أَمِيرٌ.  
وَالظَّرِيقُ إِلَى الشَّامِ طَرِيقٌ وَاضِعٌ مَعْلُومٌ، بَرٌّ يَصِلُّ بَيْنَ

الْبَرَّيْنِ وَقَدْ جَازَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ (١) .

وَلَكِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا وَكَانَ مَا  
أَرَادَهُ اللَّهُ .

أَخْطَأَ مُوسَى الظَّرِيقَ، وَخَيْثُ أَخْطَأَ مُوسَى أَصَابَ  
الْقَدْرَ .

ظَنَّ مُوسَى أَنَّهُ يَسِيرُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى جَانِبِ  
الشَّمَالِ .

فَإِذَا بِهِمْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ (٢) .  
وَإِذَا بِهِمْ أَمَامَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ تَلَاقَتْ أَمْوَاجُهُ .  
يَا حَافِظُ! يَا سَاتِرُ! أَيْنَ نَحْنُ?  
كَانَ الْجَوَابُ إِنَّا أَمَامَ الْبَحْرِ!  
وَالْتَّفَتُوا إِلَى الْوَرَاءِ فَإِذَا بِغُبَارٍ سَاطِعٍ!  
وَإِذَا بِجُنْدِ عَظِيمٍ قَدْ سَدَّ الْأَفْوَقَ!  
هُنَالِكَ ارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ .

(١) مرة ذهاباً إلى مدین، ومرة إياباً إلى مصر.

(٢) يحسن بالمعلم أن يستلتفت الطلبة إلى خارطة مصر.

يَا ابْنَ عِمْرَانَ! مَاذَا أَنْكَرْتَ مِنَّا حَتَّىٰ دَبَرْتَ قُتْلَنَا!  
 وَجِئْتَ بِنَا إِلَى شَطْ الْبَحْرِ لِيُقْتَلَنَا فِرْعَوْنُ قَلْتَ الْفِيرَانِ  
 حَيْثُ لَا فِرَارٌ وَلَا نَجَاهَةَ.  
 لَا تَذْكُرْ إِلَيْكَ سُوءً فَلِمَاذَا هَذَا الانتِقامُ؟!  
 أَلْمَ يَكْفِكَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ لِأَجْلِكَ حَتَّىٰ  
 جِئْتَ بِنَا إِلَى هُنَى؟!  
 هَا هُوَ الْبَحْرُ أَمَانَنَا، وَهَا هُوَ الْعَدُو وَرَاءَنَا، وَلَيْسَ  
 لَنَا إِلَّا الْمَوْتُ!  
 هُنَالِكَ أَظْلَمْتِ الدُّنْيَا فِي عَيْوَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَزَاغَتِ  
 الْأَبْصَارُ وَاسْتَوَى الْيَأسُ ثُمَّ خَفَتِ الْأَضَوَاتُ.  
 هُنَالِكَ تَرَلَزَ كُلُّ أَحَدٍ، وَحُقَّ لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ أَنْ  
 تَتَرَلَزَ.  
 وَلَكِنَّ إِيمَانَ مُوسَى بِرَبِّهِ لَمْ يَتَرَلَزْ وَسَمِعَ النَّاسُ  
 صَوْتاً فِيهِ جَلَالُ النَّبُوَةِ.  
 «كَلَّا إِنَّ مَعَنِي رَبِّي سَيِّدِينِ».  
 وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ، فَضَرَبَ

فَانْفَلَقَ الْبَحْرُ وَقَامَ الْمَاءُ عَلَى كُلِّ جَانِبِ كَالْجَبَلِ .  
وَإِذَا اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا لَا ثَنِي عَشَرَ سَبْطًا لِكُلِّ سَبْطٍ  
وَسَارَ الْقَوْمُ آمِينٌ وَوَصَلُوا إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ .

## ٨ - غَرْقُ فِرْعَوْنَ

وَرَأَى فِرْعَوْنُ كَيْفَ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَبَرُوا الْبَحْرَ  
آمِينِينَ .  
وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِجُنُودِهِ انْظُرُوا إِلَى الْبَحْرِ كَيْفَ انْفَلَقَ  
طُوعًا لِأَمْرِي حَتَّى آخُذَ هُؤُلَاءِ الْفَارَّيْنَ .  
وَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَجَزَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَرَّةً  
أُخْرَى .  
هَا هُوَ الْعَدُوُّ هَا هُوَ الظَّالِمُ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ الطَّرِيقَ  
إِلَيْنَا .

وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَا شَيْءٌ، وَسَيَلْحَقُنَا وَيَاخْذُنَا إِلَى مِضْرَأَ  
مَأْسُورِينَ أَذِلَّةَ أَوْ يَقْتُلُنَا فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ غُرَبَاءَ .

وَأَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَرَّ فَيَعُودُ بَحْرًا كَمَا  
كَانَ وَلَكِنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: اتْرُكِ الْبَحْرَ سَاكِنًا ﴿إِنَّهُمْ  
جُنُدٌ مُّغَرَّبُونَ﴾.

وَلَمَّا وَصَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ (وَهُوَ  
بَرٌّ) انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ.  
وَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الْجِدَارَ زَالَتْ سُكْرَتُهُ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ إِيمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
الَّذِي إِيمَنتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَافِيلَ وَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وَلَكِنْ هِنْهَاتِ ﴿وَلَيَسْتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
الشَّكَّارَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تَبَّتْ  
الْعُنَنُ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا إِنْتَ رِئَيكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَنْهَا لَمْ تَكُنْ  
إِيمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتِ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

فَقِيلَ لَهُ: ﴿هَآءَ الْعَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ﴾.

وَمَاتَ فِرْعَوْنُ فِي الْبَحْرِ غَرَقاً.

مَاتَ الْجَبَارُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفًا مِنَ الْأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ  
حَا وَخَنْقَا.

مَاتَ الظَّاغِيَّةُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفَآلِفٍ صَبِرًا وَشَنْقَا.  
مَاتَ مَلِكٌ مِضْرَبَ بَعِيدًا عَنْ عَرْشِهِ بَعِيدًا عَنْ قَضِيرِهِ،  
بَعِيدًا عَنْ سُلْطَانِهِ لَا طَبِيبٌ يُدَاوِيهِ وَلَا صَدِيقٌ يُوَاسِيهِ،  
لَا عَيْنَ تَبَكِيهِ.

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي شَكٍ عَنْ مَوْتِهِ يَقُولُونَ إِنَّ  
فِرْعَوْنَ لَا يَمُوتُ.

أَمَا كُنَّا نَرَاهُ يَقْضِي أَيَّامًا وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ؟!  
وَقَدَفَ الْبَحْرُ جُثَّتَهُ فَأَيْقَنُوا بِمَوْتِهِ.  
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِفِرْعَوْنَ «فَالَّتِيْمَ نُتَحِّلَّكَ بِيَدِنِكَ لِتَكُونَ  
لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً» وَكَانَتْ جُثَّتَهُ فِرْعَوْنَ آيَةً لِلنَّاظِرِينَ وَعِبْرَةً  
لِلْمُعْتَبِرِينَ.

وَغَرِقَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ عَنْ آخِرِهِ وَمَا نَجَا مِنْهُمْ أَحَدٌ.  
وَخَلَفُوا مِضْرَبَ وَرَاءِهِمْ وَلَمْ يَجِدُوا فِي أَرْضِهَا الْوَاسِعَةِ  
ذِرَاعًا لِمَدْفَنِ.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ  
 وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَلَكِهِنَّ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْتَهَا قَوْمًا مَاخِرِينَ  
 فَمَا بَكَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

### ٩ - في البرية!

وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ وَتَنَفَّسُوا فِي  
 هَوَاهِهِ كَالْأَخْرَارِ الْأَشْرَافِ.

هُنَالِكَ لَا يَخَافُونَ فِرْعَوْنَ وَلَا يَخَافُونَ هَامَانَ وَلَا  
 يَخَافُونَ شُرُطَتَهُ.

هُنَالِكَ يَمْسُونَ آمِنِينَ مُظْمَئِنِينَ لَا يَخْشُونَ أَحَدًا  
 إِلَّا اللَّهُ.

وَلِكُنْتُهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْحَضَرِ وَكَانَتِ السَّمْسُ تُؤْذِيهِمْ فِي  
 الْبَرِّيَّةِ.

وَكَانُوا ضُيُوفَ اللَّهِ! أَلَمْ تَرِ إِلَى الْمُلُوكِ كَيْفَ يُكْرِمُونَ  
 ضُيُوفَهُمْ؟!

وَكَيْفَ يَضْرِبُونَ لَهُمُ الْجِيَّامَ تَقِيهِمْ حَرًّا الشَّمْسِ؟!

إِنَّ كَرَامَةَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ!  
وَأَمْرَ اللَّهِ الْغَمَامَ أَنْ يُظْلِلُهُمْ، فَكَانُوا يَمْسُونَ فِي ظِلِّ  
الْغَمَامِ، وَكَانَ الْغَمَامُ يَسِيرُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَارُوا وَيَقْفِ  
أَيْنَمَا وَقَفُوا.

وَعَطَشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَا مَاءَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلَا نَهَرَ وَلَا  
بَئْرَ.

ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى، يَشْكُونَ إِلَيْهِ الْعَطَشَ كَمَا يَشْكُو  
الْطَّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَغْشِيهَا.

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ أَوْمَنْ لَهُ عَيْرَهُ؟!

فَقَالَ: «أَضِربْ بِعَصَالَكَ الْحَجَرَ».

«فَانْجَرَثَ مِنْهُ أَثْنَتَ عَشَرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّاسٍ  
مَشَرِبَتِهِمْ».

وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَشَكَوُا إِلَى مُوسَى الْجُوعَ كَمَا  
يَشْكُو الْطَّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَغْشِيهَا.

وَقَالُوا إِنَّكَ أَخْرَجْنَا مِنْ مِصْرَ أَرْضِ الْفَوَاحِدِ وَالشَّمَراتِ  
وَأَرْضِ الْخَيْرَاتِ وَالطَّيَّاتِ فَمَنْ لَنَا بِطَعَامٍ فِي هِذِهِ الْبَرِّيَّةِ؟

دَعَا مُوسىٰ رَبِّهِ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ؟ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ  
الطَّعَامَ.

أَنْزَلَ لَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ مِثْلَ الْحَلْوَى، وَأَرْسَلَ  
إِلَيْهِمْ طَيْرًا يَأْخُذُونَهُ مِنَ الْأَشْجَارِ بِسُهُولَةٍ.

ذَلِكَ هُوَ الْمَنْ وَالسَّلْوَى، ضِيَافَةُ اللَّهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ  
فِي الْبَرِّيَّةِ.

## ١٠ - كُفَّارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَلِكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَفْسَدَ دَوْقَهُمْ وَخُلُقَهُمُ الْعُبُودِيَّةُ  
الْطَّوِيلَةُ.

وَكَانُوا لَا يَقِرُّونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانُوا لَا يَسْكُنُونَ إِلَى  
شَيْءٍ وَكَانُوا فِي طِبَاعِهِمْ أَطْفَالًا.

وَكَانُوا قَلِيلِي التَّشْكُرِ كَثِيرِي التَّشْكُكِ سَرِيعِي السَّآمَةِ  
يُحِبُّونَ مَا مُنِعُوا وَيَكْرَهُونَ مَا أُعْطُوا.

وَلَمْ يَلْبِثُوا قَلِيلًا أَنْ قَالُوا لِمُوسىٰ قَدْ سَيَّئْنَا هَذَا  
الطَّعَامُ الْوَاحِدُ، وَقَدْ سَيَّئْنَا هَذَا اللَّحْمَ وَهَذِهِ الْحَلْوَى.

وَقَدْ اسْتَهِنَّا الْخُضَرَ وَالْبَقُولَ.

﴿يَسْمُوْنَنَّ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدَرٍ فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ  
لَنَا مِنَ تُلْئِمَ الْأَرْضَ مِنْ بَقِيلِهَا وَقِشَابِهَا وَفُومِهَا وَعَدِسِهَا  
وَبَصَلِهَا﴾.

تعجبَ مُوسى مِنْ هَذَا السُّؤَالِ الغَرِيبِ وَقَالَ بِصَوْتٍ  
فِيهِ الإِنْكَارُ وَفِيهِ الْاسْتِعْجَابُ وَفِيهِ الْعِتَابُ.

﴿أَتَنْبَلُونَ الَّذِي هُوَ أَذْكَرْ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟!  
أَبُوْلَا وَخُضَرَ مَكَانَ طُبُورٍ وَحَلْوَى لَمْ تَمْسَهَا يَدُ  
إِنْسَانٌ؟!

أَطَعَامَ الْفَلَاحِينَ بَدَلَ طَعَامَ الْمُلُوكِ؟  
يَا لِفَسَادِ الدُّوْقِ! يَا لِسُوءِ الْأُخْتِيَارِ!  
وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ سُوَالِهِمْ، وَلَمْ  
يَزَالُوا يَظْلِبُونَ الْخُضَرَ وَالْبَقُولَ.

فَقَالَ مُوسى إِنَّ مَا سَأَلْتُمْ يُوجَدُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَمِصْرٍ.  
﴿أَفَبِطُولُ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾.

١١ - عِنَادُ بْنُي إِسْرَائِيلَ

وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي طَبَاعِهِمْ أَطْفَالًا، وَأَطْفَالًا  
مُعَانِدِينَ.

وَكُلَّمَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ يُخَالِفُونَهُ إِلَى ضِدِّهِ وَيَسْتَهِزُّونَ بِهِ .  
كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا يُقَالُ لَهُمْ .  
كَطِفْلٍ عَنِيدٍ يُقَالُ لَهُ قُمْ فَيَجْلِسُ وَيُقَالُ لَهُ اجْلِسْ  
فَيَقُومُ ، وَيُقَالُ لَهُ اسْكُثْ فَيَتَكَلَّمُ وَيُقَالُ لَهُ تَكَلَّمْ فَيَسْكُثْ .  
وَكَانَ فِيهِمْ عِنَادُ الْأَطْفَالِ فِي خُبْثِ الْأَشْرَارِ فِي هُرْزِ  
الْأَعْدَاءِ فِي سَفَاهَةِ الْمَجَانِينَ .

كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْكُنُوا قَرْيَةً وَيَأْكُلُوا طَعَامَهُمُ الشَّهِيَّ  
مِنَ الْخُضَرِ وَالْبُقُولِ.

وَلَكِنْهُمْ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ «أَتَكُنُوا هَذِهِ الْقَرِيمَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حَلَةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ شَجَدًا نَفَرْ لَكُمْ خَطِيبَتُكُمْ سَرِيدُ الْمُخْسِنِينَ».

غَضِبُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، وَدَخَلُوا الْقَرْيَةَ كُرْهًا  
وَهُزُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِيمِهِمْ.

﴿فَبَدَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي فِيلَ لَهُنَّ﴾ .  
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلَاءً وَبَعْثَ عَلَيْهِمْ وَبَاءَ مَا تُوا مِنْهُ  
 مَوْتَ الْفِئَرانِ .  
 وَإِذَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ أَكْثَرُهُمْ بَلَاءً وَالْتَّنْقِيرَ .  
 شَاءَنَ رَجُلٌ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ فَيُكْثِرُ السُّؤَالَ وَالْتَّنْقِيرَ .  
 حَدَثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَادِثٌ قَتْلٌ، فَأَهَمَّ ذَلِكَ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ .

وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْقَاتِلِ، وَكَانَ السُّؤَالُ عَنِ الْقَاتِلِ  
 حَدِيثَ النَّاسِ .

جَاءُوا إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَقَالُوا  
 أَعِنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَادْعُ اللَّهَ يُبَيِّنْ لَنَا الْقَاتِلَ .

## ١٢ - الْبَقَرَةُ

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَأْمُرُهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ .  
 هُنَالِكَ حَلَّتِ الْمُصِيبَةُ، وَبَدَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسْأَلُونَ  
 وَيَسْخَرُونَ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقْرَةً﴾ .

﴿قَالُوا أَتَتَحْدِثُنَا هُنُّ وَنَا﴾ .

﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

وَهُنَّا أَرْسَلُوا إِلَيْنَا أَسْئِلَةً .

﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هُنَّ﴾ ؟

﴿قَالَ إِنَّمَا يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يُكَرُّ عَوَانٌ يَتَكَبَّرُ ذَلِكُ فَاقْعُلُوا مَا ثُمُّرُوكُ﴾ .

وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، بَلْ بَدَأُوا يَسْأَلُونَ عَنْ لَوْنِهَا .

﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ .

﴿قَالَ إِنَّمَا يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسْرِيرٌ﴾ .

وَلَمْ يَجِدُوا سُؤَالًا فَأَظْلَقُوا السُّؤَالَ .

﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هُنَّ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ لِتَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي  
الْحَرْثَ مُسْلِمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾.

وَوُفِّقُوا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
لَمْهَتَدُونَ﴾ فَاهْتَدُوا.

وَلِكِنَّ أَسْتَلَتَهُمْ ضَيْقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، فَلَوْ ذَبَحُوا  
أَيَّ بَقَرَةً لَكَانَتْ كَافِيَةً، وَلِكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ.

وَفَتَّشُوا عَنِ الْبَقَرَةِ الْعَوَانِ الصَّفْرَاءِ الْفَاقِعِ لَوْنُهَا الَّتِي  
لَا تُشِيرُ الْأَرْضَ، وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ، الْمُسْلِمَةِ الَّتِي لَا  
شِيَةَ فِيهَا.

وَنَدَرَ وُجُودُ هَذِهِ الْبَقَرَةِ الْغَرِيبَةِ فَإِمَّا بَقَرَةٌ فَارِضٌ وَإِمَّا  
بَقَرَةٌ بِكْرٌ.

وَإِمَّا عَوَانٌ وَلِكِنْ غَيْرُ صَفْرَاءَ.

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ وَلِكِنْ لَوْنُهَا غَيْرُ فَاقِعٍ.

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا وَلِكِنَّهَا بَقَرَةٌ ذُلُولٌ  
تُشِيرُ الْأَرْضَ.

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا لَا تُثِيرُ الْأَرْضَ  
وَلِكِنَّهَا تَسْقِي الْحَرْثَ .

وَفَتَشُوا وَفَتَشُوا وَعَلِمُوا عَاقِبَةً هَذَا التَّتَقْرِيرِ ، مَا هِيَ ؟ مَا  
لَوْنُهَا ؟ مَا هِيَ ! وَتَعَبُّوا .

وَأَرَادَ اللَّهُ بِيَتِيمٍ خَيْرًا فَوَجَدُوا هِذِهِ الْبَقَرَةَ الَّتِي  
وَصَفَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ فَاسْتَرْوَهَا بِشَمْنٍ عَالٍ جِدًا «فَذَبَحُوهَا وَمَا  
كَادُوا يَفْعَلُونَ» .

وَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُضَرِّبَ الْمَقْتُولُ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَقَرَةِ  
فَيَحْيَا وَيُخْبَرَ بِاسْمِ الْقَاتِلِ .  
وَهَذَا كَانَ . . . .

### ١٣ - الشَّرِيعَةُ

وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عَيْشِ الْبَهَائِمِ إِلَى عَيْشِ النَّاسِ .  
وَصَارُوا يَعِيشُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْأَخْرَارِ الْأَشْرَافِ .  
هُنَالِكَ اخْتَاجُوا إِلَى شَرِيعَةٍ إِلَهِيَّةٍ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَتُنِيرُ  
لَهُمُ السَّبِيلَ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ كَإِنْسَانٍ إِلَّا بِشَرِيعَةٍ  
إِلَهِيَّةٍ وَإِلَّا بِنُورٍ مِنْ رَبِّهِ.

الْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ  
رَبِّهِ.

وَذَلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ.  
وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهَذَا النُّورِ كَانَ فِي ضَلَالٍ يَخْبُطُ خَبْطَ  
عَشْوَاءَ.

فَالْعَقَائِدُ - بِغَيْرِ هَذَا النُّورِ - أَوْهَامٌ وَخُرَافَاتٌ يَضْحَكُ  
مِنْهَا الْأَطْفَالُ.

أَمَا سَمِعْتُمْ عَقَائِدَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى وَخُرَافَاتِهِمْ وَأَسَاطِيرَهُمْ؟!  
وَالْعِلْمُ جَهْلٌ وَظَنٌّ وَتَخْمِينٌ وَشَكٌّ «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا  
الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا».

وَالْأَخْلَاقُ تَفْرِيطٌ وَإِفْرَاطٌ وَتَفْصِيرٌ وَإِسْرَافٌ أَمَا رَأَيْتُمْ  
الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَيْفَ يَهْضِمُونَ الْحُقُوقَ وَكَيْفَ  
يُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ وَكَيْفَ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى؟!

والْحُكْمُ وَالسِّيَاسَةُ ظُلْمٌ وَاسْتِبْدَادٌ وَخَبْطٌ فِي أَمْوَالِ  
 النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ وَدِمَائِهِمْ.  
 أَمَا رَأَيْتُمْ أُولِي الْأَمْرِ - مِمَّنْ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ وَلَا  
 يَتَّبِعُونَ السُّرِيعَةَ - كَيْفَ يَخُونُونَ الْأَمَانَاتِ وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ  
 بِأَمْوَالِ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ بِدِمَاءِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ؟!  
 وَكَيْفَ اسْتَعْبَدُوا النَّاسَ وَجَعَلُوهُمْ شِيَعاً يَذْبَحُونَ  
 رِجَالَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، أَتَعْلَمُ كَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ  
 الْأُولَى وَكَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الثَّانِيَةِ<sup>(١)</sup>!  
 فَالْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ فِي ظَلَامٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ  
 رَبِّهِ.

»ظُلِمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكُدْ يَرَهَا  
 وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَعَا لَهُ مِنْ نُورٍ«.

(١) للمعلم: عدد المصابين في الحرب الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) على ما حققه الإنكليزي السياسي الخبر أي - أليس تاونسند أكثر من سبعة وثلاثين مليوناً ٣٧٥١٣٨٨٦ رجلاً، المقتولون منهم ٨٥٤٤٣٥١٥ نسمة، وقدر النائب البريطاني المستر ميكستن أن عدد المصابين في الحرب الثانية الكبرى لا يقل عن خمسين مليوناً.

وَالنَّبِيُّ يُعْلَمُ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَذَلِكَ  
يُعْلَمُهُمْ كَيْفَ يُعَامِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.  
وَالنَّبِيُّ يُعْلَمُ النَّاسَ آدَابَ الْحَيَاةِ مَعَ آدَابِ الدِّينِ،  
وَيُعْلَمُهُمْ آدَابَ الْأَكْلِ وَآدَابَ الشُّرْبِ وَآدَابَ النَّوْمِ وَآدَابَ  
الْمَجْلِسِ وَآدَابَ كُلًّٰ شَيْءٍ.  
وَيُعْلَمُهُمْ الْآدَابَ كَمَا يُعْلَمُ الرَّوَالِدُ الشَّفِيقُ أَبْنَاءَهُ  
الْأَغْرِيَةَ.

وَالنَّاسُ كَالْأَطْفَالِ الصُّغَارِ يَخْتَاجُونَ فِي كِبَرِهِمْ إِلَى  
تَرْبِيةِ الْأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مُمَا يَخْتَاجُونَ فِي صِغَرِهِمْ إِلَى تَرْبِيةِ  
الْأَبْاءِ.

وَالَّذِينَ لَمْ يَتَلَقُوا هَذِهِ التَّرْبِيةَ التَّبَوِيَّةَ وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا  
الْآدَابَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَأَشْجَارِ الْبَرِّيَّةِ، نَبَتْ وَنَشَأَتْ  
بِنَقْسِهَا فَيُرَى فِيهَا عِوْجًا وَشَوْكًا وَفَسَادًا.

## ١٤ - التُّورَاةُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يَضِيعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَمَا ضَاعَتْ أُمَمٌ  
يَغْيِرُ كِتَابٍ وَهُدَىٰ مِنَ اللَّهِ.

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يَخْبِطُوا خَبْطَ عَشْوَاءَ كَمَا خَبَطْتُ أُمَّمٌ  
خَبْطَ عَشْوَاءَ.

أَمْرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَتَظَهَّرَ وَأَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ  
يَأْتِي إِلَى طُورِ سِينَاءَ حَتَّى يُكَلِّمَهُ رَبُّهُ وَيَتَلَقَّى كِتَابًا يَكُونُ  
لَهُمُ الْإِمَامَ.

اخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا يَكُونُونَ عَلَى  
ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمٌ جُحْدٌ.

»وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ كَانَتِي فِي قَوْمٍ وَأَصْلَيْتُهُمْ وَلَا  
تَئْتَيْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ« لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ لَا بُدُّ لَهَا مِنْ إِمَامٍ.  
سَارَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، وَلَكِنَّهُ حَثَّهُ الشَّوْقُ إِلَى رَبِّهِ  
فَتَعَجَّلَ وَسَبَقَ إِلَى الطُّورِ.

قَالَ اللَّهُ: «﴿ وَمَا أَغْلَكَ عَنْ قَوْمَكَ يَمْوَسَى ﴾ ٨٣».

»قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أُثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى ﴾ ٨٤﴾.  
وَأَمْرَهُ اللَّهُ أَنْ يُتَمَّ مِيقَاتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

وَصَلَّ مُوسَى إِلَى طُورِ سِينَاءَ فَكَلَمَهُ رَبُّهُ وَنَاجَاهُ وَقَرَبَهُ  
وَأَدْنَاهُ، فَرَأَدَهُ ذَلِكَ شَوْقًا فَقَالَ: «رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ».

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ  
»لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ الْأَطِيفُ  
الْفَيْدُ«.

وَإِنَّ الْجِبَارَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ كَلَامَهُ فَضْلًا عَنْ  
نُورِهِ.

»لَوْ أَنَّزَنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا  
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ«.

»قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ اُنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَكِرَ  
مَكَانَتِهِ فَسَوْفَ تَرَنِي«.

»فَلَمَّا بَعْلَ رَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى  
صَعِقًا«.

»فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَثِّ إِيَّاكَ وَإِنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ«.

»قَالَ يَسْمُعَنِي إِنِّي أَضْطَفْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَيَكْتُبُ  
فَخُذْ مَا دَاتِنِكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ«.

أَخَذَ مُوسَى الْأَلْوَاحَ وَفِيهَا كُلُّ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ.

وَأَمْرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذُهَا بِقُوَّةٍ وَيَأْمُرُ قَوْمَهُ أَنْ يَأْخُذُوا  
بِأَخْسَنِهَا .

وَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى إِلَى السَّبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ  
وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالُوا فِي وَقَاحَةٍ وَجَسَارَةٍ .  
«كُنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى زَرَى اللَّهُ» غَضِبَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ  
الْوَقَاحَةِ وَالْجُرَأَةِ فَأَخْذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .  
وَرَأُوا أَنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ هَذِهِ الصَّاعِقَةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ  
فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُونَ نُورَ اللَّهِ !  
وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ وَقَالَ: «رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ  
قَبْلِ وَلَيْسَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْشَّفَهَاءُ مِنَا ؟»  
وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَبَعَثَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ لَعَلَّهُمْ  
يَشْكُرُونَ .

## ١٥ - العِجلُ

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعِيشُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مِصْرَ مُنْذُ  
قُرُونٍ .

وَكَانَ الْأَقْبَاطُ يَعْبُدُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي مِضْرَ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَرَوْنَ ذَلِكَ بِعُيُونِهِمْ .

وَزَالَتْ مِنْهُمْ كَرَاهَةُ الشَّرْكِ وَتَسَرَّبَ إِلَيْهِمْ حُبُّهُ كَمَا يَتَسَرَّبُ الْمَاءُ إِلَى بَيْتٍ وَاهِنٍ عَتِيقٍ .

وَكَانُوا كُلَّمَا وَجَدُوا فُرْصَةً انْحَدَرُوا إِلَى الشَّرْكِ كَمَا يَنْحَدِرُ الْمَاءُ إِلَى الْحَدُورِ .

وَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ وَفَسَدَ ذُوقُهُمْ فَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَنِيَّ يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا .

جَازُوا الْبَحْرَ : ﴿فَاتَّوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَكُوْسِيْ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ﴾ .

وَغَضِبَ مُوسَى وَقَالَ : ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .  
يَا لِلْعَجَبِ ! يَا لِلظُّلْمِ ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَفَضَّلَكُمْ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .

﴿أَغَيَرَ اللَّهُ أَبْيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

سَارَ مُوسَى إِلَى الْطُّورِ وَغَابَ عَنْهُمْ أَيَّامًا فَكَانُوا صَيْدَ الشَّيْطَانِ وَفَرِيسَةَ الشَّرْكِ .

قَامَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ يُقَالُ لَهُ السَّامِرِيُّ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ حُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُنَا مُوسَى فَلَمَّا وَفَتَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَذَا الْعِجْلِ وَخَرُوا عَلَيْهِ صُمَّاً وَعَمْيَانًا﴾.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِنَّ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

﴿أَلَّا يَرَوَا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾.  
وَنَهَا هُمْ هَارُونُ عَنْ ذلِكَ وَاجْتَهَدَ وَقَالَ: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا فَتَنَّنُّمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَإِنَّعُونِي وَأَطِيعُونِي أَمْرِي﴾.  
وَلِكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مَفْتُونِينَ بِسُخْرِ السَّامِرِيِّ  
وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ فَقَالُوا:  
﴿لَنْ تَرْجِعَ عَلَيْهِ عَرَكِيفَنَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

## ١٦ - العِقَابُ

وَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَضَلَّهُمْ السَّامِرِيُّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ غَضِبًا أَسْفًا.

وَغَضِبَ عَلَى قَوْمِهِ وَغَضِبَ لِلَّهِ عَلَى أَخِيهِ هَارُونَ.

﴿قَالَ يَهُرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذ رَأَيْتَهُمْ ضَلَّوا ۝ أَلَا تَتَبَعَنْ ﴾

أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ (٩٣).

وَاعْتَذَرَ هَارُونُ وَقَالَ «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ  
بَيْنِ إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفُّتْ قَوْلِي».

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾.

﴿قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَاتِكَ وَأَنْتَ  
أَزْكَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ (١٥١).

ثُمَّ التَّفَتَ مُوسَى إِلَى السَّامِرِيِّ قَالَ: فَمَا حَظِيْكَ يَا  
سَامِرِيُّ؟

وَاعْتَرَفَ السَّامِرِيُّ بِجُرمِهِ وَقَالَ: «وَكَذَلِكَ سَوَّلتَ لِي  
نَفْسِي».

﴿قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا  
يُسَاسٌ﴾.

وَعَاقِبَةُ مُوسَى بِالاِنْفَرَادِ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَعِيشُ وَحْدَهُ  
كَالْوَحْشِيِّ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ.

وَأَيْ عِقَابٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟!

إِنَّ الَّذِي نَجَسَ الْوَفَاً مِنَ النَّاسِ بِالشَّرِكِ يَجِدُ أَنَّ  
يَتَقدَّرُهُ النَّاسُ وَيَنْبُذُوهُ.

إِنَّ الَّذِي فَرَقَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ يَجِدُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ النَّاسِ.

إِنَّ الَّذِي دَعَا إِلَى الشَّرِكِ فِي أَرْضِ اللَّهِ مُذْنِبٌ يَجِدُ  
أَنَّ تَكُونَ الْأَرْضُ كُلُّهَا سِجْنًا لَهُ.

ثُمَّ التَّفَتَ مُوسَى إِلَى الْعِجْلِ الْمَلْعُونِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهِ  
فَأَخْرَقَ ثُمَّ نَفَضَهُ فِي الْبَحْرِ.

وَرَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مَصِيرَ الْعِجْلِ الْمَعْبُودِ وَرَأَوا ضَعْفَهُ  
وَعَجْزَهُ.

ثُمَّ التَّفَتَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: «يَنْقُومُ  
إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ لِمَا تَخَذَّلْتُمُ الْعِجْلَ فَتُؤْلِوْا إِلَى بَارِيَّكُمْ  
فَاقْتُلُوْا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيَّكُمْ».

وَكَذَلِكَ فَعَلُوا، وَقَتَلَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ الَّذِينَ  
عَبَدُوهُ وَهَكَذَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخْذُوا الْعِجْلَ سَيَّئَاتُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ يَخْزِي الْمُفْرِّغِينَ ﴾ ١٥٧ .

وَكَذَلِكَ عُبَادُ الْعِجْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَذَلِكَ  
الْمُشْرِكُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ !

### ١٧ - جِبْنُ بْنِي إِسْرَائِيلَ

تَشَاءُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ وَعَلَى الدُّلُّ  
وَالْهَوَانِ، وَشَبَّ عَلَيْهِ الْأَطْفَالُ وَشَابَ عَلَيْهِ الشُّبَانُ.  
وَبَرَدَ فِي عُرُوقِهِمُ الدَّمُ .

وَأَضْبَخُوا لَا يَحْلُمُونَ بِسِيَادَةٍ وَلَا يَتَحَدَّثُونَ بِغَرْوٍ وَلَا  
جَهَادٍ.

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ فِي الْغُرْبَةِ لَيْسَ لَهُمْ  
وَطَنٌ وَلَا حُكْمٌ .

فَأَرَادَ مُوسَى بِوَحْيِ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ  
وَيَسْكُنُوا فِيهَا مُلُوكًا أَخْرَارًا .

ولَكِنْ مُوسَى كَانَ يَعْرِفُ طَبِيعَةَ الْجُنُبِ وَالضَّعْفِ فِي  
بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَأَرَادَ أَنْ يُشَوِّقُهُمْ وَأَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ لِأَنَّ الْأَرْضَ  
الْمُقَدَّسَةَ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا قَوْمٌ جَبَارُونَ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو  
بَأْسٍ شَدِيدٍ.

وَلَا يَدْخُلُ بَنُو اسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ حَتَّى  
يُخْرِجُوا مِنْهَا هُؤُلَاءِ الْجَبَارِينَ.

فَذَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَا فَضَّلُوهُمْ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ،  
حَتَّى يَنْشَطُوا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحَتَّى يَكْرَهُوا هَذِهِ  
الْحَيَاةَ الْذَّلِيلَةَ غَيْرَ الْلَّاِثِقَةِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَكُوْمُوا إِذْ كَرُوا بِنَعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ جَعَلْتُ فِيهَا أَنْبِيَاءَ وَجَعَلْتُكُمْ مُلُوكًا وَأَتَنَاكُمْ مَا لَمْ يُوتَ أَحَدًا  
مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَمَامَكُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَلَيْسَ لَكُمْ  
إِلَّا أَنْ تَقْوُمُوا وَتَسْتَرِعُوهَا مِنْ أَعْدَائِكُمْ.

وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا كَتَبَ لَأَحَدٍ شَيْئًا وَقَدَرَهُ لَهُ فَقَدْ هَانَ عَلَيْهِ  
أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَا رَادَ لِقَضَاءِ اللَّهِ.

﴿يَقُولُوا أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَبَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .

وَخَافَ أَنْ تَغْلِبَهُمْ طِبِيعَةُ الْجُنُونِ فَقَالَ :

﴿وَلَا نَرَدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَنَنْقَلِبُوا حَسِيرِينَ﴾ .

وَوَقَعَ مَا كَانَ يَخْدَرُهُ مُوسَى، فَكَانَ جَوَابُهُمْ عَلَى كُلِّ  
مَا قَالَ مُوسَى .

﴿يَأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَنْذِلُهُمْ حَتَّى  
يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ .

وَقَالُوا فِي وَقَارِ وَسُكُونِ :

﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاهِلُونَ﴾ .

﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ كَذَلِكَ أَنَّمَّا اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَذْخُلُوا  
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلَتْهُمْ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا  
إِنْ كُشِّمْتُمُ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ .

وَلِكُنَّ ذَلِكَ لَمْ يُؤْثِرْ فِيهِمْ وَقَالُوا :

إِذَا كَانَ لَا بُدًّ مِّنَ الدُّخُولِ فَادْخُلْ أَنْتَ بِمُعْجِزَةِ اللَّهِ، فَإِذَا  
سَمِعْنَا أَنْكَ قَدْ دَخَلْتَهَا، جِئْنَا فَدَخَلْنَا نَحْنُ أَيْضًا أَمِنِينَ  
سَالِمِينَ .

﴿قَالُوا يَمْوَسِّي إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَهْدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبْ  
أَنَّ وَرَبُّكَ فَقَتَلَاهَا إِنَّا هُنُّا قَعْدُوكَ ﴾ ١٧ .

هُنَّا لِكَ غَضِيبَ مُوسَى وَيَسَّرَ مِنْ هُؤُلَاءِ .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي فَاقْرُقْ بَيْنَكَا  
وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْقَسِيقِينَ ﴾ ١٨ .

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرَبَعَ سَنَةٍ يَتَهُونَ فِي  
الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْقَسِيقِينَ ﴾ ١٩ .

وَفِي هَذِهِ الْمُدَّةِ يَمُوتُ هَذَا الْجِيلُ الَّذِي نَشَأَ فِي مِصْرَ  
عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلُّ .

وَيَنْشَأُ جِيلٌ آخَرُ يَنْشَأُ فِي هَذَا التَّيْهِ عَلَى الشَّدَّةِ وَالْعُسْرِ  
وَتِلْكَ أُمَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا هُوَ مَصِيرُ الْيَهُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ  
أُمَّةٌ تَائِهَةٌ تَعِيشُ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلُّ .

## ١٨ - في سبيل العلم

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَامَ مُوسَى خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
فَسُئِلَ:

أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟

فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ!

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ!  
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرِينِ  
هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ.

قَالَ رَبِّ كَيْفَ يِهِ؟

فَقِيلَ لَهُ اخْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ (زَنْبِيلٍ) فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ  
ثَمَّ.

فَانْطَلَقَ وَانْظَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ وَحَمَلا حُوتًا فِي  
مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رَأْسَيهِمَا فَنَامَا.

فَانْسَلَّ الْحُوثُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَيْلَهُ فِي الْبَحْرِ  
سَرَبًا (مَسْلَكًا) وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَابًا.

فَانْطَلَقا بِقِيَةً لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهِمَا فَلَمَّا أَضَبَحَ قَالَ مُوسَى  
لِفَتَاهُ أَتَنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرَنَا هَذَا نَصَبًا (تَعَبًا).

وَلَمْ يَعِدْ مُوسَى مَسَا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَازَ المَكَانَ  
الَّذِي أَمِرَ بِهِ.

فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ «أَرَيْتَ إِذْ أَوْتَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيْتُ الْمَحْوَتَ».

قَالَ مُوسَىٰ : «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ»

«فَأَرَتَنَا عَلَىٰ إِثْمَارِهِمَا قَصَصًا».

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسْجَىٰ (مُغَطَّىٰ)  
بِثُوبٍ فَسَلَّمَ مُوسَىٰ :

فَقَالَ الْخَضِيرُ : وَأَنَّى يَأْرِضِكَ السَّلَامُ؟

فَقَالَ : أَنَا مُوسَىٰ !

فَقَالَ : مُوسَىٰ بْنِي إِسْرَائِيلَ؟

قَالَ : نَعَمْ !

فَقَالَ مُوسَىٰ : «هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعْلِمَنِي مِمَّا عِلِّمْتَ  
رُشْدًا»؟

«قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا»!

يَا مُوسَىٰ إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلِمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ  
أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلِمْكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ !

فَانْظَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ

فَمَرَثْ بِهِمَا سَفِينَةً فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا .

فَعَرِفَ الْخَضِيرُ فَحَمَلُوهُمَا بِعَيْرِ نَوْلٍ (أُجْرَةً) .

فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ  
نَقْرَتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ .

فَقَالَ الْخَضِيرُ :

يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا  
كَنْقَرَةً هَذَا الْعُصْفُورُ فِي الْبَحْرِ .

فَعَمَدَ الْخَضِيرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ الْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ .

فَقَالَ مُوسَى :

قَوْمٌ حَمَلُونَا بِعَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا  
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا !!

قَالَ الْخَضِيرُ :

﴿قَالَ اللَّهُ أَقْلَمْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا﴾؟!

قَالَ مُوسَى :

﴿لَا تُؤَاخِذنِي بِمَا نَسِيْتُ وَلَا تُرْهِقنِي مِنْ أَمْرِي عَشَرًا﴾ .  
فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا .

فَانْظَلَقَا إِذَا بِغُلامٍ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلْمَانِ فَأَخْذَ الْخَضِيرُ  
بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسُهُ بِيَدِهِ.

فَقَالَ مُوسَى :

«أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ» !

«قَالَ أَلَّا أَقُلُّ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا» ؟

«فَانْظَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَاهَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطَعُمَا أَهْلَهَا فَأَبَوَا أَنْ  
يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ . . . .

قَامَ الْخَضِيرُ بِيَدِهِ فَأَقامَهُ.

فَقَالَ مُوسَى :

«لَوْ شِئْتَ لَتَحْذَثَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا» !

فَقَالَ : «هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» !

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْدِدُنَا لَوْصَبَرَ  
حَتَّى يُقْصَصَ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا<sup>(۱)</sup>!» .

---

(۱) الجامع الصحيح للبخاري.

شَمَّ بَيْنَ الْخَضِرِ مُوسَى .

فَقَالَ: «أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَ لِمَسْكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ  
فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيهَا وَكَانَ وَزَاءُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صَالِحةٌ  
عَصَبًا) .»

«وَأَمَا الْفَلَكُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنَيْنَ فَخَشِبَنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طَغْيَانًا  
وَكُفْرًا ﴿٦﴾ .»

«فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبِّهِمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكُورًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٧﴾ .»

«وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِفُلَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ  
كَزْ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَنِيلَحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْعَنَا أَشَدَّهُمَا  
وَيَسْتَخْرِجَا كَزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» .

«وَمَا فَعَلْنَا عَنْ أَمْرِيْ ذَلِكَ تَأوِيلٌ مَا لَمْ نُسْطِعْ عَلَيْهِ  
صَبَرًا» .

هَنَالِكَ عَرَفَ مُوسَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ  
بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ بَعْضَ عِلْمِهِ عِنْدَ بَعْضٍ وَبَعْضَهُ عِنْدَ بَعْضٍ،  
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

وَتُؤْفَى مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَتَبَاهُونَ فِي الْأَرْضِ عِقَابًا  
مِّنَ اللَّهِ وَجَزَاءً أَعْمَالِهِمْ .

﴿وَصَرِّيْتَ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةَ وَالْمُسْكَنَةَ وَبَاهَوْ يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ﴾ .  
إِنَّهُمْ قَدْ أَسْخَطُوا اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءً،  
وَجَعَلَهُمْ مُلُوكًا، وَآتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ  
فِي عَصْرِهِمْ .

الَّذِي أَنْجَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِيْنَ نِسَاءَهُمْ .

الَّذِي فَرَقَ بِهِمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَاهُمْ وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ  
وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

الَّذِي ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنْ وَالسَّلَوَى .  
الَّذِي فَجَرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ عُيُونًا، وَوَسَعَ لَهُمْ فِي  
مَا كَلَّ وَمَشَرَّبٍ .

وَكَانَ جَزَاءً كُلُّ ذِلِكَ أَنْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَغَصَّوْا  
وَأَغْتَدَوا .

وَأَغْضَبُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَى أَشْفَقَ خَلْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَشْفَقَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَمَّهَا تِهِمْ.

ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يَخْنُو عَلَيْهِمْ خُنُو المُرْضِعِ عَلَى  
الْفَطِيمِ، وَالْأُمُّ الْحَنُونِ عَلَى الْتَّيْتِيمِ.

ذَلِكَ الَّذِي سَبُوهُ دَعَا لَهُمْ وَكُلَّمَا ضَحِكُوا عَلَيْهِ بَكَى  
لَهُمْ وَكُلَّمَا جَفَوْهُ رَثَى لَهُمْ.

ذَلِكَ الَّذِي خَلَصَهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ  
سِجْنِ مِصْرَ إِلَى بَرِّ الْحُرْيَةِ وَالشَّرَفِ، وَمِنْ حَيَاةِ الْعَيْدِ  
الْأَشْقيَاءِ، إِلَى حَيَاةِ الْأَخْرَارِ الشَّرَفاءِ.

قَدْ أَغْضَبُوهُ وَأَذْوَهُ وَعَانَدُوهُ وَسَخِرُوا مِنْهُ وَجَعَلُوهُ  
أَهْوَانَ رَجُلٍ فِيهِمْ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا.

أَلَا يَسْتَحْقُونَ هَذَا الْعِقَابُ وَالْخِزْيَ وَالذُّلُّ وَالْمَسْكَنَةُ  
وَالْتَّيَّةُ الدَّائِمُ وَأَلَا يُفْلِحُوا أَبَدًا؟

بَلَى! إِنَّهُمْ يَسْتَحْقُونَ كُلَّ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ بِأَعْمَالِهِمْ: ﴿وَمَا  
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.



## ١ - نَظْرَةٌ عَلَى القَصَصِ السَّابِقَةِ

قرأتُم قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ، وَقَرَأْتُم  
قِصَّةَ سَيِّدِنَا نُوحَ وَسَيِّدِنَا هُودَ وَسَيِّدِنَا صَالِحَ، قَرَأْتُم قِصَّةَ  
سَيِّدِنَا مُوسَى فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّطْوِيلِ، قَرَأْتُم كُلَّ  
ذَلِكَ بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ، وَإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرٍ، وَحَلَّتْ فِي  
نُفُوسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ مَحَلَّ الْقَصَصِ الْخَبِيَّةِ الْأَثِيرَةِ، وَوَعَتْهَا  
ذَاكِرَتُكُمْ، وَذَلَّتْ بِهَا أَسْنَاتُكُمْ، وَقَدْ رَأَكُمُ النَّاسُ  
تَحْكُونَهَا لِإِخْوَتُكُمُ الصِّغَارِ، وَتُرَدِّدُونَهَا لِلأَبْوَيْنِ،  
وَالْإِخْرَاجُ الْكِبَارِ، وَأَنْتُمْ تَتَذَوَّقُونَهَا، وَقَدْ تَحَمَّسُونَ فِي  
حِكَايَتِهَا.

## ٢ - قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

وَلَا غَرَابةً؛ فَإِنَّهَا قِصَصٌ شَائِقَةٌ مُثِيرَةٌ، وَإِنَّهَا قِصَّةٌ  
صِرَاعٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَبَيْنَ

الثُّورِ وَالظَّلَامِ، وَبَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ، وَبَيْنَ الْجَزْمِ  
وَالْيَقِينِ، وَالظَّنِّ وَالثَّخْمَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهَا قِصَّةُ انتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالْعِلْمُ عَلَى  
الْجَهْلِ، وَالضَّعِيفُ عَلَى الْقَوِيِّ، وَالقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ،  
قِصَّةُ فِيهَا عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ، وَصَدَقَ اللَّهُ  
الْعَظِيمُ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَّا يَدْرِي  
كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقٌ لِذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفَصِيلٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.





## قصة سيدنا شعيب ﷺ

وَلَيْسَ مَا حَكَيْنَاهُ لَكُمْ مِنْ قَصَصِ النَّبِيِّينَ، هُوَ كُلُّ مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِهِمْ وَحِكَائِيَاتِهِمْ، فَفِي الْقُرْآنِ قَصَصٌ غَيْرُ هَذِهِ الْقِصَصِ.

### ٣ - وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

فِيهِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَدْيَنَ وَأَضَحَابِ الْأَيْكَةِ، وَهُمْ أَضَحَابُ تِجَارَةٍ وَسَلَعٍ، فَقَدْ كَانُوا عَلَى الْجَادَةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالشَّامِ، وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَصْرَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.

كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ، كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَكَانُوا - زِيادةً إِلَى ذَلِكَ - يَنْقُضُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَيُظْفِفُونَ فِي الْكَيْلِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِلْقَوَافِلِ، فَيَتَوَعَّدُونَهَا وَيُخْيِفُونَهَا، وَيَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا،

شأن الأغنياء الأقوياء الذين لا يرجون حساباً ولا يخشون عذاباً.

فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ شَعِيباً يَدْعُوهُمْ وَيُنذِرُهُمْ،  
وَيَقُولُ لَهُمْ: ﴿يَنَقُولُ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ شَحِيطٍ وَيَقُولُ أَوْفُوا الْمِكَالَ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنَى  
فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ﴾ (٨٥).

### ٤ - دَعْوَةُ شُعَيْبٍ

وَبَسِطْ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَيَحْلِ عُقْدَةَ فِي أَنفُسِهِمْ،  
وَهِيَ عُقْدَةُ حُبِّ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ فَيَقُولُ:

إِنَّ مَا يَفْضُلُ لَكُمْ مِنَ الرِّبْعِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ  
خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ، وَإِذَا  
نَظَرْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ، وَفِي حَيَاةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَثْرَوْا  
وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ، وَجَذَّبْتُمْ أَنَّ مَا اكْتَسَبُوهُ عَنْ طَرِيقِ

التَّظْفِيفُ وَالْبَخْسُ وَالْخِيَانَةُ، كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى التَّلَفِ  
وَالضَّياعِ أَوِ الْفَسَادِ وَالْبَلَاءِ، فَسُرِقَ أَوْ نُهِبَ أَوْ أُنْفِقَ فِي  
غَيْرِ مَا يُرْضِي اللَّهَ أَوْ سُلْطَنٌ عَلَيْهِ مَنْ أَتَلَفَهُ وَعَبَثَ بِهِ،  
وَالْقَلِيلُ الَّذِي يَنْفَعُ خَيْرًا مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ: ﴿قُلْ لَا  
يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالْطَّيْثُ وَلَوْ أَنْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثُ﴾.

وَنَصِيحَتِي لَكُمْ خَالِصَةً مُخْلِصَةً، وَاللَّهُ هُوَ الرَّقِيبُ  
عَلَيْكُمْ وَحْدَهُ، يَقُولُ فِي رِفْقٍ وَحِكْمَةٍ وَعَنْ عِلْمٍ  
وَبَصِيرَةٍ:

﴿يَقِيمُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِظِهِ﴾.

## ٥ - أَبُو رَجِيمٍ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ

وَيَنْوَعُ لَهُمْ فِي الْخَطَابِ، وَيَتَفَنَّنُ فِي النَّصِيحَةِ، شَأْنُ  
الْأَبِ الرَّاجِيمِ وَالْمُعَلِّمِ الْحَكِيمِ، فَيَقُولُ:

﴿يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ قَدْ  
جَاءَتُكُمْ بِكِتَابٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

وَلَا يَنْخُسُوا أَكَاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثُوَّادُونَ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِهِ وَتَبَغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِنْقَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

## ٦ - جَوَابُ قَوْمِهِ

وَقَدْ دَقَقَ أَذْكِيَاوُهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الدُّعْوَةِ وَتَعْلِيلِهَا، وَقَالُوا فِي تِيهِ وَزَهْرِ، كَانُوهُمْ اكْتَشَفُوا سِرًا، أَوْ فَكُوا لُغْزًا:

«قَالُوا يَسْعَى بِأَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرُكَ مَا يَعْبُدُ أَبَا آفَنَا أَوْ أَنْ تَقْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾».

## ٧ - شَعِيبٌ يَشْرَحُ دُعْوَتَهُ

وَتَلَطَّفَ لَهُمْ شَعِيبٌ، قَلْمَنْ يَقْسُ وَلَمْ يَغْضَبْ، وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الدُّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةَ بَعْدَ

صَمْتٌ طَوِيلٌ وَعَدَمٌ تَعَرُّضٌ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ فَاسِدَةٍ وَتَصَرُّفَاتٍ جَائِزَةٍ، إِلَّا مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ أَخْيَرًا: بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا شَرَحَةُ لَهُ صَدْرَهُ وَآتَاهُ نُورًا مِنْ عِنْدِهِ.

وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَدِ، فَقَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَزَقَهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ سَعِيدٌ، هَنِيءُ النَّفْسِ، رَحِيمُ الْبَالِ، شَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقُلُوبِ وَاللِّسَانِ.

ثُمَّ أَنَّهُ لَا يَنْهَاهُمْ عَنْ أَمْرٍ وَيَرْتَكِبُهُ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَيَأْتِيهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَيَنْهَاونَ أَنفُسَهُمْ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ إِصْلَاحَهُمْ وَإِسْعَادَهُمْ وَإِنْقَاذَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُحَلِّقُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَإِنَّ الْفَضْلَ كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ.

﴿Qَالَّذِي يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَقِنَّتِي مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِنَّمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّمَا أُرِيدُ إِلَّا إِلَصْحَاحَ مَا أَسْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

## ٨ - مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ

وَتَجَاهَلَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَهُ شُعَيْبٌ كَانَ يَسْكُلُمُ مَعَهُمْ  
فِي لُغَةِ أَجْنَبِيَّةِ مَعَ أَنَّهُ أَبْنُ الْبَلْدِ وَأَخُو الْقَوْمِ، وَكَانَ  
غَيْرَ مُبِينٍ فِي كَلَامِهِ، غَيْرَ مُفْصِحٍ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَبْلَغِهِمْ  
كَلَامًا وَأَنْصَاعِهِمْ بِيَانًا، وَهَكَذَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا كَبَرَتْ  
عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ.

## ٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ

وَتَعَلَّلُوا بِضَعْفِهِ وَوَحْدَتِهِ وَأَنَّهُ لَوْلَا عَشِيرَتُهُ وَقَرَابَتُهُمْ لَهُ  
لَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ، وَقَدْ اسْتَنَكَرَ ذَلِكَ  
شُعَيْبٌ، وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ،  
وَالْقَوِيُّ الْقَاهِرُ، أَهُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ عُرْضَةٌ  
لِلْأَمْرَاضِ وَالْهَلاَكِ وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ.

﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىكَ  
فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ  
قالَ يَنْقُومُ أَرْهَطْكَ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَلَا خَذْلُمُهُ﴾

وَرَأْتُمْ ظَهِيرًا إِنَّ رَبَّيِّ يِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ . ﴿٤٢﴾

## ١ - السَّهْمُ الْأَخِيرُ

وَلَمَّا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ أَظْلَقُوا السَّهْمَ الْأَخِيرَ الَّذِي  
أَظْلَقَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَيْبِهِمْ وَأَتْبَاعِهِ :  
﴿قَالَ اللَّهُ أَلَا الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكُمْ يَشْعِبُ  
وَالَّذِينَ مَآمَنُوا مَعَكُمْ مِنْ قَرِيبِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِنَّا كَانُوا  
كَرِهِينَ﴾ .

## ١١ - حَجَّةُ قَاطِعَةٌ

فَكَانَ جَوَابُهُ جَوابَ فَخُورٍ بِدِينِهِ غَيْرُ عَلَى عَقِيدَتِهِ  
وَضَمِيرِهِ :

﴿قَالَ أُولَئِنَّا كَانُوا كَرِهِينَ قَدْ أَفْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَذَّنَا فِي  
مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا  
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَنَا رَبُّنَا  
أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٤٩﴾ .

## ١٢ - بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ

فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، بَلْ قَالُوا مِثْلَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ:  
﴿قَالُوا إِنَّا أَنَّا مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ وَمَا أَنَّا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ  
وَإِنْ تَظْنُنَّكَ لِمَنِ الْكَذَّابِينَ ﴾ فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ  
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

## ١٣ - عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا

وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ وَاحِدَةً، عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا  
وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ: «فَلَمَّا خَذَلْتُمُ الرَّجُلَةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جَهَنَّمَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيرًا كَانُوا لَمَّا يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ  
كَذَبُوا شَعِيرًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٢﴾».

## ١٤ - بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَى الْأَمَانَةَ

وَكَانَ شَائُنُ شُعَيْبٌ، شَائُنَ كُلُّ نَبِيٍّ بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَى  
الْأَمَانَةَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ: «فَلَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَقُولُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
رِسْلَاتِ رَبِّي وَنَصَّحْتُكُمْ فَكَيْفَ مَاسَوْنَا عَلَى قَوْمٍ كُفَّارٍ ﴿٩٣﴾».

## قصة

# سَيِّدُنَا دَاوِدُ، وَسَيِّدُنَا سُلَيْمَانٌ

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِ اللَّهِ وَمَا لَقِيَهُ الْأَنْبِيَاءُ  
وَالرُّسُلُ مِنْ تَكْذِيبٍ وَسُخْرِيَّةٍ وَإِهَانَةٍ وَمُطَارَدَةٍ مِنَ الْأَمَمِ  
الَّتِي بَعْثَوْا فِيهَا، وَمَا لَقِيَتْ هَذِهِ الْأَمَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ  
وَهَلاَكٍ وَدَمَارٍ لِتَكْذِيبِهَا لِلنَّبِيِّ وَاسْتِهْزَائِهَا بِهِمْ وَكَيْدِهَا  
لَهُمْ وَهُمْ بِهَا يُقْتَلُونَ، كَمَا مَرَّ بِكُمْ فِي قَصَصِ النَّبِيِّينَ.

### ١ - الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنْ آلَاءِ اللَّهِ

بَلْ تَحَدَّثُ الْقُرْآنُ كَثِيرًا عَنْ آلَاءِ اللَّهِ، وَحَكَى فِي  
بَسْطِ أَخْيَانًا وَفِي اخْتِصارِ أَخْيَانًا عَنْ نِعَمِ كَثِيرَةٍ، أَنْعَمَ  
بِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْهُمْ دَاوِدُ وَسُلَيْمَانُ، وَمِنْهُمْ  
آيُوبُ وَيُونُسُ، وَمِنْهُمْ زَكَرِيَّاً وَيَحْيَىٰ .

فَأَمَّا دَاوِدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَدْ مَكَنَ اللَّهُ لَهُمَا فِي الْأَرْضِ،

وَوَسَعَ لَهُمَا فِي الْمُلْكِ، وَمَدَّ لَهُمَا فِي الْعِلْمِ، وَعَلَمَهُمَا كَثِيرًا مِمَّا جَهَلَهُ النَّاسُ، وَسَخَّرَ لَهُمَا الْأَقْوِيَاءِ وَالْعَتَّاءَ، وَمَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْحَيَوانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، فَقَالَ: «وَلَقَدْ أَئْتَنَا دَاؤِدَ وَسَلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا لِلَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ⑯» وَوَرِثَ سَلَيْمَانُ دَاؤِدَ وَقَالَ يَتَائِفُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الْطَّيْرِ وَأَوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمِيزَانُ ⑰».

## ٢ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى دَاوِدَ

فَأَمَّا دَاوِدَ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالْطَّيْرَ تَسْجَابَ بِمَعْهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ، وَعَلَمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، وَأَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ. «وَلَقَدْ أَئْتَنَا دَاؤِدَ مِنَا فَضْلًا يَجِدُ أُوْبِي مَعْهُ وَالْطَّيْرَ وَالْجِبَالَ لَهُ الْحَدِيدَ ⑱» أَنْ أَعْمَلَ سَيْفَتِ وَقَدَرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلَهَا صَنِيلًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ⑲». وَيَقُولُ: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجِبَالَ يُسَيْحَنَ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَلَعِلَّنَا وَعَلَّنَا صَنْعَةَ لَبُوسِكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَتَمُ شَكِرُونَ ⑳».

## ٣ - شُكْرُهُ عَلَى هَذِهِ النُّغْمَةِ

وَكَانَ دَاؤُدُ مَعَ هَذَا الْمُلْكِ الْوَاسِعِ وَالْيَدِ الْحَادِقَةِ  
الْقَوِيَّةِ كَانَ عَبْدًا خَائِشًا أَوَابًا، دَائِئِمَ الذِّكْرِ، طَوِيلَ  
الدُّعَاءِ وَالْتَّسْبِيحِ، حَاكِمًا مُقْسِطًا، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ  
بِالْحَقِّ وَلَا يُحَابِي، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : «يَدَاوُدُ إِنَّا  
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَى  
فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ .

## ٤ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ

فَأَمَّا سُلَيْمَانُ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الرِّيَاحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ  
وَتَحْمِلُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، فَيَصِلُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ  
وَأَسْرَعِ زَمَانٍ وَسَخَّرَ لَهُ الْأَقْوِيَاءِ وَالْحَادِقِينَ مِنَ الْجِنِّ،  
وَالْمَارِدِينَ مِنَ الشَّيَاطِينَ، يُنَفِّذُونَ أَوْاْمَرَهُ وَيُكَمِّلُونَ  
مَشَارِيعَهُ الْعُمُرَانِيَّةَ وَالْبَنَائِيَّةَ الْعِمْلَاقَةَ .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الْرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا﴾

وَكُنَّا يِكْلِ شَيْءَ عَلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمَنِ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُصُّونَ لَهُ  
وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ .

﴿وَلِشَيْمَنَ الْرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَاحِلَهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ  
عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنِ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَإِذِنِ رَبِّهِ وَمَنِ  
يَزِغُّ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذَقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٨٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ  
مَا يَشَاءُ مِنْ مُحَرِّبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَهَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتِ  
أَعْمَلُوا إَلَّا دَاؤُدَ شَكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورِ ﴿٨٤﴾ .﴾

## ٥ - فِقْهُ دَقِيقٌ وَعَلْمٌ عَمِيقٌ

وَقَدْ تَجَلَّ ذَكَارُهُ وَقُدرَتُهُ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيحِ فِي  
قَضِيَّةِ رُفَعَتْ إِلَى وَالدِّهِ الْعَظِيمِ، فَكَانَ لِقَوْمٍ كَرْمٌ قَدْ  
أَنْبَتَتْ عَنَاقِيَّهُ، فَدَخَلَتْ فِيهِ غَنَمٌ لِقَوْمٍ فَأَفْسَدَتْهُ، فَقَضَى  
دَاؤُدُّ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَرْمِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: غَيْرَ هَذَا يَا  
نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ  
الْغَنَمِ فَيَقُولُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ  
الْكَرْمِ فَيَصِيبُ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرْمُ كَمَا كَانَ دَفَعَتْ  
الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ وَدَفَعَتِ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا.

وَحَصْهُ اللَّهُ يُفْقِهُ دَقِيقٌ وَعِلْمٌ عَمِيقٌ فَقَالَ :  
 »وَدَاوِدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَا فِي الْحَرَثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ  
 غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَهِيدِينَ ﴿٧٦﴾ فَفَهَمْتَهَا سُلَيْمَانُ  
 وَكُلَّا مَا إِنَّا حَكَمَاهُ وَعِلْمًا .

## ٦ - سُلَيْمَانٌ يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوانِ

وَقَصَّ الْقُرْآنُ قِصَّةً حَكِيمَةً مُمْتَعَةً تَجَلَّ فِيهَا تَيْقُظُ  
 سُلَيْمَانَ فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ، وَرَهْبَةِ سُلْطَانِهِ، كَيْفَ  
 جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَبَيْنَ الْمُلْكِ  
 وَالْتَّمْكِينِ، وَالنُّبُوَّةِ وَالرُّسَالَةِ فِي الدِّينِ، وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَةَ  
 الطَّيْرِ وَالْحَيَوانِ، وَجَمَعَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْطَّيْرِ  
 ذَاتَ مَرَّةٍ، وَرَكِبَ فِيهِمْ فِي أَبَهَةٍ وَعَظَمَةٍ وَكَانُوا عَلَى  
 نِيَاطِ كَامِلٍ، وَكَانُوا فِي قِيَادَةِ رُؤُسَائِهِمْ، فَمَرَّ سُلَيْمَانُ  
 عَلَى وَادِي النَّمْلِ، فَخَافَتْ نَمْلَةٌ عَلَى قَبَيلَتِهَا أَنْ تَخْطُمَهَا  
 الْخُيُولُ بِحَذَافِيرِهَا، وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ وَجُنُودَهُ،  
 فَأَمَرَهُمْ بِالدُّخُولِ إِلَى مَساِكِنِهِمْ، فَفَهِمَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ،  
 وَلَمْ يَأْخُذْهُ التَّيْهُ وَلَا الرَّهُو بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ بَلْ

حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ نِعْمَتِهِ، وَالدُّعَاءِ  
وَالتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالانْخِراطِ فِي سِلْكِ عِبَادِ اللَّهِ  
الصَّالِحِينَ.

## ٧ - قِصَّةُ هَذْهُ

وَكَانَ الْهَذْهُ رَائِدُهُ وَعَيْنُهُ يَدُلُّهُ عَلَى مَوَاضِعِ الْمِيَاهِ،  
وَمَنَازِلِ الْجَيْشِ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَهُ، فَغَابَ  
زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ: اظْلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ  
تَظْلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودَكَ وَجِئْتُكَ بِخَبَرٍ صِدْقٍ عَنْ سَبَّا  
وَمَلِكَتِهِمْ: لَهُمْ مُلْكٌ عَظِيمٌ، وَدُولَةٌ وَاسِعَةٌ، وَقَدْ وَجَدْتُهُمْ  
عَلَى هَذَا الْعَقْلِ وَالْكِيَاسَةِ، وَالْمُلْكِ وَالرِّيَاسَةِ، أَضْحَابَ  
سَفَاهَةٍ وَجَهَالَةٍ. وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ،  
وَلَا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

## ٨ - سُلَيْمَانٌ يَدْعُو مَلِكَةَ سَبَّا إِلَى دِينِهِ

وَشَقَّ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِجُوَارِ مَمْلَكَتِهِ مَلِكُ  
وَأُمَّةٌ لَا يَعْرِفُهَا وَلَمْ تَبْلُغْهَا دَعْوَتُهُ، وَلَا تَرَأَلْ تَغْبُدُ

الشّمْسَ، وَثَارَتْ فِيهِ الْحِمْيَةُ الدِّينِيَّةُ النَّبُوِيَّةُ، وَرَأَى مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مَلِكَتِهَا وَحَاكِمَتِهَا الْمُشْرِكَةِ وَيَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَالطَّاغِيَةِ وَالْاسْتِسْلَامِ، قَبْلَ أَنْ يَزْحَفَ عَلَى بِلَادِهَا بِجُنُودِهِ الْقَاهِرَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا كِتَاباً يَلِيقُهَا وَدَعَاهَا فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْاسْتِسْلَامِ. وَالْكِتَابُ يَجْمِعُ بَيْنَ الرُّقَّةِ وَالصَّرَامَةِ وَتَوَاضُعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِ الْمُلُوكِ.

## ٩ - الْمَلِكَةُ تَشْتَشِيرُ أَرْكَانَ دَوْلَتِهَا

فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ جَامِعاً بَيْنَهُمَا، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَحْكُمُ هَذِهِ الْبِلَادَ عَاقِلَةً غَيْرَ مُسَرِّعَةً فِي الْحُكْمِ، عِنْدَهَا تَجَارِبٌ وَاسِعَةٌ مِنْ سِيرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْفَاتِحِينَ، وَإِنَّمَا خَانَهَا عَقْلُهَا فِي مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ وَعِبَادَتِهِ فَلَمْ تَأْخُذْهَا حَمِيمَةُ الْمُلُوكِ، وَلَمْ تَسْتَبِدْ بِالرَّأْيِ، فَأَظْلَعَتْ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَتِهَا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَسَائِرُ الْكُتُبِ، إِنَّهُ كِتَابٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهَا وَمِنْ نَبِيٍّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ.

وَلَمَّا بَدَا أَرْكَانُ دُولَتِهَا يُدْلُونَ بِقُوَّتِهِمْ وَكُثْرَةِ جِيُوشِهِمْ  
 إِرْضَاءً وَتَمَلُّقاً، شَاءُ جُلَسَاءُ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فِي كُلِّ  
 زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لَمْ تَقْبِلْ مَقَاتِلَهُمْ وَلَمْ تَوَافِقُهُمْ عَلَيْهَا، بَلْ  
 حَذَرُوهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ وَدَكَرُوهُمْ بِسِيرَةِ الْمُلُوكِ  
 الْفَاتِحِينَ فِي الْأَمَمِ الْمُفْتَوَحَةِ وَمَصِيرِهَا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ  
 وَالْإِنْكِسَارِ، وَقَالَتْ: سَيَكُونُ هَذَا شَاءُ بِلَادِنَا وَأُمَّتِنَا،  
 وَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّنِي سَأَرْسِلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدَايَا وَطَرَفِ  
 قَائِمَتِهِ بِهَا، فَإِنْ قَبِيلَ الْهَدِيَّةِ فَهُوَ مَلِكُ فَقَاتِلُوهُ، وَإِنْ لَمْ  
 يَقْبِلُهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتِّبِعُوهُ.

## ١ - هَدِيَّةٌ مُسَاوَمَةٌ

وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَقِيَّ بِالْمُلُوكِ، فَلَمَّا وَصَلَتْ  
 إِلَى سُلَيْمَانَ أَغْرَضَ عَنْهَا، وَرَاهَهُ فِيهَا وَقَالَ: أَتُسَاوِي مُونَبِي  
 بِمَا لَا تُرَكُّمُ عَلَى شُرُكَكُمْ وَمُلْكِكُمْ. وَالَّذِي أَغْطَانِي اللَّهُ  
 مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالْجُنُودِ خَيْرٌ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَالْأُمْرُ جَدِّ  
 لَيْسَ بِهَزْلٍ، وَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةٌ دَعْوَةٌ وَطَاعَةٌ، لَيْسَتْ قَضِيَّةً  
 مُسَاوَمَةً، وَتَوَعَّدُهُمْ بِقَضَدِهِ لَهُمْ وَزَخْفِهِ عَلَى مُلْكِهِمْ.

## ١١ - الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاصِّيَّةً

فَلَمَّا رَجَعَتْ هَذِهِ «الْبَعْثَةُ» إِلَى مَلِكَةِ سَبَّا، وَحَكَّتْ لَهَا الْقِصَّةُ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمَهَا وَأَقْبَلَتْ تَسِيرُ إِلَيْهِ فِي جُنُودِهَا خَاصِّيَّةً، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُدُومُهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيهَا آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَنَعْمَمَهُ عَلَى سُلَيْمَانَ، فَأَرَادَ أَنْ يُحْضِرَ عَرْشَهَا الَّذِي وَكَلَّتْ بِهِ رِجَالًا أَقْوِيَاءَ أَمْنَاءَ، فَظَلَّبَ مِنْ مَلَئِهِ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشَهَا قَبْلَ وُصُولِ هَذَا الْمَوْكِبِ الْعَظِيمِ.

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَرَادَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَكَانَ مُغِرِّرًا، وَأَمَرَ بِهِ سُلَيْمَانُ فَعَيْرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ لِيَخْتَبِرَ مَعْرِفَتَهَا وَثَبَاتَهَا عِنْدَ رَؤْيَتِهِ، وَإِنَّ التَّبَسَّ عَلَيْهَا الْأَمْرُ كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُصُورِ نَظَرِهَا فِي أُمُورٍ أَدَقَّ مِنْهُ وَأَبْعَدَ مَنَاً.

## ١٢ - قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ زُجَاجٍ

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الْبَنَائِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَبَنَوْا لَهَا

قَضْرًا عَظِيمًا مِنْ زُجَاجٍ وَأَجْرَوْا تَحْتَهُ الْمَاءَ، فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَخْسِبُ أَنَّهُ مَاءٌ، وَلَكِنَّ الرُّجَاجَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَكَانَ الْمُؤْكَدُ أَنَّ الْمَلِكَةَ تَوَهَّمُهُ مَاءً فَتُكْشِفُ عَنْ سَاقِيهَا، وَهُنَالِكَ تَبَيَّنُ الْخَطَا وَتُدْرِكُ قُضُورَ نَظَرِهَا وَأَنْخِدَاعَهَا بِالْمَظَاهِرِ، وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مَظَاهِرِ النُّورِ وَالْحَيَاةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُنَالِكَ يَنْكُشِفُ الْغِطَاءَ عَنْ عَيْنِيهَا فَتَعْرِفُ أَنَّهَا كَمَا أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الرُّجَاجِ مُعَامَلَةَ الْمَاءِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا كَذَلِكَ أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الشَّمْسِ مُعَامَلَةَ الْخَالِقِ فَسَجَدَتْ لَهَا وَعَبَدَتْهَا، وَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ مِائَةِ خُطْبَةٍ وَأَلْفِ دَلِيلٍ.

### ١٣ - وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَهَكَذَا كَانَ، فَقَدْ تَوَرَّطْتُ رَغْمَ دَهَائِهَا وَذَكَائِهَا فِي هَذَا الْخَطَإِ الْفَاحِشِ، وَتَوَهَّمْتُ الرُّجَاجَةَ مَاءً رَفْرَاقاً يَسِيلُ وَيَمْوِجُ، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا، وَأَرَادْتُ أَنْ تَخُوضَهُ.

هُنَالِكَ نَبَهَهَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عَلَى خَطَّئِهَا، وَقَالَ: إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ عَنْ عَيْنِهَا، وَعَرَفَتْ جَهْلَهَا فِي قِيَاسِ الْمَظَاهِرِ عَلَى الظَّاهِرِ وَعِبَادَةِ الشَّمْسِ وَالسُّجُودِ لَهَا، وَابْتَدَرَتْ تَقُولُ: «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

#### ١٤ - القرآن يُخْكِي قِصَّةَ سُلَيْمَانَ

وَاقْرَأُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ الشَّائِقَةَ الْمُمْتَعَةَ فِي الْقُرْآنِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

«وَنَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُنْدُهُ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ﴿٢٠﴾ لَا عِذْنَةٌ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذِنْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَعَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحْاطْ بِمَا لَمْ تُحْطِ بِهِ وَجَثَثَكَ مِنْ سَبِيلٍ يَنْكِلُ بِقَيْنٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَنُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَةَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا

تُخْفَنَ وَمَا تُعْلِمُونَ ٢٥٣ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
 الْعَظِيمِ ٢٥٤ قَالَ سَنَظُرُ أَصَدَقُتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ  
 أَذْهَبْ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا  
 يَرْجِعُونَ ٢٥٥ قَاتَ يَكِيْهَا الْمَلَوْا إِنَّ الْقَوْمَ إِلَّا كِتَبٌ كَوْمٌ ٢٥٦ إِنَّهُ  
 مِنْ شَرِّيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢٥٧ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى  
 وَأَقْوَنِ مُسْلِمِيْنَ ٢٥٨ قَاتَ يَكِيْهَا الْمَلَوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتَ  
 فَاطِعَةً أَثْرَ حَتَّى تَشَهَّدُونَ ٢٥٩ قَاتَ لَنْحُنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ  
 وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرْ مَاذَا تَأْمُرِي ٢٦٠ قَاتَ إِنَّ الْمَلَوْكَ إِذَا دَخَلُوا  
 قَرِيْكَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَغْزَةً أَهْلِهَا أَذْلَهُ وَكَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ ٢٦١  
 وَإِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ يَمْرُجُ الْمُرْسَلُونَ ٢٦٢ فَلَمَّا  
 جَاءَ شَرِّيْمَنَ قَالَ أَتَمُدُونَ بِمَالٍ فَمَا عَاتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا عَاتَنِكُمْ  
 بَلْ أَنْتُ بِهَدِيَّتِكُو نَفَرْتُونَ ٢٦٣ أَنْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِسْهُمْ بِجُنُودِ لَا  
 قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَذْلَهُ وَهُمْ صَغِيفُونَ ٢٦٤ قَالَ يَكِيْهَا الْمَلَوْا  
 أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُنِي مُسْلِمِيْكَ ٢٦٥ قَالَ عِفْرِيتُ مِنْ  
 الْجِنِّ أَنَا عَائِلُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقْوَمَ مِنْ مَقَامِكَ وَلَنِي عَلَيْهِ لَقَوْيٌ أَمِينٌ  
 ٢٦٦ قَالَ الَّذِي عِنْدُهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَبِ أَنَا عَائِلُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ

إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي  
 لِيَبْلُوَنِي أَمْ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ  
 كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٦﴾ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرُ أَنْهَدِي  
 أَمْ تَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْنَكَنَا عَرْشَكِ  
 قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأُولُوْنَا الْعِلْمُ مِنْ قِبْلَهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٨﴾ وَصَدَّهَا مَا  
 كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَفَرِينَ ﴿٩﴾ قِيلَ لَهَا  
 أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حِسْبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ  
 صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي  
 وَأَسْلَمْتُ مَعَ شُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ .

وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَوَاقِفَهُ فِي الدَّعْوَةِ  
 إِلَى اللَّهِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ، وَحِكْمَتِهِ وَفَقْهِهِ وَغَيْرِهِ عَلَى دِينِهِ  
 وَعَقِيْدَتِهِ .

## ١٥ - وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

نَسَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودَ مَا لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ مُّوَحَّدٍ شَرَحَ اللَّهُ  
 صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ، فَضْلًا عَنْ نَبِيٍّ مُّرْسَلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ،

وَأَكْرَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَشَرَفَهُ بِالْخِلَافَةِ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ السُّحْرُ  
 وَالْكُفْرِ وَالْمُدَاهَنَةِ لِلشَّرِكِ وَالاِضْطِرَابِ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ  
 بِسَبَبِ أَزْوَاجِهِ، فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ فَقَالَ: «وَمَا  
 كَفَرَ شَيْمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ  
 الْتِخْرَ». وَقَالَ: «وَوَهَبْنَا لِدَاؤَدَ شَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ  
 أَوَّابٌ»  . وَقَالَ: «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لِزَلْفَنَ وَحُسْنَ مَعَابَ».



## قصة

# سَيِّدُنَا أَيُوب وَسَيِّدُنَا يُونُس

### ١ - قِصَّةُ أَيُوب نَمَطٌ آخَرٌ مِنَ الْقَصَصِ

وَقِصَّةُ أَيُوب فِي الْقُرْآنِ نَمَطٌ آخَرٌ مِنَ الْقَصَصِ، وَمَظْهَرٌ آخَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ نَعْمَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ الْمَحْبُوبِينَ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأَوْلَادٌ مَرْضِيَّةٌ، فَابْتُلِيَ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ وَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ، ثُمَّ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، يَذْكُرُ بِهِمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَفْرِدٌ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَخْنُو عَلَيْهِ، سِوَى زَوْجِهِ كَانَتْ تَقْوُمُ بِأَمْرِهِ، وَاحْتَاجَتْ أَيْضًا فَصَارَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره.

## ٢ - صَبْرُ أَيُوبَ

وَكَانَ رَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ صَابِرًا شَاكِرًا يَلْهَجُ لِسَانُهُ بِالذِّكْرِ  
وَالشُّكْرِ، لَا يَشْكُو، وَلَا يَشَعَّبُ، وَلَا يَتَذَمَّرُ، وَلَا  
يَغْضَبُ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سِنِينَ طَوَالًا.

## ٣ - مَخْنَةٌ وَمِنْحَةٌ

وَلَمَّا تَمَّ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ ابْتِلَاءٍ، وَمَا أَرَادَ بِهِ مِنْ  
تَكْمِيلٍ، وَرَفَعَ دَرَجَاتٍ، وَرَضَا بِالْقَضَاءِ، أَللَّهُمَّ الدُّعَاءُ  
الْمُسْتَجَابَ الَّذِي تَجَلَّ فِيهِ عَجْزٌ وَبُؤْسٌ، وَأَنْ لَا مَلْجَأٌ  
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَعَافَاهُ اللَّهُ  
فِي بَدْنِهِ وَأَهْلِهِ، وَرَدَ عَلَيْهِ مَالُهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ،  
فَكَانَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ  
وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى  
لِلْعَيْدِينَ . ﴾

## ٤ - قِصَّةُ يُونُسَ وَحِكْمَتُهَا

وَتَأْتِيَ قِصَّةُ يُونُسَ مَقْرُونَةً بِقِصَّةِ أَئْيُوبَ مُؤَيَّدَةً لَهَا فِي إِثْبَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلُطْفِهِ بِعِبَادَهِ وَإِغْاثَتِهِ لِهُمْ حِينَ يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ وَيَعْشَى الْيَأسُ الْقَاتِلُ وَالظَّلَامُ الْحَالِكُ، وَتَسْدُدُ جَمِيعُ الْمُنَافِذِ، فَلَا نُورٌ وَلَا هَوَاءُ، وَلَا أَمَلٌ وَلَا رَجَاءُ، يَدُورُ رَحْى الْمَوْتِ قَوِيَّةً سَرِيعَةً تَطْحَنُ حَبَّةَ الْحَيَاةِ نَاعِمَةً دَقِيقَةً.

هُنَالِكَ تَبَرُّزُ يَدُ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، الْقَوِيَّةِ الْقَاهِرَةِ، الرَّحِيمَةِ الْحَكِيمَةِ، فَتُخْرِجُ هَذَا الْإِنْسَانَ الْضَّعِيفَ مِنْ أَشْدَاقِ الْأَسْدِ الضَّارِيِّ وَالْمَوْتِ الْفَاتِكِ، فَيَخْرُجُ سَلِيمًا غَيْرَ مَخْدُوشٍ، كَامِلاً غَيْرَ مَنْقُوصٍ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي بَيْتِهِ، مَحْفُوظًا بَيْنَ أَهْلِهِ.

## ٥ - يُونُسُ بَيْنَ قَوْمِهِ

وَهَذِهِ قِصَّةُ يُونُسَ: بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ «نَيْنَوا» فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَبْوَا عَلَيْهِ، وَتَمَادُوا فِي

كُفَّرُهُمْ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مُغَاضِبًا لَهُمْ وَوَعَدَهُمْ  
بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْهُ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ  
النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ خَرَجُوا إِلَى الصَّخْرَاءِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ  
وَمَوَالِيهِمْ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأُمَمَاتِ وَأَوْلَادِهَا، ثُمَّ تَضَرَّعُوا  
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَارُوا إِلَيْهِ، وَرَغَتِ الْأَيْلُ  
وَفِضْلَانُهَا، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَشَغَتِ الْغَنَمُ  
وَسَخَالُهَا؛ فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿فَلَوْلَا كَلَّتْ قَرْيَةٌ مَأْمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنِسُ لَهَا  
مَأْمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْعَنَّاهُمْ إِلَى  
جَنَّةٍ﴾ .

## ٢ - يُؤْنِسُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ

وَأَمَّا يُؤْنِسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ فَرَكِبَ مَعَ قَوْمٍ فِي  
سَفِينَةِ، فَجَنَحَتْ بِهِمْ، وَخَافُوا أَنْ يَعْرَفُوا، فَاقْتَرَعُوا عَلَى  
رَجُلٍ يُلْقَوْنَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَحَفَّظُونَ مِنْهُ، فَوَقَعَتْ الْقُرْعَةُ عَلَى  
يُؤْنِسَ، قَاتَلُوا أَنَّ يُلْقَوْهُ، ثُمَّ أَعَادُوهَا، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا

فَأَبْوَا، ثُمَّ أَعَادُوهَا فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الظَّاهِرِينَ﴾ .

أيْ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ، فَقَامَ يُونُسُ ﷺ وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُوتًا يَشْقَى الْبِحَارَ حَتَّى جَاءَ فَالْتَّقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينةِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْحُوتِ أَنْ لَا تَأْكُلَ لَهُ لَحْمًا، وَلَا تَهْشِمَ لَهُ عَظِيمًا<sup>(١)</sup>.

## ٧ - وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءً

فَكَانَ فِي ظُلْمَةٍ بَطْنِ الْحُوتِ، فِي ظُلْمَةِ الْبَحْرِ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، ظُلْمَاتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، فَمَا أَشَدَّ الظَّلَامَ! وَمَا أَبْعَدَ السَّلَامَ، وَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ أَلْهَمَهُ اللَّهُ الْكَلْمَاتِ التِّي تُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ وَتَكْشِفُ الْكُرُبَاتِ وَتَسْتَنِذُ الرَّحْمَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَاسْمَعْ الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْغَرِيبَةَ الْفَرِيدَةَ التِّي

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره.

فِيهَا سَلْوَى لِكُلِّ بَائِسٍ مَلْهُوفٍ، وَيَائِسٌ مُضْطَرِبٌ قَدْ  
ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ،  
وَرَأَى عَيَانًا أَنْ لَا مَلْجَأً مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

﴿وَذَا الْنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ  
فَنَادَى فِي الظُّلُمَتِ أَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ فَلَسْتَ بَعْجَنَا لَهُ وَبَحِينَةٌ مِنَ الْغَيْرِ  
وَكَذَلِكَ شُحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.



## قصّةُ سَيِّدِنَا زَكَرِيَا

### ١ - دُعَاءُ زَكَرِيَا لِوَلْدِ صَالِحٍ

ولَوْنٌ آخَرُ مِنْ آلاَءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَآيَاتٍ قُدْرَتِهِ الَّتِي  
أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ، تَجَلَّ فِي دُعَاءِ زَكَرِيَا لِوَلْدِ صَالِحٍ،  
رَضِيَّ، بَرٌّ، تَقِيٌّ، يَرِثُهُ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ  
بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ حِينَ تَقَدَّمَتْ بِهِ السُّنْنُ، وَوَهَنَ  
مِنْهُ الْعَظَمُ، وَلَجَّ بِهِ الشَّيْبُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ مِنْ أَنْ تَلِدْ  
زَوْجُهُ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ وَكَذَّبَ ظُنُونَ النَّاسِ،  
وَأَبْطَلَ التَّجَارِبَ الْقَدِيمَةَ، فَرَزَقَهُ وَلَدًا رَاشِدًا، بَگَرِ بِهِ  
النُّبُغُ وَالْحِكْمَةُ، وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ، وَالْكِتَابُ فِي الصُّغَرِ،  
وَخُصُّ بِالْحَنَانِ وَالصَّالِحِ وَالتَّقْوَى وَالبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ،  
وَالرُّفَقَةِ وَلِينِ الْكَنَفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى  
قَلْبِ زَكَرِيَا، وَأَرَاهُ آيَاتٍ تَدْلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ،

وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَأَرَاهُ تَصْرُّفُهُ فِي  
خَلْقِهِ وَفِي أَعْضَاءِ جَسْمِهِ يُحَرِّكُ مَا يَشَاءُ وَيُعَطِّلُ مَا  
يَشَاءُ، وَتَحَقَّقَ لَهُ أَنَّ الْكَوْنَ كُلُّهُ بِيَدِهِ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ  
الْمَيِّتِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ.

### ٢ - نَذْرُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ

وَقَدْ نَذَرَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ مِنْ أُنْسَرَةِ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا صلوات الله عليه  
وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً تُحِبُّ اللَّهَ وَتُحِبُّ دِينَهُ أَنْهَا إِذَا  
وَلَدَتْ ذَكَرًا تَهَبُّ هَذَا الْوَلَدَ لِلَّهِ لِخِدْمَةِ دِينِهِ، وَسَأَلَتِ اللَّهَ  
أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا الْوَلَدَ وَيَنْفعَ بِهِ دِينَهُ وَعِبَادَهُ، وَأَنْ يَكُونَ  
دَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ وَإِمَامًا مِنْ أئِمَّةِ الْهُدَىِ.

### ٣ - قَالَتْ رَبُّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى

وَأَرَادَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا، وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ بِمَصْلَحَةِ عِبَادِهِ، فَإِذَا هِيَ تَلِدُ أُنْثَى، فَتَخْرُنُ لِذَلِكَ  
وَتَغْشَاها الْكَابَةَ، وَلَكِنَّ الوليدة لم تكن ككل أُنْثى، بلْ

كَانَتْ أَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ، وَأَعْلَى هِمَّةً فِي الطَّاعَاتِ  
وَالْخَيْرَاتِ مِنْ كثِيرٍ مِنَ الْفِتْيَانَ، وَإِذَا قَدِرَ اللَّهُ - لِحِكْمَةٍ  
يَعْلَمُهَا - أَنْ تَكُونُ أُنْشَى، وَالنُّبُوَّةُ لَا يَضْطَلِعُ بِأَعْبَائِهَا إِلَّا  
الرَّجَالُ، فَقَدْ قَدِرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً لِنَبِيٍّ صَالِحٍ يَكُونُ لَهُ  
شَأنٌ :

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي  
مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتِ  
رَبِّ إِنِّي وَضَعَتْهَا أُنْشَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكْرُ  
كَالْأُنْشَى وَلَيْسَ سَمِيَّتْهَا مَرِيدٌ وَلَيْسَ أُعِيدُهَا بِكَ وَذَرَتْهَا مِنَ  
الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ ﴾٤﴾ .

#### ٤ - عِنَاءُ اللَّهِ بِالْفَتَاةِ الصَّالِحةِ

وَكَانَتْ فِي كَفَالَةِ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا لِمَكَانِتِهَا مِنْهُ، وَفِي  
رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ اللَّهُ يُكَرِّمُهَا بِالْأَثْمَارِ وَالْفَوَاكِهِ  
فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَفِي غَيْرِ مَكَانِهَا، تَأْكُلُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ  
وَتَهْبُطُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ :

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا يُقْبُلُهُ حَسَنٌ وَأَنْبَتَهَا بَنَاتٌ حَسَنَاتٌ وَكَفَلَهَا

رَكِيْنَا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَكِيْنَا الْمُحَرَّابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَعْرِفُمْ أَنَّ لَكُمْ هَذَا قَاتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

٣٧

## ٥ - إِلْهَاماً مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ

وَأَللَّهُمَّ اللَّهُ زَكَرِيَا، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنَ الْعُقَلَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، أَنَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْكِرَمَ فَتَاهَ صَالِحَةً، أَخْلَصَتْ أُمُّهَا فِي النَّذْرِ بِهَا وَالدُّعَاءِ لَهَا، وَأَخْلَصَتْ هِيَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، بِفَوَاكِهِ سَابِقَةٍ لِزَمَانِهَا أَوْ مُتَأَخِّرَةٍ عَنْ أَوَانِهَا، يَقْدِرُ أَنْ يَهْبَ شَيْخًا قَدْ طَعَنَ فِي السُّنْنِ وَعَلَاهُ الشَّيْبُ، وَأَثْرَ فِيهِ الْوَهْنُ وَلَدَأْ قَدْ انْقَطَعَ مِنْهُ الرَّجَاءُ لِعُلُوِّ السُّنْنِ، وَعَقْرِ الزَّرْفَجِ، وَجَرَتِ الْعَادَةُ أَنْ لَا يُولَدَ لِرَجُلٍ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

فَجَاشَتْ نَفْسُهُ، وَعَلَتْ هِمَمَتُهُ، وَأَنْتَعَشَ الْأَمَلُ، وَقَوِيَتْ الْثَقَةُ بِالرَّبِّ، فَقَاضَ لِسَانُهُ بِدُعَاءِ أَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَتَحَرَّكَتْ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَكَانَ كُلُّهُ إِلْهَاماً مِنَ

الرَّبُّ الرَّحِيمُ، وَتَقْدِيرًا مِنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ :

»هُنَالِكَ دَعَا رَكَرِيًّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ . ﴿٣٨﴾

## ٦ - بِشَارَةُ وَلِدٍ

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْبِشَارَةُ بِوَلَدٍ صَالِحٍ قَرْبَ زَمَانٍ وِلَادَتِهِ.

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، فَطَلَبَ أَمَارَةً عَلَى إِمْكَانِهِ هَذَا الْحَدِيثُ الْكَبِيرُ وَقُرِبَ ظُهُورِهِ، فَقَالَ: «رَبِّ أَجْعَلْ لِي مَائِيَّةً قَالَ إِيَّاكَ أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا دَمَرْتُ وَأَذْكَرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيَخْ يَالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» فَالْقَادِرُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْلُبَ خَواصِ الأَشْيَاءِ، فَيَجْعَلُ اللُّسَانَ النَّاطِقَ أَبْكَمَ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِكَلِمَةٍ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُودِعَ مَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ خَواصَّ، وَالْقَوِيُّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْطِيَ .

## ٧ - آياتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ

وَظَهَرَتْ آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ فِي جِسْمِهِ ثُمَّ فِي بَيْتِهِ  
وَأَسْرَتِهِ، وَوُلِدَ يَحْيَى، فَقَرَّثْ بِهِ عَيْنَهُ، وَاشْتَدَّ بِهِ أَزْرُهُ،  
وَعَاشَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ.

وَاسْمَعُوا الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ تَارَةً فِي إِيْجَازٍ  
وَطُورًا فِي تَفْصِيلٍ، فَيَقُولُ :

﴿ وَرَكَرِيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبَّ لَا تَذَرْنِي فَرَزَداً وَأَنْتَ  
خَيْرُ الْوَرِثَيْنِ ﴾ ٦٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى  
وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ٤١ . ﴿

## ٨ - يَحْيَى يَضْطَلُّ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ

وَيُولَدُ يَحْيَى فَيَكُونُ قُرَّةً عَيْنٍ لِأَبْوَيْهِ، وَخَلِيفَةً لِوَالِدِهِ  
الْعَظِيمِ، فَيَضْطَلُّ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالَّذِينَ  
الْخَالِصُ، وَتَظَهَرُ فِيهِ آثَارُ النَّجَابَةِ مِنْ الصَّغَرِ، فَيُقْبَلُ  
عَلَى الْعِلْمِ بِشَغْفٍ وَهُوَ غُلامٌ، وَيَتَحَلَّ بِالصَّلاحِ

وَالْتَّقْوَىٰ وَهُوَ شَابٌ ، وَيَمْتَازُ عَنْ أَقْرَانِهِ فِي الْحُبُّ  
وَالْحَنَانِ ، وَالْبِرُّ بِالْأَبْوَيْنِ يُشَارُ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ بِالْبَيْنَانِ ،  
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُ :

﴿يَسِّحَّىٰ خُذِ الْكِتَبَ بِقُوَّةٍ وَءَايَتَنَاهُ الْحُكْمُ صَيِّبَا  
وَخَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكُوَّهُ وَكَانَ تَقِيًّا ١٣﴾ وَبَرًا بِوَالَّدِيهِ وَلَرَ يَكُنُ  
جَبَارًا عَصِيًّا ١٤﴾ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلُدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبَعْثَرُ  
جَيًّا ١٥﴾ .



# قصة سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام

## ١ - قصة خارقة للعادة

ويجيء دور سيدنا عيسى، وهو آخر الرسل، قبل نبينا محمد رسول الله ﷺ وهي قصة تجلت فيها إرادة الله القاهره، وقدرة الله المطلقة، وحكمه الله الدقيقة، فأمراه كلها خارق للعادة، ولادته خارقة للعادة، حارت فيها الألباب، ونسخت فيها القوانين الطبيعية، وشق الإيمان بها والتصديق لها على من آمن بالقوانين الطبيعية كإله لا يزول ولا يحول، وآمن بالتجربة، والمشاهدة، وبأحكام الطلب والطبيعة كناموس لا يتغير ولا يتبدل، وجهل قدرة الله التي أحاطت بكل شيء، وغابت على كل شيء، وإرادته

الَّتِي لَا يَحُولُ دُونَهَا شَيْءٌ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وَهَانَ هَذَا الْإِيمَانُ عَلَى مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ كَإِلَهٍ قَادِرٍ  
مُرِيدٍ، خَالِقٍ صَانِعٍ، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ  
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسِّعُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وَآمَنَ بِخَلْقِ آدَمَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ، وَمِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَآبٍ،  
وَوِلَادَةٌ مِنْ أُمٍّ مِنْ غَيْرِ آبٍ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ لِلتَّضْلِيقِ مِنْ  
وِلَادَةٍ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَآبٍ، لِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ  
مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمُثَلِّ آدَمَ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ﴾.

## ٢ - أَفْرُّ كُلُّهُ عَجَبٌ

وَأَمْرُ سَيِّدِنَا عِيسَىٰ كُلُّهُ عَجَبٌ، وَقَدْ كَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي  
عَضْرٍ بَلَغَتْ فِيهِ «يُونَانُ» أَوْجَهًا فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ  
وَالرِّياضِيَّةِ، وَكَانَتْ لِلظُّبُّ دَوْلَةً وَصَوْلَةً.

## ٣ - خُضُوع اليهود للأسباب الظاهرة

وَخَضَعَ الْيَهُودُ - وَهُمْ أَمَّةٌ كَثُرَ فِيهَا الْأَنْتِيَاءُ - لِلْعُلُومِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِمْ، وَأَشْتَهَرَ فِيهِمْ إِنْكَارُ الرَّوْحَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا، وَاغْتَادُوا أَنْ يُفَسِّرُوا كُلَّ مَا يَرَوْنَهُ تَفْسِيرًا مَادِيًّا، فَلَا وُجُودَ لِشَيْءٍ عِنْدَهُمْ وَلَا إِمْكَانَ لِحَادِثٍ إِلَّا بِالسَّبِيلِ وَالْعِلْمِ، فَكَانَتِ الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ بِهَا سَيِّدُنَا عِيسَى عِلَاجًا لِلْعَقْلِ الْمَادِيِّ الضَّيقِ، وَحَاجَةً لِلْعَصْرِ وَنِدَاءً الزَّمَانِ.

وَأَمَّنَ الْيَهُودَ فِي الْوُقُوفِ عِنْدَ الظَّاهِرِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْقُشُورِ دُونَ اللُّبَابِ، وَالشَّبُثِ بِالْمَظَاهِرِ دُونَ الْحَقِيقَةِ، وَغَلَوْا فِي تَقْدِيسِ الْعُنْصُرِ، وَالدَّمِ، وَفِي حُبِّ الْمَالِ وَالْمَادِيَةِ، وَانْهَمَكُوا فِي الْحَيَاةِ انْهَمَاكًا زَائِدًا، وَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَجَفَّتْ طَبَائِعُهُمْ، فَلَا يَرْقُونَ لِلضَّعِيفِ، وَلَا يَعْطِفُونَ عَلَى الْفَقِيرِ، وَيُعَامِلُونَ مَنْ لَا يَجْرِي فِي عُروقِهِ الدَّمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مُعَامَلَةَ الْحَيَوانَاتِ وَالْكِلَابِ أَوِ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا، وَيَخْضَعُونَ لِلْأَقْوَيَاءِ

وَالْأَغْنِيَاءِ، وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَى الصَّعَارِ الْفُقَرَاءِ، وَيَقْسُونَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَيَلِينُونَ عِنْدَ الْعَجْزِ، وَقَدْ ولَدَتْ فِيهِمْ حَيَاةُ الذُّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَاشُوهَا فِي الْحُكْمِ الرُّومَانِيِّ الَّذِي دَامَ مُدَّةً طَوِيلَةً فِي سُورِيَا وَفِلَسْطِينَ، النُّفَاقَ وَالْخُنُوعَ، وَالتَّحْيُلَ وَالدَّهَاءَ، وَاللُّجُوَّةَ إِلَى الْمُؤَامَرَةِ وَالسُّرِّيَّةِ.

#### ٤ - اسْتِخْفَافٌ وَتَمَرُّدٌ

وَوَلَدَ فِيهِمْ الْاسْتِخْفَافُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْاجْتِرَاءِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى بِالْقَتْلِ، وَالْتَّعَامِلِ بِالرَّبِّيَا، وَالْعَبَثِ بِالْتَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ، الْغِلْظَةُ وَالْجَفَافُ، وَضَعْفُ الْعَااطِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَجَرَّدُ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ حُبِّ اللَّهِ الْخَالِصِ، وَالرَّحْمَةُ عَلَى الإِنْسَانِ - مَهْمَا كَانَ أَضْلُلُهُ وَفَضْلُهُ - وَاحْتِرَامُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَكَادُوا يَنْسَوْنَ مَعَانِي الْمَوَاسِيَّةِ وَالْمُسَاوَةِ وَالْبِرِّ وَالْكَرَمِ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبُوَّاتِ وَالرِّسَالَاتِ، وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَزَخَرَتْ صُحْفُهُمْ بِأَخْبَارِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَضْبَحُوا فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا وَافَقُوا هَوَاهُمْ، وَأَيَّدُهُمْ فِي سِيرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، أَمَّا مَنْ

أَنْتَقَدُهُمْ وَحَاسِبُهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَالْحَقِّ  
الصَّرِيحِ، وَإِاضْلَاحِ الْحَالِ، عَادُوهُ وَحَارِبُوهُ، وَكَانَتْ  
عِنْدَهُمْ جَرَاءَةٌ عَلَى الْبُهْتِ وَالْأَفْتَرَاءِ، وَكِثْمَانِ الْحَقِّ،  
وَشَهَادَةِ الزُّورِ.

## ٥ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى بَنْي إِسْرَائِيلَ

وَكَانُوا أُمَّةً تَمْتَازُ عَنِ الْأُمَّمِ الْمُعَاصِرَةِ لَهُمْ، بِعَقِيلَةِ  
الْتَّوْحِيدِ، وَذَلِكَ سِرُّ تَفْضِيلِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ حِينَئِذٍ، وَقَدْ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي أَلَّيْ أَنْعَثُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلَّتْكُمْ  
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

## ٦ - نُخْرَانُ لِلْجَمِيلِ

وَلِكِنْ تَسَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ بِحُكْمِ الْاِخْتِلاَطِ وَمُجاوِرَةِ  
الشُّعُوبِ الْمُشْرِكَةِ الْوَثَنِيَّةِ، وَبِطُولِ الْعَهْدِ بِتَعَالِيمِ  
الْأَنْبِيَاءِ، عَقَائِدُ زَائِفَةٍ، وَعَادَاتُ جَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ عَبَدُوا  
الْعِجْلَ فِي مِصْرَ، وَبَالْغُوا فِي تَقْدِيسِ عُزَيْرٍ وَتَعْظِيمِهِ،

حَتَّى تَخْطُلُوا بِهِ حُدُودَ الْبَشَرِيَّةِ، وَبَلَغَتْ بِهِمُ الْوَقَاحَةُ إِلَى أَنْ نَسْبُوا بَعْضَ أَعْمَالِ الشَّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ، وَأَعْمَالَ السُّخْرِيَّةِ وَالْكُفْرِ، وَالْأَفْعَالِ الشَّنِيعَةِ، إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يَتَقُوَ اللَّهُ فِيهِمْ.

## ٧ - زَهْوٌ وَإِذْلَالٌ

وَكَانُوا رَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ شَدِيدِيَ الْإِذْلَالِ بِالنَّسَبِ، شَدِيدِي الْاِغْتِمَادِ عَلَى الْأَمَانِيِّ وَالْأَخْلَامِ، يَقُولُونَ: «نَحْنُ أَبْنَئُوا اللَّهَ وَأَجْبَرْنَاهُ»، وَيَقُولُونَ: «لَنْ تَمَسَّنَا الشَّارِيَةُ إِلَّا أَتَيْنَا مَغْدُودَةً».

## ٨ - ولادةُ الْمَسِيحِ تَحْدِي الْمَحْسُوسَ الْمَعْرُوفَ

وَكَانَتْ ولادةُ الْمَسِيحِ وَحْيَاتُهُ وَدَعْوَتُهُ وَمَعِيشَتُهُ تَحْدِيًّا لِكُلِّ ذَلِكَ، تَحْدِيًّا لِلْمَحْسُوسِ الْمُقَرَّرِ، تَحْدِيًّا لِلْأَغْرَافِ الشَّائِعَةِ، وَالْعَادَاتِ الْمُتَّبَعَةِ، وَالْقَوَانِينِ الْمَرْسُومَةِ، وَالْمُثُلُ الْعُلَيَا الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا الْيَهُودُ، وَالْغَایَاتِ الَّتِي

يَتَنَافَّسُونَ فِيهَا ، وَيَسْقَاتُونَ عَلَيْهَا ، فَوُلِدَ مِنْ طَرِيقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ ، وَكَلَمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، وَنَشَأَ فِي أَخْضَانِ أُمٌّ فَقِيرَةٌ مُتَبَّلَّةٌ ، وَعَاشَ فِي جَوَّ مَلِيءٍ بِالظُّغْنِ وَالْقَدْحِ ، بَعِيدٌ عَنْ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ وَالْغِنَى ، يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ ، وَيُؤَاكِلُهُمْ وَيَحْنُو عَلَيْهِمْ ، وَيُوَاسِي الْضُّعَفَاءَ وَالْغُرَبَاءَ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ فَقِيرٍ وَغَنِيٍّ ، وَحَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ ، وَشَرِيفٍ وَوَاضِيعٍ .

## ٩ - مَفْجَزَاتُ الْمَسِيحِ

وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ ، وَآتَاهُ الْإِنْجِيلَ ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ ، وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، يَشْفِي اللَّهُ بِهِ الْمَرْضَى الَّذِينَ عَجِزَ عَنْ مُدَاوَاتِهِمُ الْأَطْبَاءُ ، وَيُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَخْلُقُ لِلنَّاسِ مِنَ الطَّينِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيُنْبِئُ بِمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ وَيَدْخُرُونَهُ فِي بُيوْتِهِمْ .

فَيُعِيدُ بِكُلِّ ذَلِكَ الشَّفَةَ بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ خَبَرِ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ ، وَأَخْبَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَقُوَّةِ الإِرَادَةِ

الرَّبَّانِيَّةِ، فَقَرَرُوا أَنْ لَا جَدِيدَ وَأَنْ لَا مَزِيدَ فِيمَا عَلِمُوا  
وَشَاهَدُوهُ.

## ١٠ - دَعْوَتُهُ إِلَى الدِّينِ وَتَخْذِيَّهُ الْيَهُودَ

وَكَذَّبَ الْيَهُودَ فِي كَثِيرٍ مِّمَّا تَحْتَلُوهُ وَغَلَوْا فِيهِ،  
وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ، وَأَحْلَوْا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، فَقَامَ  
يَدْعُوْهُمْ إِلَى رُوحِ الدِّينِ وَلُبَابِهِ، وَأَضْلَلَهُ وَحَقِيقَتِهِ،  
وَالْحُبُّ لِلَّهِ حُبًا يَغْلِبُ عَلَى كُلِّ حُبٍّ، وَالرَّحْمَةُ عَلَى  
الإِنْسَانِيَّةِ وَاحْتِرامِهَا، وَالْمُواسَاةُ لِلْفُقَرَاءِ، وَيَدْعُوْهُمْ إِلَى  
الْتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَرَفَضَ كُلًّا مَا دَخَلَ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ  
مِنْ عَادَاتِ جَاهِلِيَّةِ، وَعَقَائِدَ باطِلَةِ.

## ١١ - الْيَهُودَ يَنْصُبُونَ لَهُ الْحَرْبَ

وَشَقَ كُلَّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ،  
وَرَمَوْهُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَرَشَقُوهُ بِالتُّهَمِ وَالْقَذَافِ،  
وَتَنَاوَلُوهُ بِالسَّبِّ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ الْبَذِيءِ، وَتَنَاوَلُوا أُمَّهُ  
مَرِيمَ الْبَتُولَ بِالْقَذْفِ وَالْطَّعْنِ، وَعَاكَسُوهُ وَطَارَدُوهُ،

وَأَهَا جُوا لَهُ الْأَوْبَاشَ، وَسَدُوا فِي وَجْهِهِ الطَّرَقَ.

## ١٢ - قِصَّةُ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ

ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَالتَّخْلُصَ مِنْهُ، فَحَمَاهُ اللَّهُ وَرَدَّ كُيَّدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ، اقْرَؤُوا قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلِائِكَةُ يَمْرِئُمْ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّتِ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسِكْ بِشَرٌّ قَالَ حَذَّرَكِ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾٤٧﴾ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالثَّوْرَةُ وَالْإِنجِيلُ ﴾٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقَ لَكُمْ مِنْ أَطْلَبِنِي كَهْنَةً أَطْلَبِرِ فَانْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَبْرِزِهِ أَكْتَمَهُ وَالْأَبْرَصَ وَأَخْبِرِ الْمَوْتَى يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَنْتُكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ وَمَا تَدْعَرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لَكُمْ إِنْ كُثُرَ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الثَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلَ

لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحَشِّنُكُمْ بِشَايَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا  
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا أَحَسَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفَّارَ قَالَ  
 مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْعَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ عَامِنَا  
 بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِإِنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٨﴾ رَبَّنَا عَامِنَا بِمَا أَزَّنَا  
 وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَكَرُوا  
 وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكَارِينَ ﴿٦٠﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى إِلَيْ  
 مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمَظْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعَلَ  
 الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ  
 مَرْجِعُكُمْ فَأَخْتِمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٦١﴾ فَإِنَّمَا  
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا  
 لَهُمْ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٦٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ فَيُؤْفَيُهُمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُ الظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَ  
 نَتْلُوُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرُ الْعَكِيرُ ﴿٦٤﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى  
 عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِدَمَ خَلَقَهُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ كُنْ فَيَكُونُونَ  
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٥﴾

## ١٣ - سِيرَتُهُ وَدَعْوَتُهُ فِي الْقُرْآنِ

وَأَفْرَوْا وَصْفَهُ تَعَالَى لِسِيرَتِهِ وَدَعْوَتِهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، مَا أَتَنِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نِيَّا ﴾ ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَّا كَمَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكُورَةِ مَا دُمْتُ حَيَّا ﴾ ﴿ وَبَرَّا بِوَالدَّيْنِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَهَارًا شَفِيَّا ﴾ ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمِ يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمْوَتُ وَيَوْمَ أُبَعْثَثُ حَيًّا ﴾ .﴾

## ١٤ - صِرَاطٌ قَدِيمٌ

وَوَقَعَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، فَابْتَعدَ عَنْهُ الرُّؤْسَاءُ وَالرُّعَمَاءُ، وَهَجَرَهُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ، وَرَأَوْا فِي الإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ غَضَاضَةً وَعَيْباً، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ التَّنَازُلُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ رِيَاسَةٍ وَزَعَامَةٍ وَامْتِيازٍ وَسِيَادَةٍ، وَصَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا يَمْكُرُونَ أَرْسَلْنَا لَهُمْ كَفِرُونَ ﴾ ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ .﴾

## ١٥ - إِيمَانُ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقَرَائِهِمْ

وَلَمَّا يَئِسَ عِيسَى مِنْهُمْ، وَشَاهَدَ فِيهِمُ الْعِنَادَ وَالْكُفْرَ،  
وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ جَحَدُوا بِمَا جَاءَهُ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ،  
وَمُعْجِزَاتٍ باهِرَاتٍ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ، وَاسْتَضْغَرُوهُ لِأَنَّهُ  
لَمْ يَكُنْ صَاحِبٌ حَوْلٍ وَطَوْلٍ، أَقْبَلَ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ  
وَفُقَرَائِهِمْ، وَقَدْ لَانَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَفَتْ نُفُوسُهُمْ، لِأَنَّهُمْ  
يَأْكُلُونَ بِكَدْ يَمِينِهِمْ وَعَرَقِ جَيْنِهِمْ، لَا يَتَفَاخَرُونَ بِنَسَبٍ،  
وَلَا يَتَطَاوَلُونَ بِجَاهٍ وَمَنْصِبٍ، فَامْتَثِ مِنْهُمْ طَائِفَةً، فِيهَا  
الْقَصَارُونَ، وِفِيهَا صَيَادُ الْأَسْمَاكِ، وِفِيهَا أَهْلُ الْحِرَفِ  
وَالْمِهَنِ.

## ١٦ - نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ

فَامْنُوا بِالْمَسِيحِ وَالْتَّفُوا حَوْلَهُ، وَوَضَعُوا أَيْدِيهِمْ فِي  
يَدِيهِ وَقَالُوا: «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ». يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي  
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ عَامَّا بِاللَّهِ وَأَشَهَدُ

إِنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥﴾ رَبَّنَا يَامَنَا بِسْمَ أَنْزَلْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ  
فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴿٦﴾ .

## ١٧ - سِيَاحَةٌ وَدُغْوَةٌ

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ فِي السِّيَاحَةِ، وَالاِنْتِقالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، يَدْعُو بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى اللَّهِ وَيَهْدِي خِرَافَهُمُ الضَّالَّةَ إِلَى رَبِّهَا وَسَيِّدِهَا وَيَتَفَقَّلُ لَهُ فِي هَذِهِ الْجَوَلَاتِ وَالرُّحْلَاتِ الْيُسْرُ وَالْعُسْرُ، وَالضَّيقُ وَالرَّخَاءُ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ صَابِرًا، وَيَقْبَلُ هَذَا شَاكِرًا، وَيَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ، وَيَجْتَزِئُ بِمَا يَسُدُّ الرَّمَقَ .

## ١٨ - الْحَوَارِيُّونَ يَطْلُبُونَ

مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

أَمَا الْحَوَارِيُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا يَمْتَزِلُونَ مِنَ الصَّبْرِ وَالْجَلَدِ وَالتَّقْشِفِ وَالرَّهَادَةِ، وَأَصَابَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَطَلَبُوا مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُنْزِلَ لَهُمْ مَائِدَةً مِنْ

السَّمَاءِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْبَعُونَ بَعْدَ جُوعٍ وَيَنْعَمُونَ بَعْدَ  
عَنَاءٍ.

### ١٩ - سُوءُ أَدْبٍ

وَلَمْ يَكُونُوا مُتَأْدِينَ فِي سُؤَالِهِمْ؛ فَقَالُوا: «هَلْ  
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَا يَدْعُونَا مِنَ السَّمَاءِ» . وَلَمْ  
يُغْرِبْ عِيسَى سُؤَالَهُمْ، وَكَرِهَ الْأَسْلُوبُ الَّذِي خَاطَبُوهُ  
بِهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا يُطَالِبُونَ أَمْمَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ،  
وَيُكَلِّفُونَهَا إِيَاهُ، وَلَيْسَتِ الْمُغْرِزَاتُ مَخَارِيقَ يَسْلُو بِهَا  
الْأَطْفَالُ وَيَلْهُو بِهَا الْأَغْمَارُ، إِنَّمَا هِيَ آيَاتٌ مِنَ اللَّهِ  
يُظْهِرُهَا عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ حِينَ يَشَاءُ، وَتَقْوُمُ بِهَا حُجَّةُ اللَّهِ  
عَلَى الْعِبَادِ، فَلَا يُمْهَلُونَ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَإِنْكَارِهَا.

### ٢٠ - تَحْذِيرٌ قَوْمِهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ

لِذَلِكَ خافَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِمْ، وَحَذَرَهُمْ مِنْ سُوءِ  
الْعَاقِبَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ امْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ أَعْلَى  
وَأَجْلُ مِنْ ذَلِكَ.

## ٢١ - إِلْحَاجُ وَإِضْرَارٌ

وَلَكِنَّ الْحَوَارِيْنَ تَشَبَّهُوا بِسُؤالِهِمْ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ جَادُونَ فِي هَذَا السُّؤَالِ، لَا يَقْصِدُونَ امْتِحَانًا إِنَّمَا يُرِيدُونَ اطْمِئْنَانًا، وَلَيَكُونَ ذَلِكَ ذِكْرًا لِلأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ، وَقِصَّةً تُخَكِّي وَتُرْوَى عَلَى مَرْأَتِيْمَ، فَتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ هَذَا الدِّينِ، وَمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ الْأَوَّلِيْنَ وَالْحَوَارِيْنَ الصَّادِقِيْنَ.

## ٢٢ - الْقُرْآنُ يَخْكِي الْقِصَّةَ

وَدَعُوا الْقُرْآنَ يَخْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوَى اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾ قَالُوا رُبِّنَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْعَمَنَّ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِيْنَ ﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيَداً لِأَوْلَانَا وَمَا خِرْنَا وَمَا يَأْتِيَنَا مِنْكَ وَأَرْزَقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ ﴾ قَالَ

الله إِنِّي مُتَرَلِّهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرُ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنَّمَا أَعْذِبُهُ عَذَابًا  
لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْمُلْكِيْنَ . (١٥)

## ٢٣ - اليهود يخاولون التخلص من سيدنا عيسى

وَعِيلَ صَبْرُ الْيَهُودِ، وَفَاضَتْ كَأْسُ عِدَائِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،  
فَأَرَادُوا التَّخْلُصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى، فَرَفَعُوا قَضِيَّتَهُ إِلَى  
الْحَاكِمِ الرُّومِيِّ وَقَالُوا: إِنَّهُ رَجُلٌ شَائِرٌ فَوْضَوِيٌّ، مَرَقٌ  
مِنْ دِينِنَا، وَاسْتَهْوَى شَبَابِنَا، فَفُتِنُوا بِهِ، وَفَرَقَ أَمْرَنَا،  
وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا وَشَغَلَ بَالَّنَا.

## ٤٤ - أسلوب الناقمين والسياسيين

وَهُوَ خَطَرٌ عَلَى الدُّولَةِ، لَا يُخْضَعُ لِنِظامِ، وَلَا يَتَقَيَّدُ  
بِقَانُونِ، وَلَا يُعَظِّمُ عَظِيمًا، وَلَا يُقَدِّسُ قَدِيمًا، وَهُوَ  
رَجُلٌ ثَورِيٌّ، إِذَا لَمْ يُكْفَ شَرُهُ فَإِنَّهُ يَتَفَاقَمُ، وَلَا تُسْتَضْعِرُ  
الشَّرَارَةُ مَهْمَا كَانَتْ تَافِهَةُ.

## ٢٥ - مَكْرُّ وَدَهَاءُ

وَكَانَ كَلَامًا مَمْلُوءًا بِالْمَكْرُّ وَالْدَهَاءِ، مَضْبُوغًا  
بِالصِّبْغَةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْجَانِبَ الدِّينِيَّ لَا  
يُشِيرُ إِلَى الْحُكَامَ وَلَا يُهِيجُهُمْ، فَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ أَنْ لَا  
يَتَدَخَّلُوا فِي أُمُورِ الْيَهُودِ الدِّينِيَّةِ، وَلِذَلِكَ خَلَطُوا الْكَلَامَ  
بِالسِّيَاسَةِ.

## ٢٦ - مُشْكِلَةُ

وَكَانَ مِنَ الصَّعِيبِ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْحُكَامُ الْأَجَانِبُ  
الْمُشْرِكُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، وَيَعْرِفُوا أَغْرَاضَ الْيَهُودِ،  
وَسَبَبَ عِدَائِهِمْ لِلنَّمِيسِيجِ، وَكَانُوا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ  
ذَلِكَ بِالْأُمُورِ الإِدَارِيَّةِ، وَلَكِنَّ اشْتَدَّ إِلَحَاحُ الْيَهُودِ، وَطَالَ  
تَرْدِهِمْ إِلَيْهِمْ، فَأَرَادُوا التَّخَلُّصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي  
أَضْبَحَتْ حَدِيثَ الْبَلَدِ.

## ٢٧ - سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ فِي الْمَحْكَمَةِ

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ العَصْرِ لَيْلَةِ السَّبْتِ،

وَكَانَ الْيَهُودَ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئاً يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ يَوْمَ عُظُلَةً وَكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ، فَكَانُوا حَرِيصِينَ كُلَّ الْحَرْصِ عَلَى أَنْ يَضْلُرَ الْحُكْمُ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ شَمْسُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيَسْتَرِيْحُوا مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَيَنَامُوا هادِئِي الْبَالِ، وَيُصْبِحُوا نَاعِمِي الْبَالِ لَا يُرْعِجُهُمْ شَيْءٌ.

وَقَدْ ضَاقَ الْحَاكِمُ بِالْقَضِيَّةِ ذِرْعاً، وَلَيْسَتْ لَهُ فِيهَا رَغْبَةٌ، وَلَا لِأَمْمَتِهِ فِيهَا مَضْلَاحَةٌ، وَقَدْ اخْتَشَدَ الْيَهُودُ لِسَمَاعِ الْحُكْمِ، وَهُمْ بَيْنَ صَائِحٍ وَهَاتِفٍ، وَمُتَنَذِّرٍ وَمُتَهَكِّمٍ، وَالْحَاكِمُ مُتَضَايِقٌ وَالْوَقْتُ قَصِيرٌ، وَالشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، فَأَضْدَرَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ صَلْبًا.

## ٢٨ - القَانُونُ الْجِنَائِيُّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَكَانَ الْقَانُونُ الْجِنَائِيُّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ يُوجِبُ أَنْ يَحْمِلَ الْمُحْكُومُ عَلَيْهِ بِالشَّتْقِ صَلِيلَةً الَّذِي يُضْلَبُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْمَشْتَقُ بَعِيداً كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْبِلَادِ الْمُتَمَدِّنَةِ، وَكَانَ الْجَمْعُ حَاشِداً يَتَسَاقَطُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَكَانَ

رِجَالُ الشُّرُطَةِ - وَأَكْثَرُهُم مِنَ الْأَجَانِبِ - مَأْمُورِينَ مُؤَظَّفِينَ  
لَا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَشْبَاهًا  
عِنْدَهُمْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ، فَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمْ، شَاءَ  
الْأَجَانِبُ فِي نَظَرِ الْأَجَانِبِ، وَكَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً قَدْ مَدَ  
الظَّلَامُ رِوَاقَهُ، وَكَانَ بَعْضُ الْيَهُودِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ السُّفَهَاءِ  
مِنَ الشَّبَابِ يَنْهَا اللَّوْنَ عَلَى السَّيِّدِ الْمُسِيحِ، وَيَتَدَافَعُونَ  
عَلَيْهِ، يَسْبُونَهُ، وَيُعَيِّرُونَهُ، وَيُرِيدُونَ إِيذَاءَهُ وَإِهَانَتَهُ.

### ٤٩ - عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَذَى

وَكَانَ السَّيِّدُ الْمُسِيحُ لَا غَيْرًا، قَدْ أَضْنَاهُ الْجَهْدُ، وَطُولُ  
الْوُقُوفِ فِي الْمَحْكَمَةِ وَتَحْمُلُ الْأَذَى، وَكَانَ الصَّلِيبُ  
ثَقِيلًا، وَقَدْ كُلُّفَ حَمْلَهُ، فَكَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْرَعَ فِي  
الْمَسْيِ.

### ٥٠ - تَذَبَّرْ إِلَهِي

وَهُنَا أَمْرَ الشُّرُطِيِّ الْمُوَكَّلُ بِهِ شَابًا إِسْرَائِيلِيًّا يَحْمِلُ  
الْعُودَ، وَكَانَ أَشَدَّ زُمَلَائِهِ حَمَاسَةً وَأَكْبَرَهُمْ سَفَاهَةً،

وآخر صفهم على إيداء السيد المسيح ومبادرته إليه، حتى ينتهي الأمر سريعاً، ويختلص من هذه المسؤولية المرهقة.

## ٢١ - ولكن شبهة لهم

وهكذا وصل المؤكب إلى باب المشنق، فتقدّم شرطة المشنق، وتسلّموا الأمر من الشرطة المدنيين، ورأوا الشاب يحمل الصليب، واحتلّط الحايل بالنابل، وكثُر الضّريح، فأخذوا ييد الشاب الحامل للصليب، وهم لا يشكّون في أنه هو المحكوم عليه بالصلب، وهو يصيح، ويضيق، ويعلن براءته وأنه لا شأن له بالحكم والصلب، وإنما كلف حمل العود سخرة وظلماً، وشرطة المشنق لا يلتقطون إلى ذلك، ولا يفهمون لغته، لأنّهم من الروم واليونان الأمة الحاكمة.

## ٢٢ - تنفيذ حكم

وكل مجرم يتناصل من جريمته، وكل مجرم له صياغ

وَعَوِيلٌ، وَأَخْذُوهُ وَنَفَّذُوا فِيهِ الْحُكْمَ، وَالْيَهُودُ وَاقْفُونَ  
عَلَى بُعْدِ، وَالدُّنْيَا لَيْلٌ وَظَلَامٌ، وَهُمْ يَظْنُونَ كُلَّ الظُّنُنِ أَنَّ  
الْمُضْلُوبَ هُوَ الْمَسِيحُ<sup>(١)</sup>.

### ٣٣ - رَفْعُ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ

أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَقَدْ نَجَاهَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ  
كَيْدِ الْيَهُودِ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مُكَرَّمًا مُظَهِّرًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

### ٣٤ - الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِصَّةِ

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْيَهُودِ:

﴿وَيَكْفِرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيمَ بِهَتَّنَا عَظِيمًا ﴽ٦٦﴾ وَقَوْلِهِمْ  
إِنَّا قَاتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ  
وَلَكِنْ شَيْءَ لَهُمْ وَلَئِنْ الَّذِينَ أَخْنَلُوكُمْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ

(١) استندنا في تفاصيل هذه القصة والملابسات والأجزاء التي أحاطت بها إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التي ظهرت ودونت في العصر الأخير.

مِنْ عَلَيْهِ إِلَّا لِتَكُوْنَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٦﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٧﴾ .

وَهُوَ فِي السَّمَاءِ كَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ الْقَادِرُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ كَانَتْ وِلَادَتُهُ عَجَبًا، وَحَيَاةُهُ،  
وَأَمْرُهُ... مِنْ أَوْلَهُ إِلَى آخِرِهِ عَجَبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مُثِبٌ  
لِلْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ.

### ٣٥ - نُزُولُ عِيسَى قَبْلَ الْقِيَامَةِ

وَسَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ يُرِيدُهُ اللَّهُ، وَيُقْيِسُ الْحُجَّةَ  
عَلَى مَنْ فَرَّطُوا فِيهِ وَأَفْرَطُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،  
وَيَنْصُرُ الْحَقَّ، وَيَكْبُتُ أَهْلَ الْبَاطِلِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ  
نَبِيُّنَا ﷺ وَوَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَالْأَحَادِيثُ  
الْمُتَوَاتِرَةُ، وَاعْتَقَدَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ عَضْرٍ،  
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ.

﴿وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيَؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ .

## ٣٦ - بِشَارَتُهُ بِبَعْثَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ ﷺ

وَلَمْ يُكُمِّلْ سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ مُهِمَّتَهُ فِي الدَّعْوَةِ لِشِدَّةِ  
مُحَارَبَةِ الْيَهُودِ وَكَيْدِهِمْ لَهُ، وَضَعْفِهِ وَقَلَّةِ أَنْصَارِهِ،  
فَوَدَعَ النَّاسَ، وَامْتَلَأَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَبَشَّرَ النَّاسَ بِرَسُولٍ  
يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ يُكَمِّلُ مَا بَدَأَهُ، وَيُعَمِّمُ مَا خَصَّصَهُ،  
وَرَبِّهِ تَتَمَّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَتَقُومُ حُجَّتُهُ عَلَى  
خَلْقِهِ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِنِّي  
مُصَدِّقاً لِمَا يَبْيَنُ يَدَى مِنَ الْكُورْنَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَاهُ  
أَخْمَدُهُ﴾.

## ٣٧ - مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى عَقِيَّةِ غَامِضَةٍ

وَمِنْ غَرَائِبِ تَارِيخِ الْأَدِيَانِ، وَمِمَّا تَذَمَّعَ لَهُ الْعُيُونُ،  
وَتَذُوبُ لَهُ الْقُلُوبُ، أَنَّهُ تَحَوَّلَتْ دَعْوَةُ الْمَسِيحِ مِنَ  
التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَالَّذِينَ السَّهْلِ السَّائِغِ، الْبَعِيدُونَ عَنْ

كُلّ غُمُوضٍ وَتَعْقِيدٍ، وَتَحْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ بَعِيدٍ، وَالدَّعْوَةُ  
إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَالسُّؤالُ مِنْهُ، وَالاِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ،  
وَحُبُّهُ الْخَالِصُ، إِلَى عَقِيَّدَةِ غَامِضَةٍ، وَفَلْسَفَةٍ مُعَقَّدةٍ،  
فَغَلَّا فِيهِ أَتْبَاعُهُ، وَأَطْرَوْهُ إِظْرَاءً خَرَجَ بِهِ مِنْ حُدُودِ  
الْبَشَرِيَّةِ إِلَى حُدُودِ الْأَلْوَهِيَّةِ، فَقَالُوا: «الْمَسِيحُ ابْنُ  
اللَّهِ». وَقَالُوا: «أَنْخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» وَقَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» وَجَعَلُوا مِنَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ  
الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، أُسْرَةً مُؤَلَّفَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْصَاءٍ،  
كُلُّهُمْ إِلَهٌ، فَقَالُوا: الْأَبُّ وَالابْنُ وَرُوحُ الْقُدْسِ،  
وَاغْتَدُوا فِي مَرِيمَ أُمِّ الْمَسِيحِ وَعَامَلُوهَا بِمَا يَيْلُغُ بِهَا إِلَى  
دَرَجَةِ التَّقْدِيسِ وَالْعِبَادَةِ، فَقَالُوا: «أُمُّ اللَّهِ» وَشَاعَتْ لَهَا  
تَمَاثِيلٌ وَصُورٌ فِي الْكَنَائِسِ، يَخْضُعُ لَهَا النَّصَارَى  
بِاللُّجُوعِ وَالدُّعَاءِ، وَالنَّذْرِ وَالاِنْجِنَاءِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى  
مُنْكِرًا مَا اغْتَدُوا، مُسْتَبِشًا مَا فَعَلُوا.

»مَا مَسِيحُ ابْنِ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِ  
الرَّسُولُ وَأَمْمَهُ صِدِيقَةٌ كَانَ يَأْكُلُانِ الظَّعَامُ أَنْظَرْ

كَيْفَ نُبَيِّن لَهُمُ الْأَيْتَنِيَتُ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّ يُوقَنُونَ  
 ٧٥ قُلْ أَقْبَدُوْنَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ لَكُمْ ضَرًّا  
 وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧٦

### ٣٨ - عِيسَى يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ

وَقَدْ دَعَا كَعَيْرِ وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ،  
 فَجَاءَهُ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِنْجِيلِ :

«مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مَتَّى ٤ : ١٠) وَقَوْلُهُ : «مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ وَلَهُ وَحْدَهُ  
 تَعْبُدُ» (لُوقَاء٤ : ٨).

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

هُوَمَا كَانَ لِبِشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثِّبَوَةَ  
 ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوْنُوا  
 رَبِّنِيْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٧  
 وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَعَذُّذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيْنَ أَزْبَابًا أَيَّامَكُمْ يَا أَكُفَّارُ  
 بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٧٨

## ٣٩ - القرآن يصرخ بدعوة عيسى

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْآنُ - وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُصَدِّقُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَالْمَهِيمِنُ عَلَيْهِ - مِنْ إِعْلَانِ سَيِّدِنَا عِيسَى بِالتَّوْحِيدِ  
الْخَالِصِ وَالدَّغْوَةِ إِلَيْهِ، فِي أَسْلُوبٍ صَرِيعٍ وَاضِحٍ لَا  
مَزِيدٌ عَلَيْهِ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ  
مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَسُرِّي إِنِّي شَرِيكٌ لِإِشْرَاعِ  
أَعْبُدُهُمْ أَنَّمَا يُبَدِّلُ حَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ الظَّارِفُونَ  
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

## ٤٠ - منزلة التوحيد في دعوته

وَقَالَ فِي أَسْلُوبٍ جَمِيلٍ بَلِيجٍ يَتَذَوَّقُهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَ  
مَنْزِلَةَ التَّوْحِيدِ وَسِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَا طَبِعُوا  
عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالخُضُوعِ لَهُ، وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ:  
﴿لَئِنْ يَسْتَكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا  
الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ وَمَنْ يَسْتَكِفْ عَنِ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِفُ

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧﴾ فَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّيهُمْ أُجُورُهُمْ وَرَبِّيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَمَا الَّذِينَ  
أَسْتَكْفَرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِئَلَّا نَصِيرًا ﴿١٨﴾

#### ٤٤ - مَشْهَدٌ رَائِعٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ صَوَرَ الْقُرْآنُ فِي بَلَاغَتِهِ وَأَعْجَازِهِ مَشْهَدًا مِنْ  
مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ الرَّائِعَةِ يَتَبَرَّأُ فِيهِ سَيِّدُنَا عِيسَى عَمَّا تَقَوَّلَهُ  
النَّاسُ فِيهِ، وَعَامَلُوهُ بِهِ، وَيُوَضِّحُ دَغْوَتُهُ فِي قُوَّةٍ  
وَصِدْقٍ، وَيُدِينُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْعُلَامَاءَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَنَّهُمْ  
هُمُ الْمَسْؤُلُونَ وَخَدْهُمْ عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ، افْرَوْا  
الْقُرْآنُ، وَاسْتَشْعِرُوا جَلَالَ الْمَوْقِفِ وَرَوْعَةَ الْمَشْهَدِ:  
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مُرْسَى أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْدُونِي  
وَأَنَّى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ  
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي  
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْوَبِ ﴿١٩﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ

إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا  
 مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ إِنْ تُعْذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ  
 فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ  
 صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٩﴾ إِلَهٌ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ .

## ٤٢ - مِنْ عَقِيَّدَةِ غَامِضَةٍ

### إِلَى وَثْنِيَّةِ سَافِرَةٍ

وَأَنْتَكُلَّ دُعَاءً الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى أُورُبِيا بِدَايَعٍ مِنْ عِنْدِهِمْ<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ شَاعَتْ فِيهَا الْوَثْنِيَّةُ السَّافِرَةُ مِنْ زَمَانٍ، وَغَاصَتْ فِيهَا  
 إِلَى الأَذْقَانِ، فَكَانَ الْيُونَانُ وَثَنَيِّينَ، وَقَدْ تَصَوَّرُوا  
 صِفَاتِ اللَّهِ فِي شَكْلِ الْهَمَةِ شَتَّى، نَحْتُوا لَهَا تَمَاثِيلَ

(١) لأن المسيح لم يأمرهم بذلك، وقد صرّح بأنه أرسل لخراف إسرائيل الضالة.

وَبَنَوا لَهَا مَعَابِدَ وَهَيَاكِلَّ، فَلِلرَّزْقِ إِلَهٌ، وَلِلرَّحْمَةِ إِلَهٌ،  
وَلِلْقَهْرِ إِلَهٌ، وَكَانَتْ رُومِيَّةٌ عَرِيقَةٌ فِي الْوَثَنِيَّةِ وَالْتَّمَسُكِ  
بِالْخُرَافَاتِ، وَقَدْ امْتَرَجَتْ الْوَثَنِيَّةُ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا،  
وَجَرَتْ مِنْهَا مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ.

وَكَانَ الرُّومَانُ يَعْبُدُونَ إِلَهَةَ شَتِّيَّ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ  
النَّصْرَانِيَّةُ، وَتَنَصَّرَ قَسْطَنْطِينُ الْكَبِيرُ سَنَةُ ٣٠٦ وَاحْتَضَنَ  
الدِّينَ الْجَدِيدَ، وَتَبَنَّاهُ وَجَعَلَهُ دِينَ الدُّولَةِ الرَّسْمِيِّ، بَدَأَتْ  
النَّصْرَانِيَّةُ تَأْخُذُ الشَّئْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْوَثَنِيَّةِ وَالْتَّقَالِيدِ  
الرُّومِيَّةِ، وَالْفَلْسَفَةِ اليُونَانِيَّةِ، وَتَدَنُّوا إِلَيْهَا رُؤَيْدًا رُؤَيْدًا،  
وَصَارَتْ تَفْقِدُ أَصَالَتَهَا النَّبِيَّةِ، وَبَسَاطَتْهَا الشَّرْقِيَّةِ،  
وَحَمَاسَاتِهَا التَّوْحِيدِيَّةِ، وَدَخَلَ فِيهَا بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ،  
فَطَعَّمُوهَا بِعَقَائِدِهِمُ الْقَدِيمَةِ، وَذَوْقِهِمُ الْوَثَنِيِّ، وَنَشَأَ مِنْ  
ذَلِكَ دِينٌ جَدِيدٌ، تَتَجَلَّ فِيهِ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْوَثَنِيَّةُ سَوَاءً  
بِسَوَاءٍ.

وَكَذِلِكَ سَارَتِ النَّصْرَانِيَّةُ الزَّاجِفَةُ الْفَاتِحَةُ عَلَى دَرْبِ  
غَيْرِ الدَّرْبِ الَّذِي سَلَكَ الْمَسِيحُ بِهَا عَلَيْهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ،

وَكَانَتْ كَسَالِكٍ طَرِيقٌ يَضْلُّ عَنِ الظَّرِيقِ - عَنْ قَصْدٍ أَوْ  
عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - فِي ظَلَامِ اللَّيلِ فَيُواصِلُ سَيْرَهُ عَلَى طَرِيقٍ  
لَا يَلْتَقِي بِالظَّرِيقِ الْأَوَّلِ إِلَى الْآخِرِ.

وَلَهَذِهِ الْحِكْمَةِ الدِّقِيقَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ قَرَأَ  
تَارِيخَ هَذِهِ الدِّيَانَةِ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالضَّلَالِ حِينَ وَصَفَ  
الْيَهُودَ بِالْمَغْضُوبِيَّةِ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ:

﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ②﴾.

وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ مَأْسَاءً لِأُورُوبَا، وَمَأْسَاءً لِلإِنْسَانِيَّةِ  
الَّتِي قَادَهَا أُورُوبَا زَمْنًا طَويلاً، وَلَا تَزَالُ مُسَيْطَرَةً عَلَيْهَا  
وَمُتَحَكِّمَةً فِيهَا. ﴿لِهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ﴾.





## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠	١٢ - إِلَى مَكَّةَ .....	٣	للباحث الداعية الأستاذ سيد قطب .....
٢٢	١٣ - بُشْرُ زَمْرَمَ .....	٧	المُقَدِّمة .....
٢٢	١٤ - رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ .....	٩	مَنْ كَسَرَ الأَصْنَامَ؟ .....
٢٤	١٥ - الْكَعْبَةُ .....	٩	١ - بَائِعُ الأَصْنَامِ .....
٢٥	١٦ - بَيْتُ الْمَقْدِسِ .....	١٠	٢ - وَلَدُ آزَرَ .....
٢٧	أَخْسَنُ الْقَصَصِ .....	١١	٣ - نَصِيحَةُ إِبْرَاهِيمَ .....
٢٧	٤ - رُؤْيَا عَجِيْهَ .....	١٢	٤ - إِبْرَاهِيمُ يَكْسِرُ الأَصْنَامَ .....
٢٨	٥ - حَسَدُ الْإِخْرَوَةِ .....	١٣	٥ - مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ .....
٣٠	٦ - وَفَدَ إِلَى يَعْقُوبَ .....	١٤	٦ - نَارُ بَارِدَةٌ .....
٣١	٧ - إِلَى الْغَابَةِ .....	١٥	٧ - مَنْ رَبِّي؟ .....
٣٢	٨ - أَقَامَ يَعْقُوبَ .....	١٦	٨ - رَبِّي اللَّهُ .....
٣٣	٩ - يُوسُفُ فِي الْبَئْرِ .....	١٧	٩ - دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ .....
٣٤	١٠ - مِنَ الْبَئْرِ إِلَى الْقَضَرِ ..	١٨	١٠ - أَمَامُ الْمَلِكِ .....
٣٥	١١ - التَّوْفَاءُ وَالْأَمَانَةُ .....	٢٠	١١ - دَعْوَةُ الْوَالِدِ .....
٣٦	١٢ - مَوْعِظَةُ السُّجْنِ .....		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٢	١ - بَعْدَ آدَمَ .. . . . .	٣٨	١٠ - حِكْمَةُ يُوسُفَ .. . . . .
٦٣	٢ - حَسَدُ الشَّيْطَانِ .. . . . .	٣٩	١١ - مَوْعِظَةُ التَّوْحِيدِ .. . . . .
٦٣	٣ - فِكْرَةُ الشَّيْطَانِ .. . . . .	٤١	١٢ - تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا .. . . . .
٦٤	٤ - جِيلَةُ الشَّيْطَانِ .. . . . .	٤٢	١٣ - رُؤْيَا الْمَلِكِ .. . . . .
٦٥	٥ - صُورَ الصَّالِحِينَ .. . . . .		١٤ - الْمَلِكُ يُرْسِلُ إِلَى
٦٦	٦ - مِنَ الصُّورِ إِلَى التَّمَاثِيلِ	٤٣	يُوسُفَ .. . . . .
٦٦	٧ - مِنَ التَّمَاثِيلِ إِلَى الأَضْنَامِ	٤٤	١٥ - يُوسُفَ يَسْأَلُ التَّقْتِيشَ
٦٧	٨ - غَضَبُ اللَّهِ .. . . . .	٤٥	١٦ - عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ .
٦٨	٩ - الرَّسُولُ .. . . . .	٤٧	١٧ - جَاءَ إِخْرَوَةُ يُوسُفَ ...
٦٩	١٠ - بَشَرَ أُمَّ مَلَكٍ .. . . . .	٤٩	١٨ - بَيْنَ يُوسُفَ وَإِخْرَوَةِ ..
٧٠	١١ - نُوحُ الرَّسُولُ .. . . . .	٥٠	١٩ - بَيْنَ يَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ ..
٧١	١٢ - مَاذَا أَجَابَهُ الْقَوْمُ؟ ..	٥١	٢٠ - بَيْنَ امْمَيْنِ عِنْدَ يُوسُفَ ..
٧٢	١٣ - بَيْنَ نُوحَ وَقَوْمِهِ .. . . . .	٥٤	٢١ - إِلَى يَعْقُوبَ .. . . . .
٧٣	١٤ - اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ .. . . . .	٥٦	٢٢ - يَظْهَرُ السُّرُ .. . . . .
٧٤	١٥ - حُجَّةُ الْأَغْنِيَاءِ .. . . . .		٢٣ - يُوسُفُ يُرْسِلُ إِلَى
٧٥	١٦ - دَعْوَةُ نُوحٍ .. . . . .	٥٨	يَعْقُوبَ .. . . . .
٧٧	١٧ - دُعَاءُ نُوحٍ .. . . . .	٥٩	٢٤ - يَعْقُوبُ عِنْدَ يُوسُفَ .
٧٨	١٨ - السَّفِينَةُ .. . . . .	٦٠	٢٥ - حُسْنُ الْعَاقِبَةِ .. . . . .
٧٩	١٩ - الطُّوفَانُ .. . . . .	٦١	سَفِينَةُ نُوحٍ .. . . . .

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	٤ - صالحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ	٨٠	٢٠ - ابْنُ نُوحٍ .....
٩٩	وَالسَّلَامُ .....	٨١	٢١ - لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ .....
	٥ - دُعْوَةُ صَالِحٍ .....	٨٢	٢٢ - بَعْدَ الطُّوفَانِ .....
	٦ - دِعَايَةُ الْأَغْنِيَاءِ .....	٨٣	الْعَاصِفَةُ .....
١٠٣	٧ - قَدْ أَخْطَأْتُنَا .....	٨٣	١ - بَعْدَ نُوحٍ .....
	٨ - نَصِيحةُ صَالِحٍ .....	٨٤	٢ - كُفْرَانُ عَادٍ .....
١٠٤		٨٥	٣ - غُدْوَانُ عَادٍ .....
١٠٥	٩ - مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ .....	٨٦	٤ - قُصُورُ عَادٍ .....
	١٠ - نَاقَةُ اللَّهِ .....	٨٧	٥ - هُودُ الرَّسُولُ .....
١٠٦	١١ - النُّورَةُ .....	٨٨	٦ - دُعْوَةُ هُودٍ .....
١٠٧	١٢ - طُغْيَانُ ثَمُودَ .....	٨٩	٧ - جَوَابُ الْقَوْمِ .....
١٠٨	١٣ - الْعَذَابُ .....	٩٠	٨ - حِكْمَةُ هُودٍ .....
	* * *		
١١٠	١ - مِنْ كَثْعَانَ إِلَى مِضْرَ ..	٩١	٩ - إِيمَانُ هُودٍ .....
١١٢	٢ - بَعْدَ يُوسُفَ .....	٩٢	١٠ - عِنَادُ عَادٍ .....
١١٤	٣ - بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِضْرَ ..	٩٣	١١ - الْعَذَابُ .....
١١٥	٤ - فِرْعَوْنُ مِضْرَ .....	٩٦	نَاقَةُ ثَمُودَ .....
١١٧	٥ - ذَبْحُ الْأَطْفَالِ .....	٩٦	١ - بَعْدَ عَادٍ .....
١١٩	٦ - وِلَادَةُ مُوسَى .....	٩٧	٢ - كُفْرَانُ ثَمُودَ .....
١٢٠	٧ - فِي النَّيلِ .....	٩٨	٣ - عِبَادَةُ الْأَضْنَامِ .....

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦	سَقَاةُ فِرْعَوْنَ ..... ١٥٧	٨	فِي قَضِيرِ فِرْعَوْنَ ..... ١٢١
	* * *	٩	مَنْ يُرْضِعُ الْطَّفْلَ .. ٩٩
١	مُؤْمِنٌ أَلِ فِرْعَوْنَ ..... ١٦٠	١٠	فِي حِجْرِ أَهْمَاءِ ..... ١٢٥
٢	نَصِيحَةُ الرَّجُلِ ..... ١٦٣	١١	إِلَى قَضِيرِ فِرْعَوْنَ ... ١٢٧
٣	زَوْجُ فَرَعُونَ ..... ١٦٦	١٢	الْفَرَبَةُ الْقَاضِيَةُ ... ١٢٨
٤	مِحْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ١٦٩	١٣	يَظْهَرُ السُّرُّ ..... ١٣٠
٥	الْمَجَاعَاتُ ..... ١٧١	١٤	مِنْ مَصْرٍ إِلَى مَدِينَ .. ١٣٣
٦	خَمْسُ آيَاتٍ ..... ١٧٤	١٥	فِي مَدِينَ ..... ١٣٤
٧	الْخُرُوجُ ..... ١٧٧	١٦	الْطَّلَبُ ..... ١٣٦
٨	غَرْقُ فِرْعَوْنَ ..... ١٨٠	١٧	الْزَوْاجُ ..... ١٣٨
٩	فِي الْبَرِّيَّةِ! ..... ١٨٣	١٨	إِلَى مِضَارٍ ..... ١٤٠
١٠	كُفْرَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .. ١٨٥	١٩	أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ..... ١٤٢
١١	عِنَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ١٨٧	٢٠	أَمَامُ فِرْعَوْنَ ..... ١٤٤
١٢	الْبَقَرَةُ ..... ١٨٨	٢١	الدَّغْوَةُ إِلَى اللَّهِ ... ١٤٦
١٣	الشَّرِيعَةُ ..... ١٩١	٢٢	مُعْجِزَاتُ مُوسَى ... ١٤٨
١٤	الثَّوَرَةُ ..... ١٩٤	٢٣	إِلَى الْمَيْدَانِ ..... ١٥٠
١٥	الْعِجْلُ ..... ١٩٧	٢٤	بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .. ١٥٢
١٦	الْعِقَابُ ..... ١٩٩	٢٥	وَعِيدُ فِرْعَوْنَ ..... ١٥٥
١٧	جَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ٢٠٢		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢	١٢ - بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ..... ٢٢٢	٢٠٥	١٨ - فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ ....
٢٢٢	١٣ - عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نِسَئِهَا ١٤ - بَلَغَ الرُّسَالَةَ وَأَدَى الْأَمَانَةَ ..... ٢٢٢	٢١٠	١٩ - التَّأْوِيلُ .....
٢٢٢	* * *	٢١١	٢٠ - بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْدِمُ مُوسَى
			* * *
		١	١ - نَظَرَةٌ عَلَى الْقَصَصِ
		٢١٣	السَّابِقَةِ .....
		٢	٢ - قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .....
		٢١٣	* * *
		٢١٥	٣ - قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْبٌ ...
		٢١٥	٤ - وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
		٢١٦	٥ - دَعْوَةُ شُعَيْبٍ .....
		٢١٧	٦ - أَبُ رَحِيمٍ وَمَعْلُومٍ حَكِيمٍ
		٢١٨	٧ - جَوَابُ قَوْمِهِ .....
		٢١٨	٨ - شُعَيْبٌ يَشْرُحُ دَعْوَةَ ..
		٢٢٠	٩ - ما نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
		٢٢٠	١٠ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ
		٢٢١	١١ - السَّهْمُ الْآخِرُ .....
		٢٢١	إِلَى دِينِهِ .....

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٩	٥ - يُوئِسَ بَيْنَ قَوْمٍ ..... .	٩	٩ - الْمَلِكَةُ تَشَثِّيرُ أَزْكَانَ دَوْلَتِهَا .....
٢٤٠	٦ - يُوئِسَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ	٢٢٩	١٠ - هَدِيَّةٌ مُسَاوِمةٌ .....
٢٤١	٧ - وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءً . * * *	٢٣٠	١١ - الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاصِيَّةً .
٢٤٣	قصَّةُ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا ﷺ ...	٢٣١	١٢ - قَضَرَ عَظِيمٌ مِنْ رُجَاجِ
٢٤٣	١ - دُعَاءُ زَكَرِيَّا لِوَلِيدِ صَالِحٍ	٢٣٢	١٣ - وَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .....
٢٤٤	٢ - نَذْرُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ .....	٢٣٣	١٤ - الْقُرْآنُ يَحْكِي قِصَّةَ سُلَيْمَانَ .....
٢٤٤	٣ - قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَيِ ..... .	٢٣٤	١٥ - وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .....
٢٤٥	٤ - عِنَاءَةُ اللَّهِ بِالْفَتَاهِ الصَّالِحةِ	٢٣٥	* * *
٢٤٦	٥ - إِلْهَاماً مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ	٢٣٧	قصَّةُ سَيِّدِنَا أَيُوبَ وَسَيِّدِنَا يُونِسَ ﷺ .....
٢٤٧	٦ - بِشَارَةٌ وَلَدٌ .....	١	١ - قِصَّةُ أَيُوبَ نَمَطٌ آخَرٌ مِنَ الْفَصْصِ .....
٢٤٨	٧ - آيَاتُ اللَّهِ وَقُدرَتُهُ .....	٢٣٨	٢ - صَبَرُ أَيُوبَ .....
٢٤٨	٨ - يَخْيَى يَضْطَلُّ بِأَغْبَاءِ الدَّعْوَةِ .....	٢٣٩	٣ - مِنْهُ وَمِنْهُ .....
	* * *		٤ - قِصَّةُ يُوئِسَ وَحِكْمَتِهَا .
	قصَّةُ سَيِّدِنَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ...		
٢٥٠			
٢٥٠	١ - قِصَّةُ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ...		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	١٥ - إيمان عامة الناس	٢٥١	٢ - أمر كلّه عجب .....
٢٦١	وَفُقَرَائِهِم .....	٣	٣ - خضوع اليهود للأسباب
٢٦١	١٦ - نحن أنصار الله .....	٤٠٢	الظاهرة .....
٢٦٢	١٧ - سياحة ودعوة .....	٤٠٣	٤ - استخفاف وتمرد .....
٢٦٢	١٨ - الْحَوَارِيُّونَ يَظْلِبُونَ مَايَدَةً مِنَ السَّمَاءِ .....	٤٠٤	٥ - نعمة الله علىبني إسرائيل .....
٢٦٣	١٩ - شوء أدب .....	٤٠٤	٦ - نكران للمجamil .....
٢٦٣	٢٠ - تحذير قومه من شوء العاقبة .....	٤٠٥	٧ - زهو وإدلال .....
٢٦٤	٢١ - إلحاح وإضرار .....	٤٠٥	٨ - ولادة المسيح تحدى المحسوس المعروف ..
٢٦٤	٢٢ - القرآن يتحكي القصة .	٤٠٦	٩ - معجزات المسيح ....
٢٦٥	٢٣ - اليهود يحاولون التخلص من سيدنا عيسى	٤٠٧	١٠ - دعوه إلى الدين وتكتينية اليهود .....
٢٦٥	٢٤ - أسلوب الناقمين والسياسيين .....	٤٠٧	١١ - اليهود ينصبون له الحرب .....
٢٦٦	٢٥ - مكر ودهاء .....	٤٠٨	١٢ - قصة عيسى في القرآن
٢٦٦	٢٦ - مشكلة .....	٤٠٩	١٣ - سيرته ودعوه في القرآن .....
٢٦٦	٢٧ - سيدنا المسيح في المحكمة .....	٤١٠	١٤ - صراغ قديم .....

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧	٣٧ - مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى عَقِيَّةٍ غَامِضَةٍ ....	٢٦٧	٢٨ - الْقَانُونُ الْجِنَائِيُّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ .. . . .
٢٧٢		٢٦٨	٢٩ - عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَدَى
٣٨	٣٨ - عِيسَى يَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدْهُ ....	٢٦٩	٣٠ - تَدْبِيرٌ إِلَيْهِ .. . . .
٢٧٤		٢٧٩	٣١ - وَلَكِنْ شُبَهٌ لَّهُمْ .. . . .
٣٩	٣٩ - الْقُرْآنُ يُصَرِّخُ بِدَعْوَةِ عِيسَى .. . . .	٢٧٩	٣٢ - تَنْفِيذُ حُكْمٍ .. . . .
٢٧٥		٢٧٠	٣٣ - رَفْعُ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ
٤٠	٤٠ - مَنْزِلَةُ التَّوْحِيدِ فِي دَعْوَتِهِ .. . . .	٢٧٠	٣٤ - الْقُرْآنُ يَشَاهِدُ عَنِ الْقِصَّةِ .. . . .
٢٧٥		٢٧١	٣٥ - نُرَوْلُ عِيسَى قَبْلَ الْقِيَامَةِ .. . . .
٤١	٤١ - مَشَهُدٌ رَّائِعٌ مِّنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ .. . . .	٢٧٢	٣٦ - يُشَارِطُهُ بِيَمْعِيشَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .. . . .
٢٧٦			
٤٢	٤٢ - مِنَ عَقِيَّةٍ غَامِضَةٍ إِلَى وَئِنَّيْ سَافِرَةٌ .. . . .		
٢٧٧			
٤٣	* فَهِرْسُ الْمَوْضُوعَاتِ ...		
٢٨١			

مِنْ كُلِّ الْعِلْمِ لِلْمُؤْمِنِ  
ذَلِكَ الْعَصْرُ الْمُرْكَبُ الْمُرْكَبُ  
ذَلِكَ الْعَصْرُ الْمُرْكَبُ الْمُرْكَبُ

٩٦٤  
١٠٢٤١